

اسكندرية ٦٧

رواية

مصطفى نصر



أدب الحرب

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

أدب الحرب

إسكندرية ٦٧

رواية

مصطفى نصر

أدب الحرب
١٩٩٨



رئيس مجلس الإدارة:
أ. د. سمير سرحان

رئيس التحرير:
جمال الغيطاني

مدير التحرير:
خيرى عبدالجواد

المشرف الفنى: صبرى عبد الواحد

- ١ -

يسير الحاج الدسوقي وحده . كان يرتدى جلبابه الثقيل
والبالطو رغم أن الجو - اليوم - حار نسبيا . . فلقد انصرم شهر
أبريل وحل مايو منذ أيام قلائل .

معروف الحاج في حي الأنفوشي ، فهو شيخ الصيادين هناك ،
يمتلك عددا لا بأس به من مراكب الصيد المتوسطة الحجم .
ويعمل عنده عدد كبير من سكان السيالة ، والحوارى حولها .
يعملون فوق مراكب الصيد التى يمتلكها وفي محلاته المتعددة في
حلفة السمك والمنشية .

اقترب الحاج من شارع النصر الذى صنعتة حكومة الثورة
كمدخل بحرى جميل يتفق مع مركز الاسكندرية كميناء هام ،
بعد هدم العديد من المباني القديمة والأزقة الضيقة الملتوية ، التى
كانت تعرض طريق القادم من الجمرك حتى المنشية ، وبنى على
طول الطريق مباني متشابهة جميلة الشكل ، شغلت بأسر الخبراء
الروس الذين يعملون فى السد العالى وبعض المشروعات المصرية
الأخرى .

ما كان يجب ان يرتدى الحاج الدسوقي البالطو . لكن ابنته « صابرين » أصرت وألحت وقالت انه يزيدك هيبة . ابتسم لها « أبدون البالطو لا تكون لى هيبة ومكانة » ؟ !

الزحام شديد عند مدخل شارع نوبار . . قريبا من سراى الحقانية . . الباعة فى كل مكان ، يبيعون كل الأشياء أحبال من الخيوط واللوف والبلاستيك ، ومفارش الموائد ، ومشابك الغسيل ، ولعب الأطفال ، والأسماك الطازجة والمدخنة والمملحة ، والكبد والقوانص ، وفاكهة من كل نوع ، وورود صناعية من البلاستيك . . الخ .

أخرج الحاج الدسوقي منديله ، جفف عرقه . أحس بأن العرق يسيل على ظهره من شدة الحر .

البنات صابرين محقة فيما قالت له عن ارتدائه للبالطو . فالجو هذا العام غير مستقر . أحيانا شديد البرودة . وفجأة يتحول الى برد قارس . غريب جو هذا العام . قلما يحدث أن تمطر السماء فى مايو . وإذا حدث فسحابة عابرة . لكنها أمطرت هذا العام وكأننا فى عز طوبة .

ذكره هذا المطر المفاجيء بأيام النوات التى يخشاها . ويعول همها . ويضع - وقتها - يده على قلبه خشية أن تعصف بمراكبه . وتقتل رجاله الذين يعملون عليها .

اعتاد الدسوقي - فى هذه الأيام - الانتقال من مكان الى آخر بالعربة الحنطور . اتفق مع عربجي من المنطقة - اسمه محمود - على ان يأتى الى بيته القريب من مسجد سيدى ياقوت العرش كل صباح لينقله الى شاطئ الأنفوشى حيث مراكبه ،

بعضها في البحر ، والآخر على الرصيف ليقوم العمال باصلاحها
أو صيانتها ، أو يذهب العربي إلى القهوة القريبة جدا من
الشاطئ . يجلس وسط الصيادين .

قرر الحاج بالأمس أن يرتاح اليوم . وأن يقضى اليوم كله
في البيت مع ابنته صابرين ، ومن يريده من الصيادين في شيء .
يأتي إلى بيته لمقابلته .

يعيش الدسوقي وحده الآن . الا من ابنته صابرين ، وبعد
وقت طال أو قصر ستتزوج وتذهب إلى بيت زوجها وتتركه
وحده .

تنهد في أسى : ليس مهما . المهم أن تتزوج . فالبنت ليس لها
سوى السترة .

تغير في الصباح كل ما قصده الحاج ونواه . فقد جاءه
تلفراف من ابنه أحمد الذي يدرس الطب في ألمانيا منذ أربع
سنوات « حاضر باكر »

لو كان يعلم الدسوقي أن ذلك التلفراف سيأتي . لاتفق مع
العربي ليأتيه في الصباح كالعادة . قالت ابنته :

— دمك خفيف يا حاج . كل مسألة بسيطة نعقدتها .

— لماذا ؟

— أركب أي عربة حنطور . أو حتى تاكسي .

— لا . سأمشي . دكتور يوسف قال أن المشي مفيد لحالتى .

اجناز الدسوقي شريط الترام أمامه . عدد كبير من المارة
ينتظرون مرور الترام المسرعة . ليجتازوا الطريق . . مستشفى
السبع بنات (التى اطلق اسمها على الشارع كله) أمامه .

كان العاملون فيها من الأجانب ، يهود ويونانيين ومالطيين ، ومازال يعمل بها بعضهم للآن . ويقال ان المستشفى اعتمد على سبع راهبات كن يشرفن على العمل . ولأن الراهبة لا تتزوج . فهي في عرف أولاد البلد مازالت بنتا حتى لو شاخت وكبرت .

يعرف الحاج الدسوقي الحجرة التي يعمل الدكتور يوسف بها . سيذهب اليها وحده دون معاونة من أحد . من ؟ ! انها آمال . ابنة عم الدكتور يوسف ، وطبيبة معه في المستشفى . صاحت آمال من بعد فرحة :

— عمو الحاج الدسوقي ؟ !

— أهلا . دكتورة آمال .

— لم نلتق منذ وقت طويل .

— أنت نسيت عمك الحاج .

— وهل أقدر ؟ !

سارا معا في ردهة المستشفى الضيقة والتي يلمع جدرانها وبلاطها من شدة النظافة . مازالت الراهبات تقمن على العمل بها (بالطبع راهبات غير السبع التي سميت المستشفى والشارع باسمهن) .

لا يدري الحاج هل مازلن يحرصن على أن يكون عددن سبعة للآن أم زادت واحدة أو قلت عن ذلك ..

— مالك يا حاج . جئت للعلاج ؟

— لا . انما لمقابلة الدكتور يوسف .

مد الحاج يده داخل جيب جلبابه ، والبالطوا يعوقه • أخرج
مظروفا مطويا ومدته اليها •

– تلغراف من أحمد ابني •

هللت آمال فرحة :

– أحمد ، كيف حاله ؟

– سيعود من المانيا في الغد •

– حفا ؟ !

كانت فرحة

– أحمد أخوك • وأخو الدكتور يوسف أيضا •

– طبعا يا حاج • أكثر من اخوة • فقد تربينا معا •

سار الحاج في طريقه الى حجرة يوسف • قالت آمال :

– ادخل معك يا حاج ؟

– شكرا • فأنا أعرف الطريق •

* * *

جلس الدكتور يوسف مسترخيا ، فقد خرج آخر مريض من
الحجرة منذ لحظات • وذهب عوض النومرجي لشراء بعض لوازم
الدكتور من السوق •

احس يوسف بالتعب • فالمرضى كثيرون اليوم • عادة
ما يزدحمون يوم السبت على أساس ان في الغد – الأحد –
اجازة •

دق الباب • لن يقوم الدكتور من مكانه • صاح في ضيق :
— ادخل يا عوض •

فوجيء بالحاج الدسوقي أمامه بجسده العملاق ، الذى يذكره
بجسد ابنه أحمد — هب يوسف من المفاجأة :
— عمى الحاج •

— أسرع اليه • ارتمى بجسده الضامر القصير فى جسد
الدسوقي الطويل العريض :

— كيف حالك يا يوسف يا بنى ؟

— بخير يا حاج • تفضل اجلس • اننى سعيد بحضورك •
— ماذا أفعل وأنت وابنة عمك آمال لا تسألان عني •

— أنت تعلم يا حاج مدى مشاغلى • بالنهار فى المستشفى
وفى المساء بالعيادة •

— كان الله فى العون •

— انتهى — عادة — من عمل العيادة بعد منتصف الليل •

— لا تقل لى يا دكتور • كل اهل بحرى يتحدثون عن
همتك وشطارتك •

وقف الحاج وأكمل :

— ولهذا • لن أعطلك •

أخرج التلغراف من جيب البالطو وقدمه اليه :

— تلغراف من أخيك أحمد •

— كيف حاله ؟

— سيأتى فى الغد .

حقا !!

— سأسافر فجر الغد الى القاهرة لاستقباله فى المطار .

— سأذهب معك .

— لا يا بنى . أنت وراءك عمل كثير فى المستشفى
والعيادة .

— أحمد مثل أخى . كما أننى اجازة فى الغد . غدا الأحد
يا حاج .

— لا أريد أن أتعبك .

— سنتقابل فى العيادة مساء اليوم لنتفق ، لا تنس
يا حاج .

* * *

عاد يوسف الى الاسترخاء . مد ساقيه القصيرتين اللتين
لا تمكنانه من وضع واحدة فوق الأخرى . انتهى عمل المستشفى .
ولولا حضور الحاج الدسوقي لكان الآن فى بيته القريب من مسجد
أبى العباس سيأتى عوض التومرجى بلوازمه الى البيت ، اذا
ما جاء المستشفى ولم يجده .

أعادت زيارة الحاج الى يوسف مواجهه القديمة . والجروح
التي لم تندمل رغم مرور السنوات . أحمد الدسوقي زميل
الطفولة فى المدارس الابتدائية . وفى مدرسة الطائفة الاسرائيلية

الثانوية • الدسوقي والده لا يعرف شيئاً عن المدارس • وأحمد
وسط الشلة يبحث عن مدرسة ثانوية : العباسية أم اسكندرية
أم الناصرية أم رأس التين • • اقترح يوسف عليه الطائفة
الاسرائيلية • لكى نكون معا • ووافق أحمد وأصبح زميلا حتى فى
المدرسة الثانوية •

يوسف وأحمد نقيضان • أحمد طويل وعريض • وجهه
مستدير • عينان واسعتان سوداوان وأنف مستقيم وشفتان حمراوان
كشفتى امرأة فى ريعان شبابها • بينما يوسف عليل الجسم
منذ طفولته • وجسد على بعضه لا يزيد عن كيلوات قليلة •

ذهب اليهود عن مصر بعد حرب ٥٦ ، ولم يتبق سوى
القليل • فاستولت حكومة الثورة على مدرسة الطائفة الاسرائيلية
وضمتها لمدارس الوزارة الأخرى • كما فعلت فى المستشفى
الاسرائيلى وجعلته خاصا لتلاميذ المدارس يعالجون فيها •

أصبح اليهود أغرابا فى المدرسة التى أنشأها أجدادهم وسميت
باسم طائفتهم • المسلمون هم الأكثر • ليس كل أولاد المدرسة فى
طول أحمد وعرضه • لكن معظمهم أطول من يوسف وأصبح منه •
لذا ، اختار يوسف أحمد ليستظل بظله • ويتوارى خلفه •

عامله أحمد - أول الأمر - بجفاء • لكنه استجاب عندما
انشغل يوسف بخدمته وتقديم العون له •

يضيق أحمد - أحيانا - بصداقته فيبطش به • وسرعان
ما تصفوا النفوس وتروق • فيضع ذراعه الطويلة والقوية فوق
كتف يوسف • يذهبان الى سينما بيارك القريبة من المدرسة
ويشتريان سندوتشات الفول والطعمية من بنيامين (بائع الفول

والطعمية المشهور في آخر الشارع ناحية سعد زغلول (يشتريان
السندوتشات على حساب أحمد فوالده غنى ويعطيه مصروفا
كبيرا .

والتحقا بعد التوجيهية بكلية الطب معا . ثم لحقتهما آمال
بعد سنة واحدة .

* * *

دقات الباب أخرجت يوسف من شروده . دخلت آمال .
كانت ترتدى ملابس الخروج :

— يوسف . ما الذى أحرك هكذا . ظننتك فى البيت الآن .

افاق ، انه مازال فى البالطو الأبيض والسماعة المعلقة
فى رقبته :

— عندك حق يا آمال .

وقف . وضع البالطو فوق المشجب واقترب من وجهها .
طولها مقارب لطوله . وان كانت هى أطول بسنتيمترات قليلة .
قال :

— لقد جاء الحاج الدسوقي .

قابله قبل ان يدخل حجرنك .

— أخبرك بحضور أحمد باكر ؟

— نعم .

— وماذا تريبي ؟

دهشت من قوله . . ماذا يعنى بسؤاله ؟

— ألى الخيار فى أن يأتى أولا يأتى من المانيا ؟

— أعلم أنك تحببته .

ضحكت :

— احبه طبعاً ، كما أحبك . وأحب باقى الشلة التى كانت معنا فى كلية الطب .

— أرجو أن تكونى صريحة معى .

— ماذا تقصد ؟

— آمال . أنا أحبك منذ أن كنا صغارا .

— يوسف . اننى أعيش وحدى مع أبى . سافرت أمى واخوتى وتركونى . وليس لى سواك الآن فى مصر .

— لذا . أريدك أن تصدقنى القول معى قبل أن يعود أحمد وتتورطين معه .

احست بالضيق وبرغبة فى أن تبكى .

— يوسف . ما الذى تقوله ؟ !

— نعم . هناك مشكلة تنسينها دائماً وهى اختلاف الأديان بينكما .

بكت آمال . حاولت أن تحبس دموعها ، لم تستطع . .

— لم أفكر يا يوسف فى هذا من قبل .

اقترب يوسف منها . ربت على ظهرها :

— آسف لأننى سببت لك ألماً .

تقع عيادة الدكتور يوسف داود في شارع محمد كريم
« التتويج » سابقا . . الذي يبدأ من نهاية المنشية وينتهى قبل
حلقة السمك بقليل .

تقع العيادة في منتصفه تقريبا . قريبا من قهوة فاروق
المشهورة هناك . والتي سميت باسم الملك فاروق . . وما زالت
تسمى بنفس الاسم رغم قيام الثورة ونفى فاروق .

يذهب عوض التومرجي الى العيادة بعد ان يصلى العصر في
المسجد مباشرة . يكنس العيادة . ينظفها . ويفرش الأسرة الأربعة
فيها . رغم أنه من النادر ما تستخدم . فالدكتور قلماً يجرى
عمليات جراحية ، واذا ما فعل ، فعمليات صغيرة . . كفتح خراج .
أو ازالة كيس دهن . . الخ .

يعمل اقارب عوض في صيد الأسماك . بعضهم يعمل على
مراكب الحاج الدسوقي شيخ الصيادين . وعوض نفسه كان يعمل
مثلهم في البحر . لكنه كرمه بعد موت أخيه الأصغر عباس في نوة

قاسية • أخذت العديد من الصيادين وترك عباس ثلاثة أطفال •
أكبرهم الولد حسن الذى يعمل - الآن - عندالحاج الدسوقي •
ملزم عوض برعاية أطفال أخيه رغم دخله المحدود •

وقتها تحدث عوض مع الحاج الدسوقي ، يطلب من الدكتور
يوسف أن يجد له عملا فى مستشفى السبع بنات التى يعمل بها •
المهم أن يبعد عوض عن البحر والمراكب والصيد • فرحب يوسف
بذلك • وبعد أن سعى لتعيينه فى المستشفى ، طلب منه أن يكون
تومرجيا فى عيادته •

لا يستطيع عوض تنظيف العيادة فى المساء • فهى تسهر -
أحيانا - للساعة الثانية صباحا • المرضى كثيرون يجلسون داخل
العيادة وخارجها • ويصل بهم الأمر لأن يجلسوا على السلالم
فى مدخل العيادة • فالدكتور « سيطه » ملأ المكان كله • هو دائم
الابتنسام • يمازح الولد الصغير والمرأة والفتاة والرجل • كل
نوع له حديثه ومزاجه ونوادره • إذا ما كان شابا أو فتاة لم تتزوج
يقول مازحا :

- سيزول كل هذا بعد الزواج •

وإذا كان شيخاعجوزا بلا زوجة يلح الدكتور عليه بالبحث عن
فتاة أو امرأة نصف عمر لتعيد له شبابه •

يخرج الجميع من عيادته سعداء • كما أن أجرته قليلة جدا •
ولا ينهم بالحصول عليها • فىمكن للمريض أن يكشف أكثر من
مرة بنفس الأجر القديم • بل يدفع الدكتور أحيانا للفقراء
من جيبه •

عيب الدكتور الوحيد - فى رأى عوض - علاقته بليلى النى

تعمل مغنية في اذاعة الاسكندرية • وفي كازينو كازابلانكا الذي يمتلكه فيكتور اليهودي •

تزور ليلى الدكتور كثيرا في العيادة • تجلس وسط المرضى • تدخل السجائر المستوردة • وتعطي عوض واحدة ومن يريد من المرضى تعطيه • تستفز الزبائن الفقراء بملابسها غالية الثمن وعطرها الفواح الذي يملأ المكان ويمكن أن تشمه من خارج العيادة • وشعرها المصبوغ بكل ألوان الدنيا • والذي يطير حول وجهها الملون بالأصباغ •

تدخل ليلى في دورها • الكل يظنها مريضة عادية جاءت للعلاج • وإذا ما أراد عوض أن يدخلها فور وصولها ، ليخلص منها ومن تصرفاتها الرعناء ، تقول مبتسمة :

— لست مستعجلة • اترك الدكتور على راحته • وأنا جالسة مع الأحباب •

وتشير الى المرضى الذين يتابعونها في ضيق وانتقاد •

أراد عوض أن ينصح الدكتور بالزواج • فذلك سيعصمه من ليلى ومثيلاتها • لكن عوض فضل الصمت • فقد يغضب الدكتور منه ، ويعتبر أن هذا تجاوزا منه وقلة ذوق • فكيف لتومرجي مثله أن « يعدل » على الدكتور الذي يشغله ، ويعطيه أجره أول كل شهر • وكيف له أن يدخل نفسه في خصوصياته ؟ !

بعد أن ينتهي عوض من تنظيف العيادة ويطمئن على أن كل شيء في مكانه — كما يريد الدكتور — يعلق باب العيادة وينزل الى القهوة • هي تحت العيادة مباشرة • يجلس في الخارج ليرى الدكتور عندما يأتي بسيارته فاذا ما جاء • أسرع عوض الى السيارة يفتح بابها • ويحمل عنه حقيبته ويسير خلفه •

عندما نزل عوض الى القهوة ، وجد الصول عبد الله يدخن شيشته ، يرشف قهوته في اناة وتلذذ . كانت قدماء حافيتين ، وماسح أحذية في ركن القهوة يمسح حذائه .

عبد الله ملازم في البحرية الآن . هو حقيقة بدأ مساعدا (صول) بعد التخرجه . لكنه حصل على ترقية وفي القريب سيحصل على الثانية . وما زالوا - هنا - ينادونه بالصول عبد الله . حاول كثيرا أن يفهمهم بأنه أصبح ملازما دون جدوى . فصمت الرجل . وعندما سيحصل على الترقية الثانية ويصبح ملازما أول . لن يقول شيئا - فهو - لو قدر له وأصبح لواء . سيظل في نظرهم « الصول عبد الله » .

تجاوز عبد الله الثلاثين بقليل . تطوع في الأسطول بعد حصوله على التوجيهية عام ١٩٥٧ . يهوى كتابة الشعر . وقد اذاعت اذاعة الاسكندرية عددا لا بأس به من تمثيلياته .

اعتدل عبد الله عندما رأى عوض آتيا اليه :

- أهلا يا عوض . اجلس .

وأشار الى مقعد خال بجواره ، قال عوض :

- من مدة لم أرك .

أخرج عبد الله مبسم الشيشة من فمه وصاح :

- مشغولون هذه الأيام .

- ماذا . هناك قلاقل .

- إسرائيل تهدد بضرب سوريا . تشرب قهوة ؟

— شكرا • ساشرب في العيادة بعد أن يأتي الدكتور •

— بل ستشرب قهوة دعى •

ونادى عبد الله القهوجى •••

عبد الله صديق للعديد من أهل الحى • خاصة الذين يقاربونه في السن • العديد من أصحابه تفرق وذهب عنه • احمد بن الحاج الدسوشى في ألمانيا الآن • كان من أعز أصحابه • ويسهل التفاهم بينهما • فأحمد مثله يهوى القراءة • ويوسف داود مشغول الآن بعيادته وعمله في المستشفى • لم يتبق لعبد الله سوى نساء كازينو فيكتور اليهودى حتى صابرين خطيبته غاضبة منه • وفي آخر زيارة لها ، رمت له الدبلة • وقالت انها لا تريده • وتكفيه نساء الكازينو اللائى يذهب اليهن كلما كان في اجازة •

عبد الله من أسرة كبيرة في الأنفوشى • ويقولون ان سبب التحاقه بالأسطول ، رغبته في البعد عن البيت • خاصة أمه التى فضلت عليه خطيب ابنتها • فأصبح الكل في الكل في البيت • ففضل عبد الله الانسحاب والنوم في السفينة عن الزم في البيت • ذلك موضوع سمخيف لا يحب عبد الله الخوض فيه • المهم ان جده الأكبر الشرقاوى باشا — كان يمتلك أراضى شاسعة • وكان له مدفن خاص لأسرته • لا يسمح بالدفن فيه سوى لأفراد أسرته • لكن نابليون — منه لله — عندما جاء في حملته المشهورة أصدر أمرا بمنع دفن الموتى في البيوت • أو وسط الأحياء • فتم نقل رفات الأجداد الى عمود السوارى • وأصبح مدفنهم القديم — وسط السيالة ، والقريب جدا من سيدى محمد كظمانى — تجمعا للعفاريت ومقرا لهم ، خاصة الشرقاوى جد عبد الله الأكبر • فقد غضب الرجل لمحاولة

تقل رفاة الى مدفن عادى بجوار احط الناس . فكان يخرج مساء ليخيف الناس الذين يقتربون من ارض المدفن القديم .

وفي الحرب العالمية الثانية استولى الانجليز على ارض المدفن القديم وحولته لمعسكر يبيت فيه الجنود . ودهش الناس لقدرة الانجليز على التحمل . وكيف لم يؤثر فيهم عفريت الشرقاوى باشا . وبعد ذلك حوله الانجليز الى مخبأ لكن الناس لم يذهبوا اليه . وفضلوا الموت على الدخول فيه وسط العفاريت .

رفع والد عبد الله قضية ضد الانجليز لاسنرداد ملك الأجداد . وقبل أن يقضى القاضى فيها قامت الثورة وتغير الحال . فرحل الانجليز عن كل بر مصر . واصبح المدفن القديم كله ملكا للبلدية . فحولته الى حديقة عامة ومرحاض عمومي لا يستخدمه سوى الأغراب عن الحى الذين لا يعلمون بحقيقة الأمر .

كاد عبد الله أن يكمل الشهر ولم يخرج من السفينة « **الصحور** » التى يعمل عليها . فهناك طوارئ لاحتتمال قيام حرب بيننا وبين اسرائيل . هكذا قال لهم العقيد حسن المختار كومندان السفينة . . . أبتسم عبد الله ، لذكرى حسن المختار . فهو كحثة سكرة . لو سألوا عبد الله - من يحبه أكثر لاختار : صابرين - خطيبته - رغم ما فعلته معه ، وأبوها الحاج الدسوقي واخوها أحمد والعقيد حسن المختار . ولن يختار احدا من أسرته . فأزواج اخواته البنات يقاضينه فى المحاكم لأخذ نصيب زوجاتهم فى الميراث . واين الميراث . ارض المدفن القديم الكبيرة اصبحت ملكا للدولة . ولا يمتلك عبد الله الآن سوى الفيلا القريبة من ارض المدفن والتى تؤويه وسيتزوج فيها عندما ترضى صابرين عليه ولن يسمح بأن يشاركه فيها أحد . يريد أزواج اخواته أن يشاركوه الفيلا . يسكنون حجراتها معه ؟ !

يجلس عوض بجانب عبد الله • يرشف قهوته ولا يحس
بالأتون الذى يغلى داخل صدر عبد الله •

تنهد عبد الله فى أسى • شارد هو فى السفينة التى قضى
بها - هذه المرة - ما يقرب من شهر أكل فاصوليا حتى كرهها
(علما بأنه كان يفضلها ويرتاح لأكلها قبل التحاقه بالأسطول)
الآن هو يتجنبها فى البيت ولا يطبخها أبدا • يكفيه ما أكله منها
فى السفينة •

ابتسم عبد الله ابتسامة واسعة • وكادت تتحول الابتسامة
الى ضحكة ذات رنين • لو أحس به عوض - الذى يجلس بجواره -
لأشاع عنه هذا • وقال انه جن لأنه يضحك للشيء •

حكى زميل له فى السفينة أنه أكل فاصوليا ليل نهار طوال
سهر تقريبا داخل السفينة • فكان ينتظر الاجازة بفارغ الصبر ،
ويحلم بأكل مختلف : بسطرمة بالبيض • أو كفتة • • الخ • لكنه
عاد الى البيت مساء ولم يجد سوى الفاصوليا التى طبختها أمه
فى الصباح بالصدفة • فلم يأكلها ونام دون عشاء •

أول مرة يرى عبد الله ، العقيد حسن المختار منذ سنوات
قليلة • قبل أن يلتحق العقيد برئاسة السفينة « الحرية »
وقيادتها • جاء اليهم ليدرس لهم مادة فنون بحر • فوقف عبد الله
قبل أن يدخل العقيد أمام زملائه الدارسين • أغرته السبورة الكبيرة
السوداء اللامعة أمامه ، لأن يكتب عليها ، خاصة ان خط عبد الله
جميل • فكتب البيت المشهور للشاعر عبد الحميد الديب :

ان صافيتنى يا أير يوما شربت من المنى عسلا وسكرا •

وفجأة دخل العقيد ، فأسرع عبد الله الى مكانه دون أن يلحظه ،
موقنا أن اليوم لن يمر على خير . فقد أراد أن يمزح مع زملائه ،
ثم يسرع بمسح السبورة « بالمسحة » قبل أن يدخل العقيد .

قرأ حسن المختار بيت الشعر وسأل :

— من الذى كتب هذا ؟

وقف عبد الله مبتسما . ظنه العقيد لم يفهم ما كتبه .
فسأله :

— ماذا يقصد الشاعر بهذا ؟

— يقصد أنه لو اطاعه قلبه سسيرتاح وكأنه شرب عسلا
وسكرا .

نظر العقيد الى الوجوه أمامه فأحس بأنه يكذب . ويدعى شاكس .
ما يضمره ، فصاح فيه :

— أرجوك . أخرج بره .

وخرج عبد الله وحمد الله لأن الموقف انتهى هذه النهاية .
ولم يصعد العقيد الموقف أكثر من ذلك .

— وسأل العقيد الجالسين أمامه :

— حقيقة . زميلكم لا يعرف معنى البيت ؟

قال أحدهم :

— كيف . وهو شاعر له قصائده التى تنشرها الجرائد
وتذيعها الاذاعات ؟ !

قال العقيد :

— ما اسمه ؟

— عبد الله الشرقاوى .

وابتسم العقيد . فهو يعرف ان شاعرا فى الاسكندرية بهذا الاسم . وقرا له .

مجلات الشعر والثقافة . وفى جريدة الأخبار . من يومها أصبحتا صديقين . واتضح ان العقيد — أيضا — من المهتمين بالثقافة والأدب . وقد نشر مقالات فى مجلة الثقافة عن الشعراء الصعاليك وعن شعراء دمهم خفيف مثل الحطيئة ومحمد مصطفى حمام وعبد الحميد الديب وغيرهم .

بعد ان انتهى عبد الله من تدخين شيشته استأذن من عوض . قال بعد خطوات قليلة سارها :

— لا تدفع الحساب . فقد دفعته .

— ربنا يخليك يا حضرة الصول .

كل الذين يجالسون الصول عبد الله يعرفون تصرفاته الغريبة . وما عادوا يدهشون لها . ولا تثير اعتراضهم الآن . فهو يجلس بينهم — أحيانا — وكأنه ليس موجودا . يسحب نفس الشبشة . ويشرد بعيدا . يؤكد عوض انه — أحيانا — يلمح دموعا تكاد تنبثق من مقلتيه . أو أن يبتسم فجأة للأسى . ويقوم — أحيانا — فجأة تاركا شيشته المشتعلة ويسير ولا يعود اليهم طوال الجلسة . لكنه نال الوحي قد جاءه فجأة بقصيدة أو فكرة تمثيلية . فيسرع الى فيلته ليكتبها قبل ان تطير من دماغه . لذا . قال عوض لنفسه — وقتها — :

— حنما . الوحي جاءه الآن .

لكن الكثيرين يرجعون تصرفات عبد الله الغريبة هذه ، لسكنه القريب جدا من أرض المدفن القديم . فهو يطل على الحديقة العامة والمرحاض العمومي من فراندة الفيلا التي يعيش فيها وحده . منذ أن ماتت أمه . وتزوجت أخواته البنات .

سار عبد الله بملابسه المدنية . التي يرتاح لارتدائها أكثر من الملابس العسكرية . ولم يكن يتمنى أن يكون عسكريا . فتصرفاته ليس لها صلة بالنظام والانضباط . حجراته في البيت فوضى . ملابس ملقاة في كل ركن . وكتب كثيرة مبعثرة تحت السرير وفوق التريشة وعلى الأرض . هكذا كان من قبل أن تموت أمه وتتزوج أخواته . فكن يحملن عنه هذا . يسرعن الى حجراته لاعادة الترتيب فيها . الآن لا تزوره الأخوات . فكلهن واقعات تحت تأثير الأزواج الذين يطمعون في الفيلا .

نصحه البعض ببيعها . واستئجار شقة صغيرة : حجرتان أو ثلاث على قدره . لكنه رفض هذا بشدة . ايتخلى عن فيلا جده الشرقاوى باشا . الا يكفي ما حدث لأرض المدفن القديم ، فأخذته الانجليز ليعطوه لبلدية الاسكندرية .

لن يذهب عبد الله الى الفيلا الآن . فهو لم يذهب الى كازينو فيكتور اليهودي منذ ما يقرب من شهر . لم ير خلالها سوى الرجال . ذكورا أمامه وخلفه وحوله . لم ير ظل امرأة . وحتى وإن رآها فستكون في مركب بعيدة . تسرع على الشاطئ . فماذا ستفيده الرؤية ؟ : ! سيذهب الى الكازينو المواجه لمسجد أبى العباس . على البحر لقد اشتاق لجلوسه أمام البارمان . فوق المقعد العالي ، وشرب الخمر في أناة وتلذذ ومتابعة أجساد نسوة الكازينو شبه العارية . معظمهن ممثلات طبقا للذوق المصرى العام الذى يميل للأجسام الطويلة والعريضة .

ضحك عبد الله وهو سائر • مشهور هو بين أصحابه بميله للنساء وبتقديره لهن • تزوره الكثرات في فيلته • وذلك جعل صابرين - خطيبته - تغضب • وترمى له الدبنة • ليس مهما الآن أن يخوض في ذلك الموضوع • حتى لا يفسد على نفسه لحظات سعادته النادرة في هذه الأيام •

أراد يوما أن يكرم صديقا أثرا لديه • فدعاه الى سهرة مع امرأتين • حدث هذا فجأة • عندما رأى امرأة كانت تزوره كثيرا في فيلته •

عندما رآته المرأة وقفت مبتسمة :

- عبد الله أين أنت ؟

قالت كلمة « عبد الله » بدلال وتنغيم ، واطالت فيها • ثم ضربت على راحة يده في دلع ..

- أريدك الليلة • وأريد امرأة أخرى لصديقي هذا •

- من عيني •

سارت معهما بعض الوقت • أكد عبد الله عليها :

- امرأة جميلة • اياك ان تأتى بأية امرأة •

- اطمئن • ستكون أتعن منى •

وسارت • تابع الزميل جسد المرأة الذي يترجرج أمامه • لم يلحظ عبد الله أن قول المرأة فيه شيء غريب • أو خطأ ما لكن زميله - الذى أراد عبد الله تكريمه والاحسان اليه - صاح فيه ساخرا :

- أتعن منها كيف يا عبد الله ؟ وهى أتعن من اللازم ؟ !

كرهه في المرأة التي سبق أن تعامل عبد الله معها وسعد بها
وأعجبته . وتعهد أن يخرج من الفيلا في الموعد الذي حدده لها .
حتى اذا ما جاءت مع زميلتها - الأتخن منها - لا تجده .

أما كازينو كازابلانكا الذي يمتلكه فيكتور اليهودي . كانت
البنت عزيزة تشوى الذرة ، وبعض الزبائن يقفون حولها في
انتظار أن تنضج حبات الذرة من النار الملتهبة . وعزيزة تمد ساقها
اليمنى ، كاشفة عن بنطلون بيجامة مخطط وقذر . ترتديه
تحت جلبابها - وتهوى بيدها على النار بقطعة كرتون . كي تزيد
النار اشتعالا حياها عبد الله من بعيد . فتوقفت عن التهوية .
ردت تحينه بابتسامة . وجد عبد الله الولد « لالى » يجلس على
درجة من درجات الكازينو العريضة . داعبه عبد الله ، بأن
أمسك شعره الأصفر باسم :

- ها . كيف الأحوال يا لالى ؟

رد لالى التحية بخجل . وبكلمات غير مفهومة . لالى ليس
طفلا . لقد تجاوز السادسة عشرة بشهور قليلة هو وتوأمه
بوللى . انهما يعيشان مع الخواجة فيكتور صاحب الكازينو منذ
ان كانا طفلين رضيعين . أسكنهما الخواجة حجرة في مدخل بيته
مع أمهما حافظة .

في داخل الكازينو الجو حار . فحطت الحرارة فوق الجدران
المطلية ببوية الزيت . فزادت من حرارتها . . والموائد الحديدية
اشتعلت . فنام فيكتور فوق مقعده . وكرشه يمتد أمامه . وشاربه
تهدل فوق فمه المغلق الصغير وقطة اثيرة لديه تغفو مثله فوق
ركبتيه . والولد بوللى - توأم لالى - يجلس بجوار الباب
رافعا قفطانه كاشفا عن لحم فخذه الأبيض .

ليس في الكازينو امرأة واحدة • بعد ساعات قليلة سيبدان
في الحضور • الواحدة تلو الأخرى • هن نائمات في بيوتهن
الآن • أو ربما لدى عشاقهن الذين يقضون ليلة أمس كلها معهن •

لكن عبد الله لا يستطيع الانتظار • فالاجازة قصيرة جدا
هذه المرة • وفي الغد لابد أن يذهب الى سفينته مصر • والساعات
المتبقية من الليل سيقضيها في اجراء بعض اللوازم الملحة له
ولزملائه الذين لم يتمكنوا من النزول اجازة مثله •

— بوللى • بوللى •

ابتسم له الولد من بعيد • ولم يجبه •

— ليلى • لم تأت ؟

— لا •

— ولا فريدة ؟

لم يكن السؤال له مكان أو حيز داخل الكازينو النائم من اثر
الكسل والحرارة التي جاءت في مايو أعلى من معدلاتها الطبيعية
في مثل ذلك الوقت من كل عام • المكان الواسع أمام عبد الله
ليس فيه جنس امرأة ولا رائجتها فلماذا يسأل بوللى هكذا ؟ !

عاد بوللى الى ابتسامته البلهاء • وخرج عبد الله الى
« الشارع • لم يقف » لالى « الجالس فوق درجة السلم العريضة •
فجسده الممتلىء والمترهل جعل الرخام يسخن — تحته —
ويشتعل • ووضع العرق مادة لاصقة بين جسده ودرجة السلم
الرخامية الملساء •

لم يحدثه عبد الله هذه المرة • لن يستطيع الذهاب الى الفيللا
بحون امرأة • حتى وان كان لديه وقت طويل • ويستطيع ان يأتى

في الليل لأخذ واحدة . لن يستطيع الانتظار أكثر من هذا .
فربما تطول غيبته في السفينة فيغيب شهرين أو ثلاثة أو ربما
أكثر . أو قد لا يعود الى البر . فتقوم القيامة . ولا يجد امرأة
وقتها أمامه . لا بد من امرأة الآن .

ابتسمت عزيزة عندما رآته . هو يعرفها منذ سنوات
ويعطيها الحنيئات القليلة من وقت لآخر . ويمازحها أحيانا .
صاحت عزيزة :

— كابتن عبد الله . . كابتن عبد الله .

تري عزيزة نساء الكازينو ينادونه بـ « كابتن عبد الله »
فقلدتهم .

— ماذا تريدين ؟

اقترب منها . امرأة تقف أمامها عن ذراعيها السمراوين .
وتنظر الى كوز الذرة الذي يتلظى على النار المرأة لاهية عنه ،
مشغولة بابنها الصغير الذي يتعجل الذرة ويبكى بجوارها .

أحنت رقبتها وهي تحدث ابنها الصغير . وعبد الله مبهور
بسمار جسدها الذي لونه شمس الصيف . فلم يسمع كلمة
واحدة مما تقوله عزيزة . هو الآن في حالة لا تسمح له بتقدير
الأمر كما يجب أن تقدر . حاجته للمرأة — بصفة عامة — تجعله
فاقد الوزن .

سار بضع خطوات حتى وصل الى سياج البحر . جلس فوقه
وتابع ذراعي المرأة . زميل له في السفينة ظروفه وعاداته الغريبة
(التي لا يستطيع عبد الله ان يذكرها الآن) جعلته يخطب عدة
مرات ويفشل . ويزعم ذلك الزميل ، ان تلك التجارب جعلته
خبيرا في أمور النساء . فحكى يقول :

— اذا ذهبت لرؤية فتاة — بغرض الزواج منها — لابد أن تكون في حالة شبع جنسى . لأنك لو ذهبت اليها وانت غير ذلك ، ستراها أجمل الجميلات ولو كانت دمية .

وانه جرب هذا . فقد رأى فتاة جميلة جدا . ووافق على زواجه منها . لكن بعد أن شبع جنسيا وراها ثانية اكنشف مدى المقلب الذى كان سيأخذه لو تزوجها . كان كل شيء فيها قبيحا .

حملت المرأة كوز الذرة الساخن . وسدت ابنها من يده وسارا وهما يتحدثان ويختلفان : الولد يريد كوز الذرة ، وهى تخاف أن يلسعه الكوز الساخن . قالت عزيزة :

— أعد لك واحدا ؟

أشاح بيده . اتناديه من أجل سؤال سخيف كهذا ؟ !

ظل يتابع المرأة التى تحمل كوز الذرة وتمسك الولد الذى يحرن ويبكى بجوارها . وعندما ابتعدت عن نظر عبد الله ، وصارت أبعد من أن يراها . ذهب الى عزيزة :

— ألم ترى واحدة من نساء الكازينو ؟

— لم يأتين بعد .

لم يجيبها . تعرف عزيزة أنهن يذهبن الى فيله . ويقضين الليل معه .

سار خطوات . فصاحت عزيزة فيه :

— ألا أصلح أنا لذلك ؟

أراد أن يضحك ويقهقه حتى يسمعه كل من يقف بجوار سياج البحر . عزيزة ؟ ! انها دمية . شعرها أكرت وأنفها — غير

كبره الواضح - به ندبة كبيرة تزيد قبحا . وملابسها متسخة .
وقدماها - رغم الشبشب البلاستيكي الذي تلبسه - وسختان
ومقشفتان .

سار خطوات . ثم عاد اليها :

- تعرفين الفيلا ؟

- أعرفها .

جاءته عزيزة كثيرا من قبل . كان فيكنور - صاحب
الكازينو - يرسلها بطلباته - عندما ينشغل الولدان « بوللى
ولالى » بعملهما داخل الكازينو .

لكن عبد الله لم يدخلها الفيلا قط . فى كل مرة يأخذ منها
الطلبات ويعطيها ما فيه القسمة . وهى واقفة على الباب .

* * *

فتح عبد الله باب الفيلا الخارجى . رفع انقفل الكبير
والجنزير الذى يربط الدرفتين ببعض . ثم الباب الداخلى . خلع
قميصه . أحس بالراحة والحرية . سيغتسل ويأكل لقمة . فقد
جاع . ثم ينزل لقضاء لوازمه استعدادا للعودة الى السفينة فى
الصباح الباكر .

نسى عزيزة وما قالت . وما قاله لها . هل يمكن حقا ان
تأتى اليه . أكيد هى كانت تمازحه . نعم . فهو لم يعرف عنها
ذلك قط . أهلها فقراء . يعملون أعمالا بسيطة . لكن لم يفعلوا
هذه الأشياء من قبل . أكيد هى لا تقصد ما قالت .

بعد أن اغتسل ، أحس برغبة في أن يريح جسده • فهو لم يرتح منذ أن خرج من باب الجمر ك في رأس التين صباح اليوم • لم ينم • أو حتى يفرد جسده فوق الفراش • ظل منتصباً طوال الوقت • ناظراً الى الناس وهي تسير فوق الأرض • اختار الشوارع المزدحمة : سعد زغلول وصفيّة زغلول ثم المنشية وزنقة الستات • • كان يبعد عن الشوارع الخالية •

نام بعد أن استلقى على السرير لحظات قصار • لم يطل نومه • سمع صوت جرس الباب الخارجى يدق في عنف وعناد • قام اليه مضطراً وكأزها للمقام دون أن يعرفه • ود لو ضربه بالكنسة — مهما كان وضعه ومكانته •

وجد عزيزة أمامه — كما هي — لم تفكر حتى في أن تغير شيئاً من شكلها • شعرها نصفه عارى • والنصف الأسفل منطى بإشارب متآكل قديم • ووجهها فيه آثار النار والدخان والهباب الملصق بأنفها الكبير غير المتناسق مع باقى الوجه •

— عزيزة • ماذا تريدين ؟

— جئت • كما أمرتنى •

سار الى الداخل • ثم يوقفها عند الباب — كما كان يفعل في كل مرة — وهي اغلقت الباب وتبعته • جلس متهاوياً يناهزها من جلسته : شبشبها البلاستيكى ترك آثاراً فوق السجادة النميّة • لم تفكر حتى في خلعه قبل أن تغوص في عمق السجادة •

أراد عبد الله أن يعطيها بعض المال ويصرفها • يقول لها انه لم يكن جاداً فيما قاله لها • انما الأمر كله لم يزد عن مزحة كبيرة معها •

أرادت البنت أن تغريه ، فتصرفت كما كانت تفعل نساء الكازينو معه . رفعت رقبتها لأعلى في دلال . وحركت جيدها وقالت :

— ها أنا أمامك . تقدم منى .

جسدها ليس سيئا . بل هو أفضل من أجساد كثيرات تعامل معهن . أفضل من جسد ليلي المغنية المشهورة المشككة في وجهها الدميم هذا .

قام عبد الله شدها من يدها في عنف وأسرعت خلفه منقادة وفاقدة الإرادة . وصل بها الى الحمام . قال :

— تعرفى . كيف تستحمين ؟

— أعرف .

— سأضبط لك الماء الساخن والبارد . واخلى هذه الملابس وانقعى جسدك في هذا البانيو حتى تذيبى الأوساخ .

— سأفعل .

ضبط لها الماء الساخن والبارد . ثم أغلق باب الحمام عليها .

جلس في مكانه شاردا . قال من مقعده :

— ارمى كل ما تلبسينه من خلف الباب .

— لماذا ؟

— اسمعى ما أقوله لك .

كل همها أن يرضى عنها . ويحقق لها أعز أمانيتها . بأن تكون عشيقه له مثل ليلي وفريدة .

رمت كل ملابسها • رفعها بطرف المكنسة • ثم أشعل
النيران فيها داخل المطبخ • وأخرج من دولابه ملابس لها • موجودة
دائما لاستعمال صاحبة النصيب • لا يذكر عبد الله أن كان قد
اشترى هذا القميص • أم أنه ملك لواحدة ، جاءت به مرة
ونسيته • أو تركته للمرأت القادمة • وكذلك الفستان •

خرجت عزيزة من الحمام ، شعرها مبتل ، وملابسها غير
منضبطة على جسدها • لكنها - على أى حال - أفضل بكثير
من القرف الذى خلعتة وأحرقه عبد الله بيديه •

أخذها الى حجرة النوم • كانت فى يده كالدمية • تتحرك
كما يقول لها • تأوهات بقدر ما تستطيع • وتدللت مال عبد الله
عليها • فأحس بأن وجهها مازال كما هو • وأنه غير قادر على
احتماله • فقام فزعا • قالت :

- ماذا ، غيرت رأيك ؟

خرج من حجرة النوم ملولا • أراد أن يتركها فى الفيلا وينزل •
الكازينو ليس بعيدا • وقد يجد فيه واحدة ممن يتعامل معهن •

رأى مجلة من مجلات السينما أمامه أخذ يتصفحها لعله يهدأ
قليلا • رأى صور الممثلات : أودرى هيبورن ، راكل والش ،
صوفيا لورين • هند رستم • قص صورة هند رستم من المجلة •
وبحث عن قطعة أستيك ودخل حجرة النوم • رأى عزيزة تجلس
بالملايس الواسعة • مهزومة حزينة وبأكية • قالت :

- أريد ملابسي •

أرادت أن تعترض بأية طريقة على تجاهله لها ، وازدراؤه :

- لقد أحرقتها •

— آخذ هذه الملابس وأنزل الى الشارع •

— لا • انزلى عارية •

أحست بأنه سيعطيها هذه الملابس الجيدة والغالية الثمن •

اقترب منها • جلس على حافة الفراش • اقتربت هى منه
أكثر • أحست بأن هناك أملا • وأنه لم يرفضها كل الرفض •
فأخذت تتمسح فى جسده بذل • وضع صورة هند رستم فوق
وجهها • وربطها فى أذنيها بالأسستيك • تأوهت وناحت كأفعى •
سعد بها وانتشى •

سعدت هى — أيضا — لأنها أصبحت مثل سيدات الكازينو
اللانى يقبضن من فبكتور صاحب الكازينو ومن الزبائن الذين
يتعاملون معهم •

- ٣ -

انصلح حال الجو في المساء • لم يعد حارا كما كان وقت
الظهيرة •

قالت صابرين لأبيها الحاج الدسوقي :

- ألن يأتي اليك عم محمود ؟

وعم محمود هذا هو سائق الحنطور الذي يأتي الى الحاج
يعربته لينقله من مكان الى آخر • قال الحاج :

- لا سأسير الى دكان عمك الحاج محمد سماحة •

- ليتك تحييه باسمي •

قبل أن يخرج الحاج سأل ابنته :

- لم يسأل الصول عبد الله ؟

صاحت غاضبة :

- لا أريده أن يسأل • ولا أريد أن اراه •

— عوض التومرجى أخبرنى بأنه رآه • وجلس معه على
القهوة •

— هو حر • يجلس فى القهوة ، فى الكازينو •

— لا تحزننى • الرجل أخذ على خاطره لأنك رميتى له الدبلة •

— أتريد أن أبقى عليه بعد كل ما سمعته عنه ؟ !

— يا بنتى • الشباب يفعل أشياء كثيرة قبل الزواج • المهم
أن يكون مستقيما بعده •

— معرفته لنساء كازينو اليهودى • يجعلنى أؤكد أنه
سيظل هكذا طول عمره •

— لا تغضبى هكذا • وعندما يعود أخوك احمد سنرى
ما سنفعل •

بكت صابرين • حاولت أن تتماسك كيرا أمام أبيها •
وتظاهرت بأن أمر عبد الله لا يعنىها فى شيء • لكن قلبها يأكلها
عليه • فتتظر من خلال شيش النافذة عليها تلمحه مارا تحت البيت
كما كان يفعل قبل أن يخطبها • أو مارا فى طريقه الى قهوة
عبد الزردونى التى كان يحرس على الجلوس فيها أيام
اجازاته •

لكن الرجل ما صدق أن أعطته الدبلة وآدى وش الضيف •
قال • بركة يا جامع •••••

كان عبد الله صديقا لأخيها أحمد • يأتى لزيارته كل يوم
تقريبا • قبل أن يلتحق بالبحرية • يستذكر أحمد دروسه ،
ويقلب هو فى محطات الراديو ، يبحث عن الموسيقى والغناء •
يخرج الى الشارع ويأتى بالحلوى ، والفاكهة ، يأكلانها معا ،

والبيت كله نائم .. كانت أمه موجودة وقتذاك . فتدعو الله أن يكون من نصيب صابرين الولد غلبان ، ابن عيلة حقا . لكنه لا يجد صدرا حنونا . كانت أمها تعد له طعاما مخصوصا مرددة :

— غلبان . ليس لديه من تطبخ له . اكله كله اكل عذاب .
البيض المقلى والفول والطعمية والسجق . لا يعرف كيف يعد المحسى . ولا أن يحشو الفراخ .

بعد أن سافر أحمد . انغمس — هو — في سهرات اليهودي الملعون . خاصة ليلي التي تسأل عنه ببجاجة اذا ما غاب عنها . ربما تغريه شهرتها وأغانيها في اذاعة الاسكندرية ، وفي الأفراح ، وفي كازينو فيكتور اليهودي ليس مهما . فسيعود عبد الله اليها . فأكيد سيعلم أن أخاها عاد من ألمانيا . وسيأتي ليصافحه ويسأل عنه وقتها ستبسم له وتصالحه . ستنظر اليه من بعيد . نعم . لن تضيع الفرصة هذه المرة .



سار الحاج الدسوقي حتى شارع رأس التين . حيث دكان الحاج محمد سماحة . هو في الأصل دكان حلاق صحنى . لكنه ليس كأي حلاق . الدكان واسع ببابين من الصاج . يغطيها بستارتين من القماش المخصص للستائر داخل الدكان الواسع أربعة مقاعد للحلاقة . يعمل صنايعبة عليها . ومكتب مخصص لجلوس الحاج . لكنه قلما يجلس فوقه . فجلسته المفضلة وسط أصحابه الكبرين والذين يكادون لا يتركون المحل ..

يجلس في الخارج وحوله أحبابه من كل مهنة . وإن كان يغلب عليهم الأفندية . فالعديد من متعلمي بحرى ومقفيه يأنون

الى الحاج محمد سماحة ، يسمعون **الله** . ويتحدثون معه .
الرجل قرأ كتباً صفراء كثيرة يدهش حتى المثقفين - من أهلى
بحرى - كيف استطاع الحصول عليها .

أحد أولاده - الذين كبروا الآن - يجلس فوق المكتب ليأخذ
ثمن الحلقة من الزبائن . لكن اذا ما جاء الى الدكان أحد المعدودين
فى الحى . وأحس الحاج بأنه لابد من تكريمه ، وأن يخصه
بالتحية ، يقوم ويلح عليه بأن يحلق له رأسه ، أو - على
الأقل - يحلق لحيته بنفسه . والحاج الدسوقى واحد من هؤلاء .
فقد كان يجلس وسط مريدى الحاج محمد سماحة أمام الدكان ،
وتطرق الحديث الى الدين - وهو عادة ما يتطرق اليه - والى
الذين حلموا برؤية الرسول - عليه السلام - فى المنام . وحكى
كل واحد ما حدث له فى المنام ، وصمت الحاج الدسوقى طويلاً .
ثم قال بعد تردد على استحياء :

- لقد حلمت برؤية أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -
جاءنى فى ليلة كنت فيها قلقاً وحزيناً . وقال لى « ان **مع** العسر
يسرا ، ان **مع** العسر يسرا » . وصحوت وأنا أصبح مردداً بأعلى
صوتى « ان بعد العسر يسرا » صمت الجميع . وابتسم الحاج
محمد سماحة . وعندما حان وقت تهذيب لحية الحاج الدسوقى .
اقسم سماحة بأن يفعل هذا بنفسه . وكان أحد الصنایعية يفعل
هذا من قبل .

وهنا الجميع الحاج الدسوقى لما ناله من حظوة ومكانة
وتكريم لدى الحاج محمد سماحة .

وفى أوقات الصلاة يقف الحاج سماحة أو أحد الجالسين
ويؤذن للصلاة . ويمد عماله وابناؤه الحصر فوق الرصيف العريض،
ويصلى الحاج سماحة بهم .

يحكون فى الحى بأن الحظوة التى نالها الحاج سماحة ليس
السبب فيها عمله كحلاق صحة • يطاهر ويداوى الجروح •
ويعالج الأمراض البسيطة كالامساك والاسهالك والمغص • ومس
الأذنن والعينين • انما السبب هو قيامه بأعمال خفية لا يقدر عليها
أحد من سكان الاسكندرية سواء • مثل فك المربوط (غير القادر
على ايتاء زوجته) وفك السحر • الخ •

وقد شاهد سكان بحرى بعيونهم شخصيات هامة جدا فى
البلدة تأتى اليه من أجل هذا • ومن المؤلف الحى • أن يرى
المارة — أمام الدكان — العديد من السيارات الفارهة الغالية
الثنم بسائقها فى انتظار أصحابها الذين جاءوا الى الحاج محمد
سماحة ملنمسين منه العلاج أو المشورة •

* * *

كان الحاج محمد سماحة يجلس خارج دكانه وحده • اقترب
الدسوقى منه :

— السلام عليكم يا حاج سماحة •

وقف سماحة مرحبا ، وشد له المقعد الخالى بجواره •
كان سماحة يتمتم — كعادته — عندما يكون وحده ، ببعض الأدعية •
قال الدسوقى :

إلى

— جئت لأخبرك باننى سأسافر/ القاهرة صباح الغد •

— خير ؟

— أحمد ابنى ارسل تلغرافا • وسأنتظره فى المطار •

— أسافر معك ؟

- - سيسافر الدكتور يوسف معي .
- أمتعض سماحة ولم يرد :
- - اعلم أنك لا تحبه .
- - الله أعلم بالقلوب يا حاج .
- - لكن الدكتور يوسف لم يقصر في شيء . يعالج المرضى من أهل الحي ، ويساعدهم - أيضا - في أى مشكلة تقابلهم .
- - الله أعلم بالقلوب يا حاج .
- - الرجل لم يتأخر ، عندما علم بالخبر عرض على أن أسافر بسيارته .
- - هذا شأنك يا حاج . والدكتور أحمد ابننا جميعا .
- سردا للحظات حتى قال الدسوقي :
- - يوسف ينمى أن ترضى عنه ، وأن تسمح له بالجلوس معك .
- - الله يرضى عنا جميعا .
- لم يختلف يوسف مع الحاج محمد سماحة ، لأنه يقوم ببعض اختصاصاته الطبية كالطهارة واعطاء الحقن والتغيير على الجروح . ولم يعلن يوسف رفضه لما يقوم به الحاج . بل كان يشنى عليه ذلك خاصة أن الحاج سماحة لم يدع لنفسه ما لا يعلمه . فاذا ما كانت الحالة صعبة بعض الشيء ، ينصح بالذهاب الى الطبيب .
- العلاقة بين يوسف والحاج سماحة يشوبها الحذر والتوتر . فيوسف يعرف ان الحاج سماحة لا يحبه ولا يرتاح له . بل هو

يعامل كل يهود الحى بحذر وحساب . وان كانت معاملته لهم ليست فى مستوى واحد . فهو - مثلا - يجاهر بكرهه لفكتور . ويلعنه فى جلساته لادارته للكازينو بهذه الطريقة السيئة . بينما يأخذ موقفا سلبيا من باقى اليهود الآخرين . لأنهم لا يسببون له ضررا مباشرا .

عندما وقف الحاج الدسوقي مستأذنا . سار الحاج سماحة معه بضع خطوات . ثم قال له :

- أرجو ، عندما تعود من رحلتك سالما غانما . أن تضع حدا لما يحدث فى كازينو الخواجه فيكتور .

- تقصد حكاية « لالى وبوللى » ؟

- هذان ليس اسميهما الحقيقيين . هما مسلمان .

- سنرى هذا عندما أعود بأذن الله .

وسار الحاج الدسوقي متلنذا بلفحات الهواء الباردة المعسة الآتية اليه من ناحية البحر القريب . وعاد سماحة الى مجلسه فى انتظار ورود رواده واحدا وراء الآخر .

يعرف الحاج الدسوقي أن الولدين بوللى ولالى هما ابنا حافظة المسلمة . وقد كانت متزوجة من رجل مات . نجبت منه ولدا تركها وترك الاسكندرية كلها من اجلها عندما كبر . ثم ظلت بلا زوج لسنوات قليلة كانت تتردد فيها على فيكتور صاحب الكازينو . اعتقد الناس - وقتها - انه يغريها بالرقص عنده كما فعل مع العديد من نساء الحى . لكن حافظة لم تعمل عنده .

نسوة الحى يعرفن رغبة حافظة الشديدة للرجل ، وأمنيتهما بان تتزوج . بعد محاولات عديدة فشلت ، استطاعت حافظة أن

توقع بأحد الرجال • وغابت عن الحى طوال فترة زواجها منه •
لكنها عادت بعد شهور قليلة حاملة طفلين توأم ، كانا كفلقتى قمر •
وشاع بعد ذلك ان زوجها - الذى لا يعرفونه فى الحى • لم يعترف
بأبوة الولدين • فزواجه منها لم يدم سوى شهور قليلة لا تكفى
للولادة • وطلقها ذلك الزوج • فعادت بالولدين « لالى وبوللى » •
ولم يكن اسميهما هكذا عندما ولدتهما • ذهبت حافظة الى فيكتور
اليهودى الذى أسكنها فى حجرة فى بيته • ومن يومها وأصبح الولدان
فى عهده • وسماهما بهذين الاسمين الغريبين على المسلمين وعلى
اهل بحرى • ماذا يعنى لالى ؟ أو بوللى ؟ • كل ما يعرفونه عن
بوللى ، انه كان فاسقا • وقوادا ومحرضا على الفسق لدى
فاروق الملك •

وكبر الولدان فى كنف فيكتور اليهودى • واصبحا طويلين اطول
من فيكتور بكثير • وبديا جبلين من اللحم الأبيض المائل للأحمرار •
ووجهاهما أحمران وشعرهما أصفر • وملاحة ظاهرة فيهما وراثاها
عن أمهما حافظة الجميلة التى غابت عن الحى بعض الوقت ثم
عادت اليه ثانية •

لكن الولدين بديا فى صورة البلهاء • أو ربما لأن الخواجه
فيكتور قد سلب شخصيتهما • ورباهما وكأنهما حيوانان ، كلبان
اليفان ، أو قطان تستجيبان لما يأمرهما به • وتفعلان ما يشاء •

كان فيكتور القصير - الذى يبدو فى حجمه وشكله كالبلاص ،
يقفز ويضرب الولدين على وجهيهما أمام رواد الكازينو وسط
الضحكات • والولدان يتسمان ردا على ضحكات الرواد العالية •
وينفذان ما يأمرهما به فيكتور مهما كان ذلك قاسيا عليهما
أو غريبا •

كانا في الكازينو كقردين يسلى فيكتور بهما رواد الكازينو .
فيما ينظفان الكازينو ، ويمسحان بلاطه ومقاعدہ . . . ويعملان في
اعداد الخمر والمزة ولحم الخنزير .

أهذا يرضى أى مسلم فى الحى ؟ ! الأمر الأغرأ والأكرأثاره ،
هو أن الولدين - للآن - لم يتم ختانهما طبقا للتعاليم الاسلاميه .
والأأ سماعه وأثق مما يقول . فقد رفع قفطانيهما ، وشاهد
عورتيهما بنفسه . . وتأكد . من أنهما - للآن - لم يتم ختانهما .

- ٤ -

أصر الدكتور يوسف أن يكون السفر بسيارته ، وأصر الحاج
الدسوقي أن تبقى صابرين في البيت وألا تذهب معهما ، فهي ليست
بقدر السفر والترحال والتعب . وسوف يعود أخوها إليها وستراه
وتعانقه في البيت . فما حاجتها إلى أن تسافر معهما ؟ !

قبل أن تنطلق السيارة في طريقها إلى القاهرة ، لمح الحاج
الدسوقي آمال تنظر من الشرفة ، كان الوقت مبكرا جدا . فما الذي
يوقظها هكذا ؟ !

قال الحاج ليوسف :

- آمال ، هي التي تقف في الشرفة ؟

أجاب يوسف في أسى :

- هي يا حاج .

- وما الذي يوقظها مبكرا هكذا ؟ !

أرتبك يوسف قليلا . ثم قال :

— لعنها • لعنيا تريد ان نطمئن على •

— عندها حق • فأنت ابن عمها ومتربى معها •

يعلم يوسف ان استيقاظ آمال المبكر — هذا — ليس من أجله هو •• وانما لأنها فرحة لقدم احمد الذى غاب عنها أكثر من أربع سنوات •

يوسف — عو الآخر — لم ينم ليلة أمس • قلق من أجل التلغراف ، ومتوثب ومتوتر من أجل آمال • يود لو صعد الى شقتها لكي يطمئن عليها • يراها • يعرف أحاسيسها •

كان قد ارتاح لسفر احمد • على أهل أن نساء آمال وبحس بيوسف اليهودي مثلها وابن عمها ، والذى يود لو رضى عنه وقبلته زوجا • المشكلة الأخرى — الآن — ان عودة أحمد — بعد حصوله على الدكتوراه فى الطب — سيجعل أهل بحرى يلتفون حوله ويتركونه هو الذى سهر الليالى من أجلهم • طوال أربع سنوات كاملة احمد يتعلم فيها وينابع نساء المانيا الجميلات ذوات الأجساد الرائعة المتينة • بينما يوسف يعمل فى المستشفى التى أكثر روادها من حى بحرى ، ويسير فى العبادة ، يأخذ منهم أقل أجر • بل ويعطى المحتاج منهم اذا ما رآه فى حاجة الى مال •

قال الحاج الدسوقي :

— سماحة كان يريد أن يأتى معنا •

— أكيد غير رأيه عندما علم أنى مسافر معك •

— لماذا يا يوسف • عمك الحاج سماحة رجل طيب ويعبك •

— انت الطيب يا حاج • الحاج سماحة يحبنى ولا يحب عمى زكى • بل لا يحب أى يهودى فى بحرى •

يعرف الحاج الدسوقي أن سماحة لا يحب اليهود جميعا . وأن
ما قراه عنهم في كتبه الصفراء مائل - دائما - أمام عينيه . يحكى
دائما عما لاقاه الرسول محمد منهم ومن غدرهم والأعيبهم . وأحس
الحاج الدسوقي أن الواجب يقتضيه أن يزيل هذه الفجوة بين
يوسف والحاج سماحة . فالدسوقي يحبهما معا ، ويوم المنى عنده
عندما يجمعهما معا . فقال :

- الحاج سماحة لا يكرهك . ولا يكره عمك . لكنه

وصمت الدسوقي . أحس أنه قد تورط . وأن الوقت
لا يسمح لاثارة المشاكل فيوسف - كره خيره - ترك عمله ومشاغله
وذهب معه الى القاهرة لاستقبال ابنه . قال يوسف :

- ماذا يا حاج . لماذا لم تكمل ؟

- الأمر أتفه من أن نعطيه اهتمامنا .

- لقد سافر اصحابي جميعا من اليهود الى بلدان العالم
المختلفة ، واخى واختى سافرا الى

لم يكمل يوسف . فأكمل الحاج الدسوقي :

- الى اسرائيل اليس كذلك ؟

- نعم . واعمامي وأخوالي وباقي الأسرة سافروا أيضا
الى اسرائيل وغيرها ، وبقيت بينكم لاحساسى اننى واحد منكم .

- أعرف هذا يا يوسف يابنى . والكل فى بحرى يحبونك
ويقدرونك .

* * *

كان عبد الله يجلس فوق سطح السفينة مصر .

أحس بصداع لا يعرف له سببا . ربما من الشمس العفية
اليوم . وربما من سهره بالأمس . لولا الظروف التي جدت ما جاء
الى السفينة هذا اليوم . والعقيد حسن المختار كان سيحتسبها
اجازة له . فقد قام عبد الله بالأمس متأخرا . واسنيقظ بعد عذاب
وتعب . ألقى بالمنبه من فوق الكومدينو المجاور للسرير ليسكته .
بعد أن أحس بدقات المنبه الرتيبة تدق رأسه دقا عنيفا .

ظلت البنت عزيزة تؤرقه . فقد أخرجها من الفيلا بعد عناء .
لم تكن تريد أن تخرج . قال لها :

— ايه . تريد أن تبقى فيها ؟

— لا . لكن دعنى أرتبها لك .

— لا أريد أن نرتبها . أخرجى الآن واسمعى كلامى .

أعطاهما عبد الله مبلغا لن تستطيع الحصول عليه ولو شوت
الذرة على الكورنيش لشهر بأكمله .

أفاق عبد الله . ثم ضحك من نفسه . ثم بكى . ما الذى
جعله يفعل هذا . أوصل الى عزيزة . البنت المتسخة الثياب
دائما والمنكوشة السمر ؟ ! ستفضحه البنت — حتما — فى
الكازينو . ستقول لليلى وفريدة .. ستخبرهما بما فعله معها .
وسيضحك رواد الكازينو من جنونه .

ابتسم عبد الله . هو مجنون لاشك العقيد حسن المختار
يؤكد هذا دائما . ولو سأله عن دلائل هذا الجنون لأكدھا
بأسباب عدة تزيد عن العشرة .

حقا ، ما الذى جعله يفعل هذا • أهو الشعر ، أم حكاية
المدفن القديم الذى يسكن بجواره • ويراه من الفراندة ليل نهار •
يراه عبد الله مدفنا رغم تحويله الى حديقة عامة ومرحاض
عمومي •

— عبد الله • افق • استبْقْظ •

— انسى •••••

— انك نائم الآن •

— نعم • لقد سهرت كثيرا ليلة امس •

ضحك العقيد :

— ماذا ، كنت نكسب قصيدة جديدة • ؟

— بل كانت معى فتاة •

وحكى عبد الله له عما حدث • فضحك العقيد وقال :

— عزيزة لن تفضحك • انت الذى سنفضح نفسك •

جاء زميل من السفينة قال :

— الرئيس جمال عبد الناصر سيلقى خطابا هاما الليلة •

— حسنا ، سنسمعه جميعا من ميكروفونات السفينة •

بعد أن ذهب الزميل • سأل عبد الله عقيدته :

— أنظن ان عبد الناصر سيحارب ؟

— الجومسحون • والتعزبزات الاسرائيلية على حدود سوريا

لا تترك لنا خيارا •

— اننى قلق لهذا •

— اطمئن • قيادتنا واعية تماما •

* * *

وقف الحاج الدسوقي بقامته المديدة • وجسده العريض في صالة الانتظار بمطار القاهرة • وبجواره دكتور يوسف بقامته القصيرة ونظارته التي لا يرى بها سوى خطوات قليلة أمامه • كان يوسف يرتعش من القلق والغضب • • انتظار موحش • خليط من الترقب والتحفز • أهو يحب أحمد - هذا - أم يكرهه ؟! لا يدرى للآن • لقد كان أحمد يحميه أيام الدراسة ، لكنه قادم - الآن - من ألمانيا ليتحداه ، ليقف بجواره أمام الناس • ليكشف لهم مدى طوله وعرضه بالنسبة ليوسف • فوق هذا وذاك وسامته الملحوظة •

في هذه اللحظات يتمنى يوسف لو كان قد ترك مصر كلها وارناح من أحمد والحاج الدسوقي وسماحة الذي لا يحبه ولا يحب اليهود الذين يعيشون في حارة اليهود وفي كل مكان ببحري •

لكن آمال وحدها هي التي أبقتة فيها • آمال لا نريد أن تبحرنا • لم يفكر يوسف في الذهاب الى اسرائيل • لا ، أي دولة يعيش فيها مرتاح البال • هو لن يغلب • فقد نعلم الطب في مصر • واستفاد من مجانية التعليم التي أقرها عبد الناصر • ويستطيع أن يعيش مرتاح البال - أيضا - في أي دولة كانت • فالطب في كل مكان واحد ، لا يتغير •

آمال متمسكة بمصر • ووالدها كذلك • كلما نحدث يوسف معه ، يقول له :

- انني أعيش ذكرى ياني هنا • أقاربى دفنوا في مقابر اليهود بالشباطي وأصدقائي من يهود وغير يهود • وبقيت مثل السيف فردا (يحلو لزكى - عم يوسف - أن يذكر الأشعار العربية •

يحفظ شعر المتنبي وامرئ القيس وعمرو بن معد يكرب وشوقي
وحافظ ابراهيم) .

يجلس أمام سينما القريية من بيته . يتنفس هواء شارع
التتويج الواسع ، ويبتسم لشاشة السينما سعيدا . . تساءل
يوسف كثيرا . ما الذى يجعل عمه يفعل هذا ؟ ! أهى ابنته التى
تبقى على مصر من أجل حبها لأحمد ، أم أن هو الذى زرع فى قلب
ابنته حب مصر .

اقترب أحمد بقامته التى تصل الى قامة والده . لكنه انحف
من أبيه بكثير . شعر رأسه شديد السواد . وعيناه كبيرتان
تبدوان من بعيد . .

دفن يوسف جسده الضئيل الضامر فى جسد أحمد .
- أوحشتنا .

- كيف حالك يا يوسف ؟

تركه يوسف يصافح والده ويحدثه . وتابعه فى تأمل
وأناة . .

انتظر أن يسأل أحمد عن آمال . لكنه لم يفعل . ماذا . .
أنسيها فى المانيا . أم أنه يتظاهر بنسيانها أمام يوسف
لعله - قبل سفره - أحس بأن يوسف يحبها . سنوات طويلة
ويوسف يحلم . بأن يعود أحمد وفى ذراعه سيدة المانية أحبها
أحمد أيام الدراسة فتزوجها وعاد بها .
بحث يوسف . لكنه لم يجد امرأة ، أو ظل امرأة .

فى السيارة . قال أحمد :

- اننى قلق من أجل

ظنه يوسف سيقول « آمال » . لكنه قال « الحرب » .
- أية حرب ؟

- بيننا وبين إسرائيل . خارج البلاد تعرف الحقيقة أكثر .
- لا تقلق ، هذه مناوشات دعائية لا أكثر .
- لكنها هذه المرة أكثر حدة .

قال الحاج الدسوقي :

- عبد الناصر عاقل ولا أظنه يجازف ويحارب وقواته
في اليمن .

أنهى يوسف الحديث في مسألة الحرب بأن قال :
.. أظنه سينهى هذه الأزمة في خطابه الليلة .

* * *

لم تخرج آمال من شقتها اليوم . فمستشفى السبع بنات
اجازة . وودت لو ذهبت الى بيت أحمد تنتظر قدومه من المطار ،
تنتظره ، لكنها لم تتعود الذهاب الى بيته . هي تعرف اخته
صابرين معرفة سطحية . فقد زارتها مرة أو مرتين في مستشفى
السبع بنات . كانت تشكو الما في أذنيها . وقابلنها آمال مرات
قليلة في مناسبات بالحي . لو ذهبت آمال الى بيته تنتظره .
ستحس صابرين بانها تحبه .

ظلت آمال جالسة في الفراندة تتابع قهوة فاروق القريبة ،
حتى جاء والدها - كعادته - كل يوم . ليتناول الغداء فالسينما
تغلق أبوابها بعد الحفلة الصباحية . ترتاح الماكينات من الواحدة

حتى الثالثة ظهرا . يقوم وقتها العمال بكنس السينما ومسح المقاعد . واعداد الماكينات للعرض . .

قليلًا ما يذهب والدها لحضور حفلة الساعة الثالثة . فهي حفلة ميتة - على حد قوله - روادها قلة . وايرادها بالكاد يغطي مصاريفها .

يذهب الى السينما حوالي الخامسة أو الخامسة والنصف .
ليشرف على قطع تذاكر حفل السادسة ، والتاسعة أهم حفلتين في اليوم .

زكي داود - والد آمال - يبدو في معظم تصرفاته وكأنه مسلم ابن مسلم ، خاصة أن اسمه لا يوحى باليهودية ولا بالمسيحية . كثير من المسلمين يسمون زكي وداود . وشكله لا يختلف عن شكل أولاد البلد : سماره ، وشعره الأسود المجعد . واهتماماته غير اهتمامات اليهود . فهو يقرأ في الأدب العربي القديم ، ويبحث في المكتبات التي تعنى بالكتب القديمة المستعملة . عن الكتب التي تبحث في الأديان وتاريخ الأديان خاصة الدين الاسلامي ، عاشر زكي داود يهودا كثيرين . كانوا يعنون بلغات أخرى غير العربية . فيحرصون على تعلم الفرنسية أو الانجليزية . ويتعالون على اللغة العربية .

اقترب زكي من آمال ، رآها تشد ايشاربا حول رأسها مما يوحى بأنها تشكو الما في رأسها .

- أتحسني صداعا في رأسك ؟

- لا أحس بكسل . وبعدم الرغبة في فعل شيء .

- أحس . أحيانا استعذب الكسل .

زوجته ذهبت الى اسرائيل . طلبت منه هذا والحت .
لكنه عارضها . شرح لها مزايا البقاء في مصر . لكن المرأة اعدت
عدتها وهربت ذات ليلة . عرف بعد ذلك انها في اسرائيل . ثم
تبعها الولد الكبير ابراهيم . . . حزن زكى عليه أكثر من حزنه على
سارة زوجته . فهو ولده الوحيد وأول فرحة . وكان يعتمد عليه
في كل شيء . كان يدير السينما ويشرف على حساباتها . هرب
الولد بعد أمه بشهور قليلة . يعرف انه وصل — هو الآخر — الى
اسرائيل ، بعد رحلة طويلة من اليونان الى ايطاليا الى أمريكا .
ونادته أمه من اسرائيل فذهب اليها . .

لم يعد زكى يفكر في الأحلام التي عاش من أجلها . أن يمتلك
شركة إنتاج سينمائية . فقد عشق زكى السينما منذ طفولته ،
وتمنى لو أصبح ممثلاً مثل شالوم اليهودى الذى كانت تسمى
الأفلام باسمه . ومثل العديد من اليهود الذين عملوا في السينما
العربية : ليلى مراد ، وأخيها منير . وراقية ابراهيم وكاميليا
ونجوى سالم وغيرهم وبالفعل ظهر زكى في عدد قليل جداً من
الأفلام . في أدوار صغيرة للغاية . ثم فقد الأمل في أن يكون ممثلاً
معروفاً مثل شالوم . فاكتمى بسينما هذه التى يعشقها الآن .

لقد جنى التليفزيون على السينمات . خاصة سينمات
الدرجة الثالثة مثل السينما التى يمتلكها زكى . فالتليفزيون يعرض
بالحاح الأفلام التى كانت تعرضها هذه السينمات . مما حدا بالناس
الى أن يقللوا من الذهاب اليها . والبعض قاطعها نهائياً . وأدى
هذا الى اغلاق العديد منها مثل : بارك المواجهة لمدرسة الطائفة
الاسرائيلية . وماجستيك المواجهة لـ دكان بنيامين أشهر بائع فول
وطعمية في الاسكندرية . والشرق القريبة من شارع البير والتى
تحولت الى جراج كبير هناك .

لكن حب زكى داود للسينما جعله يتمسك بها . هي -
الآن - تدر عليه ربها أقل من الأول بكثير . لكنه لا بأس مادام
يستطيع العيش في أمان هو وابنته الوحيدة الآن .

عندما هربت سارة زوجته الى اسرائيل . وتبعها ابنها
ابراهيم . خاف زكى من أن يضعف أو يصيبه مكروه وتبقى آمال
وحدها في مصر . خاصة أن حياة اليهود في السنوات الأخيرة لم
تعد سهلة . منذ أن قامت دولة اسرائيل وقامت الثورة وظهر
جمال عبد الناصر . وزاد امتداد القومية العربية .

وقتها مسح زكى على شعر ابنته في حنان وقلق :

- ذهبت أمك الى اسرائيل ولم يبق سوى لك .

- أنت الخير والبركة .

- اننى قلق عليك في مصر .

- غريبة . لقد ولدت هنا ، وتعلمت هنا . ولن أترك مصر

لأى بلد آخر .

- قد أموت في القريب . وستظلين وحدك .

- بعد الشر عليك .

- الزواج هنا لليهوديات أصبح صعبا . فالراغبون في

الزواج من اليهود قلة .

- ذلك ليس مهما .

- ويوسف ابن عمك

ولم يكمل . هي - أيضا - لم تسأله عما يريد . فهي تعرف
من كثرة ما قاله في ذلك الموضوع ما يريد أن يقوله « الزواج من

يوسف هو الحل الوحيد • فيوسف ابن عمك ويحبك • وانت تعرفينه اكثر من غيره •

لكن آمال ترفض هذا بشدة •

يعرف زكى ان الحل الوحيد لآمال هو السفر بعيدا • أى بلد اوروبى أو أمريكا لتجد يهودا كثيرين • يتقدمون للزواج بها • أم ستظل هكذا بدون زواج • قالت آمال :

— أحمد سيعود من ألمانيا اليوم •

— أحمد • من أحمد هذا ؟

— ابن الحاج الدسوقي شيخ الصيادين •

— نعم • نعم • لقد سافر منذ وقت طويل •

لم يلحظ الرجل ارتعاشة الكلمات فوق شفنى ابنته وهى تتحدث عن أحمد هذا • ولم يحس بنبرة الصوت الغريبة التى تنطق بها اسمه • فالرجل لا يظن أبدا أن تحب ابنته شابا غير يهودى •

تركنه آمال وذهبت الى الفراندة لتتابع سَارع التنويج • وجلس زكى فى الداخل وحده •

تحركت سيارة يوسف داود عند العودة • جلس أحمد
الدسوقي بجواره • ووالده الحاج في الخلف كان فرحا كطفل
لعودة ابنه • وأحمد شارد يتابع الطريق من النافذة • قال
يوسف :

- مالك يا أحمد ؟

- بخير •

قال الحاج الدسوقي من مقعده الخلفي :

- أنك شارد يا ولدي منذ أن نزلت من الطائرة •

- أفكر •

أحس يوسف أن في الأمر امرأة قد طلبت منه البقاء في
المانيا معها • وهو أصر على العودة الى مصر • فاختلعا • وجاء
وحده • لكن قلبه مازال متعلقا بها •

ابتسم يوسف لهذا الاستنتاج • فمعناه أنه لن يستطيع
احتمال فراقها • وسوف يعود اليها ويعيش في ألمانيا معها •

تذكر يوسف مدرسة الطائفة الاسرائيلية • العمال اليهود
مازالوا يعملون بها • بعضهم يعمل كاتباً • والآخرون سعاة
فيها • حكى هؤلاء عن الطائفة الاسرائيلية التي كانت تشرف على
المدرسة • يأتون في الاحتفالات • خاصة في الأعياد اليهودية •
يجلس الحاخامات أول الصف ومنشا باشا الذي أهدى بلدية
الاسكندرية قصره في حي محرم بك فحولته البلدية الى متحف
للفنون ومكتبة عامة • وفي المقابل أطلقوا اسمه على الشارع الذي
يقع فيه القصر • وظل الاسم كما هو حتى قامت ثورة يوليو
فغيرته •

وأسرة قطاوى الذى تولى أحد أفرادها (يوسف قطاوى)
وزارة المالية المصرية عام ١٩٢٤ وشيكوريل وغيرهم • لكن الزلزال
حدث ، زلزال يوليو ٥٢ • الذى غير كل شىء ثم انتقل العداء
بعد ذلك الى كل يهود مصر •

كان يوسف يسير فى شوارع الاسكندرية ، فيسمع الكلمات
الكارهة لليهود تأتى من كل مكان • المساجد تذكر من خلال
ميكروفوناتها العالية • أن اليهود جبناء وبخلاء ولا يحفظون عهداً •
وكثيراً ما آذوا النبي محمد عليه السلام فى كذا وكذا وآذوا كل
الأنبياء والرسل •

واذا ما ذهب يوسف مع أصدقائه الى السينما يحس
بالضيق • ويتمنى لو كان لم يأت معهم • ففي الفيلم ممثل يقوم
بدور يهودى • لابد أن يخنف بأنفه (لم ير يوسف يهودياً واحداً
فى مصر يخنف بأنفه هكذا) ولابد لليهودى أن يكون بخيلاً وجشعاً
ومفرطاً فى شرفه •

قال احمد الدسوقي :

— انت الذى تشرد يا يوسف الآن • وليس أنا •
— نذكرت مدرسة الطائفة الاسرائيلية • وقول بنيامين
أتذكره ؟

— ياه • أتمنى أن آكل عنده الآن •
— لقد اشترى الدكان واحد مسلم • لكنه — والحق يقال —
مازال محتفظا بجودته وحسن ادارته •

يقود يوسف السيارة • يندفع هو — دائما — يفعل أشياء
لا يريدتها • حياته بعد حرب ٥٦ أصبحت عذابا رغم ذلك فضل
البقاء فى العذاب من أجل آمال • وقيادته للسيارة الآن — والذهاب
الى المطار فى استقبال أحمد الدسوقي ، نوع آخر من تعذيب
النفس •

كان أحمد وسط المدرسة • وداخل مبنى كلية الطب
بالأزارطة كأنه اله أغريقى قديم : قامته مديدة وجسده عريض •
ووسامته واضحة • الفتيات فى الكلية يعشقنه • يكتبن الرسائل
ويدسسنها فى وسط دفاتر محاضراته أو يرمينها فى طريقه ليأخذها
ويقرأها •

يسبر يوسف بجواره يصنعان دعا العدد ١٠ • يضحك بعض
الطلبة من منظرهما •

قتل داود جالوت ، ضربه بالمقلاع فأرداه قتيلا • وكان داود
صغيرا • وضئلا • بينما جالوت عملاقا • وهكذا قدر ليوسف أن
يكون ضئلا بالنسبة لأحمد وبالنسبة لكل الطلبة فى المدرسة ،
ثم فى كلية الطب • لكنه لم يستطع أن يقتل أحدا • لم يتغلب على
أحد • كما فعل داود بمقلاعه •

ظل يوسف مارسا عاما في مستشفى السبع بنات • وفي عيادته
بشارع التتويج • يعالج جميع الأمراض • وأحمد تخصص في العلاج
الطبيعى • وعندما يقدم أوراقه سيعين مدرسا في الكلية •

قال يوسف :

— تذكر قصة مكسيم جوركى « قايم وارتيوم » •

ضحك أحمد :

— مازلت معجبا بها ؟ لقد جعلتنى اهتم بها ولا أنساها •
لماذا تعجب بها كل هذا الاعجاب • مع أن لجوركى قصصا أخرى
افضل منها بكثير •

أراد يوسف أن يقول : لأنها تذكرنى بحالى • ألا يكفى أن
قايم كان يهوديا مستضعفا • فما بالك وهو — أيضا — نحيل
وقمىء ؟ !

قال أحمد الدسوقى :

— وكيف حال عيادتك • أبلغنى أبى فى رسائله انها رائجة
للايئة •

— كل ما أبغيه خدمة الناس •

صمتا معا • وأحس الحاج الدسوقى أنهما يتحدثان فى أمور —
هو — لا يعبىها : جوركى وبوركى • كلمات يصعب عليه نطقها •
فسند الرجل رأسه بجوار النافذة وغاب عنهما فى نوم عميق •

* * *

تحسست عواطف درجات السلم بقدميها بحثا عن درجات
لا تراها فى ذلك الظلام الذى يشمل كل شىء • أما كان من الواجب
أن يضيئوا لمبة واحدة ليرى السكان الطريق امامهم • ؟ !

سألت عواطف عن شقة الحاج الدسوقي - شيخ الصيادين -
فقالوا انها بالعمارة المقابلة لنادى الكشافة . . باب العمارة من
« الجنب » فى شارع متفرع من كورنيش البحر . وها هى تصعد
درجات سلم العمارة المعنية .

دقت عواطف الباب فى وجل . فهى اول مرة تدخل باب
البيت . ولا تعرف سكانه . كما أن الظلام يزيد لها رهبة وخوفا .
اضاءت صابرين لمبة فوق باب الشقة مباشرة قبل أن تفتح .
وترفع المزاليج الكثيرة فهى وحدها فى الشقة الآن .

- مساء الخير .

- أهلا بك .

- شقة الحاج الدسوقي شيخ الصيادين .

- تفضللى .

دخلت عواطف ردهة مربعة واسعة أمامها ، واجهتها المائدة
الكبيرة التى تشغل جزءا كبيرا من الشقة ، ومفرش بلاستيكى
بألوان زاهية ، فوقها فائزة بداخلها ازهار صناعية ملونة .

- هو موجود ؟

- ارتاحى الى أن يعود .

جلست عواطف على الكنبه العربى . تابعت صور أحمد
المعلقة بشاربه الأكت :

- هو الحاج الدسوقي ؟

ضحكت صابرين :

— لا • هذا أخى — الحاج الدسوقي عجوز •
ضحكتا معا :

— أنا اخصائية اجتماعية فى مدرسة الأنفوشى الابتدائية •
— أهلا •

— عمتى متزوجة من رجل يعيش هنا فى بحرى • هو شاويش
فى البوليس •

تابعت صابرين الدبلة التى تلمع فى يدها اليمنى • قالت
عواطف فى أسى :

ومخطوبة لابنها •

قامت **صابرين** فجأة :

— سأعد لك شايًا — لا • لا • الجو حار اليوم • سأحضر
لك مشروبًا من النلاجة •

— أسكر • لن أستمع الانتظار • واضح أنه سيناخر •

لم تجبها صابرين • فقد يأخر والدها فعلا • فهى لا ندرى
متى وصلت الطائرة • ومتى سيقولون السيارة أو القطار للوصول
من القاهرة الى الاسكندرية • قالت عواطف :

— جئت من اجل ولد اسمه حسن عباس • كان مثالا للنجابة
والذكاء • لكنه أنقطع عن حضور الدراسة • ولما سألت عنه
قالوا ان والده كان صيادا وغرق فى نوة بالشناء الماضى •

— النوات تقفل الكبير •

— وماذا عن اولادهم ؟

- سأعد لك شايًا • أنتظري قليلا •
- لا • لقد تأخرت • وأنا أسكن سيدى بشر •
- دق الحاج الدسوقي زجاج شراعة الباب بخاتمه الفضى الذى يضعه فى خصره • قالت صابرين فرحة :
- ها هو أبى قد جاء •
- فتحت الباب بسرعة • واجهها أحمد بوجهه المستدير •
- أخى
- وارنمت صابرين فى صدره •
- أصر الدكتور يوسف الا يأتى الى الشقة رغم الحاج الحاج واصرار أحمد بأن يصعد معه • قال :
- منعب • سأخذ حماما ساخنا وأنام •
- يحمل الحاج حقيبة صغيرة • ويصعد وراء ابنه المحمل بحقيبتين كبيرتين محملتين • قال الحاج :
- لا تؤاخذ يوسف • فصحته على قدره •
- فوجيء أحمد بالضيقة التى لا يعرفها ويراهها لأول مرة ، ظنّها صديقة لأخته ، تعرفت عليها خلال غيابه الطويل نظر الى والده ليخبره عنها •
- وقفت عواطف خجلة • قالت صابرين :
- أخى أحمد كان يدرس الطب فى ألمانيا • لم نره منذ أربع سنوات كاملة •
- قالت عواطف :

— آسفة • جئت فى وقت غير مناسب ، بعد اذنكم • سآنى
فى وقت آخر •

قال الحاج الدسوقى :

— بل هذا هو الوقت المناسب • اننا فى فرح ولابد ان
تشاركينا فيه •

اسرعت صابرين لتعد الشراب •

حكّت عواطف عن سبب مجيئها • ثم اكملت :

— لاحظت أن الكثيرين فى المدرسة تتوقف دراستهم فجأة
بسبب موت عائلهم ، وذلك بسبب نوات البحر • فقلت لابد ان
نجد حلا لهذا •

قال الدسوقى مندهشا :

— ماذا ، انمنع الموت ؟ !

قال أحمد :

— الأستاذة لا تقصد هذا • بل تقصد أن نجد حلا للأسر
الذين يموتون فى البحر •

— نعم • نعم • هذا ما أقصده • ولهذا قصدت شيخ
الصيادين لكى نتكاتف ونبحث عن مصدر ينقذ هذه الأسر •

قال الدسوقى :

— اننا نجمع للأسرة بعض المال ، ونقتطع جزءا من السمك
الذى نصطاده لهم •

قال أحمد :

— هذا لا يكفي ، لابد من وجود دخل ثابت ومنتظم .

— هذا ما جئت من أجله .

دخلت صابرين بأكواب الشراب ، كانت مبتسمة ، قالت لعواطف :

— وجهك حلو . وحضورك جاء السعد معه ، وعاد أخى .

ابتسم أحمد . أحس فعلا أن فى وجه عواطف أملا . وفى عينيها السوداوين راحة واطمئنان ، وما جعله يرتاح لها أكثر ، الغاية النبيلة التى جاءت من أجلها ، لذا ، سألها :

— آنسة عواطف . هل جئت بتفويض من ادارة المدرسة ؟

أحست — هى — بالقلق :

— المدرسة لا تهتم بهذه المسائل . التلميذ الذى يأتى يتعلم .
والذى لا يأتى لا أحد يهتم به .

تململت قليلا ، ووضعت يدها على حقيبتها استعدادا للمسير :

— هل تشك — سيادتك فى ؟

صاح مقاطعا :

— لا اقصد هذا ، بل أردت أن أتأكد . هل ما تفعلينه بتكليف
من نفسك . أم من جهة رسمية .

— كان آخر من انقطع عن المدرسة ولد نبيه . كان فى سنة
رابعة . مجتهد ونشيط . وعندما سألت عنه . قالوا ان والده مات
فى آخر نوة .

قالت صابرين :

– تقصد حسن عباس يا أبى •

صاح الحاج مبتسما :

– حسن يعمل عندى •

صاحت عواطف غاضبة :

– كيف يا حاج • وأنت تراه صغيرا لم يزل ؟ •

– هو لا يركب البحر • انما يعمل فى دكان السمك •
وأرسله لقضاء بعض لوازم البيت •

– المفروض أن يعود الى المدرسة • خاصة أنه لم يقصر فيها •
صاح أحمد :

– الآنسة عندها حق • وسأعمل على اعادته الى المدرسة
وسأعوضه عما فات •

قال الحاج :

– ما دمتما تريان هذا ، فلا مانع عندى •

وقفت عواطف • ابنسمت لأحمد :

– مضطرة للانصراف الآن • وسأعود فى الغد • لنتخذ
اجراءات عودة حسن عباس ، ووضع أسس لمراعاة أسر من مات
عائلهم فى نوات البحر •

قال الحاج :

– لبتك تبقين لتتناولى العشاء معنا •

سار أحمد خلفها :

— فى أى وقت ستأتين ؟

قالت وهى مساردة :

— حوالى الثامنة مساء • يناسبك ؟

قالت هذا وهى تحس بأنه يتابعها باهتمام • فالأمر لا يعنيه فى شىء • فوالده شيخ الصيادين وليس هو • كما أنه عائد من غربة زادت عن أربع سنوات ، قضائها بعيدا عن أهله وأصحابه ومعارفه ، فكيف يترك كل هذا ويتفرغ لها هى • فسأل عن موعد حضورها فى الغد ، لينتظرها ؟ !

أو ربما هى ليست طرفا فى الموضوع ، إنما — هو — لانسانيته يهتم بهؤلاء التعساء الذين يذهب عائلهم فى مركب صيد ، ولا يعود بسبب النوات المفاجئة •

بعد أن أغلق أحمد الباب خلفها ، وعاد الى أبيه واخته قال الحاج :

— شغلتنا هذه الفتاة •

ثم تنهد فى أسى واكمل :

— تريد أن تفتح علينا باب جهنم •

— لماذا يا أبى • ؟ !

— ألم تسمعها تتحدث عن أسر العاملين الذين يموت عوائلهم فى البحر • معنى هذا أنها تريد أن أدخل الصيادين فى التأمينات الاجتماعية •

— هذا حقهم يا أبى •

— حقهم ؟ • اننى يأبى أخاف من شيئين اثنين : التأمينات الاجتماعية والضرائب ، كفانا الله شرهما •

قالت صابرين :

— دعوكما من الصيادين الآن • وهيا نحتفل برجوع الدكتور أحمد •

* * *

الزمان : ١٥ مايو ١٩٦٧ الساعة التاسعة وخمس وأربعون دقيقة مساء •

المكان : سفارة اسرائيل فى أمريكا التى تقع فى الشارع الثانى والعشرين من العاصمة الأمريكية واشنطن •

استكملت السفارة استعدادها للمؤتمر الصحفى الذى سيعقده السفير الاسرائيلى ابراهيم هارماى بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال الاسرائيلى •

جاءت مكالمه تليفونية الى السفير من « لوشىوس باتل » السفير الأمريكى فى القاهرة •

أبلغ باتل السفير الاسرائيلى بأن ثمة قوات مصرية عبرت مدينة القاهرة ، ومرت تحت شرفات السفارة متجهة نحو سيناء •

وقد نال باتل مكافأته على تجسسه على مصر لصالح اسرائيل بأن أصبح — بعد ذلك مباشرة — وكيلًا لوزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط •

- ٦ -

أوقات مشهودة ، ينشغل فيها الناس في مصر ، تجعلهم يلزمون بيوتهم أو يجتمعون داخل المقاهي . . تذكر هذه الأوقات بأيام شهر رمضان ، وقت الافطار . حيث يندر المارة في الشوارع .

من هذه الأوقات : ماتشات كرة القدم التي تقام عادة حوالى الثالثة بعد الظهر ، خاصة اذا ما كان الماتش بين الاهلى والزمالك - الناديين الكبيرين . ووقت غناء أم كلثوم في الخميس الاول من كل شهر . فتجد الناس يتسائلون قبل الحفل بأيام : « حاتسمع أم كلثوم فين . . ؟ » .

ويجتمع الأصدقاء الذين قد لا يجتمعون الا في المناسبات . أو ربما لا يجتمعون قط الا وقت غناء أم كلثوم . . يتفقون على بيت صديق ، يتناولون وقت الغناء اللب والسودانى وبعض الفواكه . أو قد ينامون لدى المضيف ، خاصة أن الحفل ينتهى - عادة - وش الصبح . فام كلثوم - ايامها - كانت تغنى ثلاث وصلات . كل وصلة عبارة عن أغنية طويلة . وبين الوصلة والأخرى استراحة ليست بالقصيرة .

لذا ، رددت الاذاعات المعادية لمصر • ان الشعب المصرى فى عهد عبد الناصر يفطر فول مدمس ، ويتغذى كرة قدم • ويتعشى أم كلثوم •

ومن أهم الأوقات التى ينشغل فيها الشعب • وتخلو الشوارع - وقتها - من السائرين حين يخطب جمال عبد الناصر ، فيجتمع الناس حول الراديوهات • أو أمام التليفزيونات فى المقاهى والبيوت • أو يجتمعون فى الشوارع والحوارى حول مذياع أخرجه صاحبه من بيته • قلما تجد انسانا يسمع الخطبة وحده • فهو - عادة - ما يبحث عن مجموعة تشاركه سماع الخطاب • ليتمكن أن يشاركوه التعليق والنقاش حول النقاط التى يتحدث الرئيس فيها • فى ذلك المساء انشغل الناس من قبل أن يبدأ الخطاب ••

كان الجو حارا نسبيا • وعبد الناصر فى أحسن حالاته • يبدو أنيقا أكثر من كل مرة • طوله الباسق ووسامته الواضحة يجعلان البدلة تكاد تنطق عليه •

فى آخر الخطاب طلب من هيئة الأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من نقاط الحدود المصرية فوراً •

ثم قال فى سخرية :

- حتى نأخذ فرصتنا للرد على ذلك الشئ المسمى بصاحب الذراع الطويلة •

يقصد الجيش الاسرائيلى الذى يدعى بأن يده طويلة يمكنها أن تطول أى بلد عربية يريدون ضربها •

ثم اذاعت اذاعات مصر كلها بعد لحظات الأغنية الوطنية « اضرب » •

لأجل الصغار أضرب
لأجل الكبار اضرب •

أعلن الحاج الدسوقي - شيخ الصيادين عن فرحته • فأمر عبده الزردوني صاحب القهوة بتوزيع المشروبات على كل الموجودين على حسابه • وابتسم الحاج سماحة - وهو عادة ما يتحفظ في ابداء عواطفه - وقال :

- سينصرنا الله على اليهود • وهذا ما وعدنا اياه في القرآن •

ثم نادى الحاج الدسوقي الولد حسن عباس • قال له :
- اذهب الى يسرى الخطاط ، قل له الحاج الدسوقي ينتظر على قهوة الرردوني • ولن يمشى قبل أن تأتي •
قال سماحة :

- ماذا تريد من الخطاط ؟

- سأعلق لافتة فوق محل الأسماك ، بأننى سأفتتح فرعاً جديداً فى تل أبيب بعد أن نفتحها •

- باذن الله • وأنا أيضا سأعلق لافتة مثلها •

- ماذا ، تريد ان تحلق رؤوس اليهود هناك ؟

- لا • سأطاهرهم •

لأول مرة - منذ سنوات - يتعامل الحاج سماحة مع الحاج الدسوقي دون أن يثير معه مشكلة الولدين « لالى وبوللى » المسلمين اللذين يعيشان فى كنف يهودى • فيشغلها فى الخمور والفجور ، فقد نسى سماحة ذلك من شدة فرحته بحديث جمال عبد الناصر •

تعايرنا البلاد العربية المعارضة لسياستنا ، بوجود جنود الطوارئ الدولية على الحدود بين مصر واسرائيل . ويقولون « لولاها لضربتنا اسرائيل . ها هو عبد الناصر يرد عليهم بطرد هذه القوات . وسيثبت لهم أنه قادر على حماية نفسه » .

اقترب عوض . قال للدسوقي وسماحة :

— سعيدان بما قاله الرئيس ؟

— نعم .

وقال الدسوقي :

— أنهى الدكتور يوسف عيادته مبكرا .

قال سماحة ساخرا :

— عله اغلقها ابتهاجا بخطاب الرئيس .

قال عوض :

— لقد اعتذرت له . قلت :

— اننى لا أحس بالخطاب الا وسط الأحباب والاخوان .

— فيك الخير يا عوض .

هكذا قال الدسوقي . وأكمل عوض :

— كما أن العمل في العيادة يكاد يكون معدوما الليلة . فالمرضى

يندرون في الليالى التى يخطب الرئيس فيها لا يأتى الا الذى لا يستطيع أن يؤجل عرض نفسه على الدكتور .

* * *

يجلس الدكتور وحده في العيادة • كم ود لو زاره أحمد
الدسوقي الآن ، يجلسان وحدهما • باب العيادة مغلق • وعوض
يسمع خطاب عبد الناصر على قهوة عبده الزردوني بالسيالة •
ويجيئ أحمد الدسوقي ، يجلس مع يوسف بعد فراق طويل •
حتما ، سيحكي - لو جاء - عن مغامراته النسائية في المانيا • فهو
مغرى للنساء بوجهه الوسيم وجسده العملاق • ويحكي له عن عدم
زواجه من المانية ، كما أراد يوسف وتمنى •

لو جاءه أحمد الليلة سينهى يوسف مشكلته • سيسأله
بلا حياء « هل تحب آمال ؟ أتريد الزواج منها أم لا ؟ » سؤال
صريح ولا بد أن يجيبه بكل صراحة وفي منتهى السرعة •

بعدها سيواجه يوسف آمال بهذه الاجابة • لا • بل سيطلب
من أحمد أن يقول لها هذا بنفسه ، لتصديق أنه لا يهتم بها •
وأنها بالنسبة له مثل أى فتاة فى حى بحرى ، تتمنى أن يتزوجها
أحمد • ولا تستطيع الوصول اليه • مجرد تمنى لا أكثر •

آه لو حدث هذا ، سيأخذ يوسف آمال معه الى أى بلد آخر
غير مصر ، سيذهب بعيدا •

دق باب العيادة ، يوسف كان قد أغلق الباب بنفسه •
وأطفأ أنوار الصالة بعد أن خرج آخر مريض عنده • وتأكد من
أن لا أحد سيأتى بعد ذلك • فالكمل منشغل بعبد الناصر وخطابه
الهام •

لكن - الأمر ما يستغناش - فاحيانا يصاب انسان بمغص
مفاجيء • أو يحدث حادث عارض ، نزيف أو التواء فى القدم عند
صعود السلم أو النزول منه •

من الممكن ان يمتنع يوسف عن فتح الباب • فيحس المريض ان العيادة فاضية ويذهب الى أى عيادة أخرى تعمل الآن •

يتقاضى يوسف - حقيقة - أجره اقل • لكن ما باليد حيلة - سيضطر المريض الى الذهاب الى من يتقاضى أجره أكبر •

قد يكون القادم ليس مريضاً ، قد يكون أحد الأصدقاء • أو قد يكون أحمد الدسوقي الذى ينتظره يوسف نعم • توقع وجوده وحده فى العيادة فجاء ليسهر معه • أو ربما تكون ليلى المغنية • أو قد يكون ... ياه ... لابد أن يفتح الباب ليرتاح من الحاح الوافد بالدق على زجاج شرعة الباب يكاد يكسره • وليرتاح يوسف من الاحتمالات التى تراحمت فى رأسه تكاد تفرتك •

قام الى الباب متثاقلاً ، وجد ابراهيم فهميم أمامه بأنفه الكبير المنتفخ :

- ماذا ؟

أيقوم ويترك خلوته المقدسة ، وصفاء نفسه وراحته من أجل مخلوق كهذا ؟ !

- مساء الخير يا دكتور •

- أهلاً •

قالها يوسف فى أسى • وترك ضلفة الباب مفتوحة ، وأعطى ظهره للضيف • وسار حتى مقعده • لو يعرف أنه هو ما كان كلف نفسه حتى عناء التفكير فيه • أو القيام له •

- اجلس •

جاء ابراهيم هذا الى العيادة يوماً ، مثل الآلاف الذين يجيئون للعلاج ، أو مرافقين لذويهم المرضى ، أو أصدقاءهم - كانت أمه

معه • وأبوه يرتدى بدلة شرطى • لا يذكر يوسف – الآن – ماذا كان يعاني ابراهيم وقتها • الذى يذكره جيدا أن يوسف قال له :
– لا تكثر من شرب الشاي •

فأسرع والده مؤكدا على قوله :

– بالفعل • هو شرب الشاي الذى اضره • فهو يشرب شاي بكثرة هو وأصحابه يا دكتور •

أعجبت يوسف الدعابة • فحكاهما لآمال عندما قابلها فى الصباح بمستشفى السبع بنات • ليلتها قال يوسف لابراهيم من باب المجاملة والضحك على الذقون (كما يقولون) :

– أنت شاب ذكى ، الذكاء يلمع فى عينيك •

يستطيع يوسف أن يقسم – الآن – وهو مطمئن البال ، أنه لم يقابل فى حياته انسانا أغبى من ابراهيم هذا •

اعتدل ابراهيم وقتها – وكأنه قد برا من مرضه بسبب انتشاره بالاطراء :

– أنا فعلا ذكى • هذا واضح من تحصيلي الدراسى فى كلية التجارة •

– أنت فى كلية التجارة ؟ !

قالها يوسف وكأنه اكتشف منجما :

– وفوق هذا ، فأنا أعمل مساعد معمل بالثانوية فى مصنع ليفى للسجاد •

جاء ابراهيم فى اليوم التالى الى العيادة لا ليكشف ،

أو ليستشير الطبيب في أمر طبي • بل جاء ليتسامر مع الدكتور •
فقد سعد لاطرائه له •

دخل بقامته المديدة مبتسما • أنفه قريب جدا من الأنوف التي
يرسمها رسامو الكاريكاتير في مصر لليهود • أنف كقبضة اليد
المضومة ، وله فتحتان واسعتان للغاية • أين العدل يا رسامي
الكاريكاتير • تعالوا لتروا أنف هذا المسلم ، من أنوفنا نحن
اليهود • سأله يوسف عن اسمه • فربما يكون يهوديا دون أن
يعلم • فاليهود يسمون ابراهيم أيضا • قال :

— ابراهيم فهم •

ضحك يوسف ، فاليهود والنصارى يسمون ابراهيم وفهم
أيضا •

يأتى ابراهيم كثيرا لزيارة الدكتور • لكن هذه الليلة يوسف
في حالة لا تسمح له بمقابلة انسان مثل ابراهيم ثقيل الظل وشديد
الاعجاب بنفسه •

رغم هذا اضطر يوسف أن يرحب به :

— أهلا بك يا سيد ابراهيم ، كيف حاله الحاج ؟

— أى حاج ؟ !

— والدك الشاويش فهم •

ضحك ابراهيم طويلا • فلم ينسجم لقب الحاج مع والده
وتصرفاته :

— أبى لم يحج ولن يحج • وأنا أتمنى له هذا • فنحن أولى
بالنقود التي تنفق في موضوع كهذا • ..

ضحك يوسف وغير الموضوع . فالعيش في مصر طوفان من المسلمين يجعلك تحرص في أحاديثك معهم خاصة في أمور الدين . فلا تورط نفسك في حديث قد يقضى عليك .

يعرف يوسف كل شيء عن ابراهيم الآن . عمله في مصنع ليفي للسجاد . الكيميائيون رؤساؤه يعاملونه في جفاء وكبرياء لأنه من متوسطي التعليم وكل همه أن ينجح في كلية التجارة ، ويعمل في المصنع نفسه ليريهم أنه ليس بأقل منهم وأصبح لديه بكالوريوس مثلهم .

أحس يوسف أنه أمام شخصية غير عادية . انسان لا يقيم وزنا لأي قيمة .

يعرف يوسف - من عوض التومرجي ومن بعض زبائنه المرضى - أن فهم والد ابراهيم - يعود كل ليلة محملا بأكياس وأشياء عديدة وغريبة وغير متناسقة : لوفة للاستحمام . قبقاب خشب بدون جلدة . أقلام رصاص ، كميات من السمك المختلفة الأنواع والألوان . سمكة أو سمكتان من كل نوع . يأخذ هذه الأشياء هدية أو رشوة من الباعة والسماكين . يقول فهم أنها هدية يعطيها له أصدقائه والصبادون .

وابراهيم ابنه يعرف أنها رشوة . وأنه لولا عمله كشرطي ما أعاره أحد اهتماما . وأن الفقر هو الذي يدفعه لكي يتحمل الكيميائيون الذين يرأسونه في العمل وأن المعجبين بعبد الناصر بلهاء . وهم كعباد الأصنام أيام الجاهلية . أو كالمخدرين والمرضى بأمراض نفسية .

كان ابراهيم يحمل آراء غريبة لم يسمعها يوسف من شباب مصرى قبل ذلك .

لأول وهلة ظنه يوسف مدسوسا عليه من المباحث . للتأكد

من مدى ولائه للبلد • خاصة في هذه الأيام العصيبة في الصراع بين اسرائيل والعرب •

— لماذا لم تسمع خطاب الرئيس ؟

— رئيس ؟ ! أنا لا اضيع وقتي •

أخرج ابراهيم صوتا — من بين شفثيه المضمومتين — يدل على الاستهجان والاستهانة •

— تفعل هذا • وانت عضو هام في الاتحاد الاشتراكي ؟

— رؤسائي في المعمل لا يخافون سوى من القوى • تصور بعد ان أصبحت هكذا تغيرت معاملتهم لي •

ضحك أكثر فانتفخ أنفه ككرة كاملة الاستدارة :

— انهم يلجأون الى الآن • لأحل مشاكلهم مع الادارة •

بعد لحظات صمت قضاها ابراهيم في تدخين السجائر الكثيرة التي قدمها يوسف له • قال :

— لم أجد طعاما في البيت ، حملت سنارتي وذهبت الى قلعة قايتباي ، وعدت بسمك يكفي للعشاء •

— أنت وباقي الأسرة ؟

— لا شأن لي بالأسرة • فأنا ادفع لهم جزء من راتبي كل شهر نظير نومي في الشقة ، ونظير الطعام السييء الذي تعده أمي لي لأكله •

أخرج يوسف مبلغا من المال وأعطاه له •

— ربنا يخليك يا دكتور • سأخرج هذا العام في كلية التجارة وسأعين بالبكالوريوس • سأكون ندا للكيميائيين الذين يتعالون على ، وأكيد سينصلح حالي ماليا •

- ٧ -

أحس أحمد الدسوقي باسترخاء .. ورغبة في أن يستلقى فوق فراشه لا يتحرك . والده الحاج خرج . ذهب الى قهوة عبده الزردوني ليسمع خطاب عبد الناصر مع أصدقائه . عرض عليه الخروج معه . لمصافحة الرجال الذين يسألون عنه . وفي شوق لمقابلته . فهم لم يروه منذ أكثر من أربع سنوات . قال أحمد :

- الوقت غير مناسب للقاء . الكل سينشغل بحديث عبد الناصر . وأريد أن أجالسهم وأسمع أخبارهم .

كان أحمد في ألمانيا أكثر نشاطا . يصحو مبكرا ، يدور في الشوارع هناك اذا لم تكن لديه ذاكرة . او عمل . لكن - هنا - القلق قيده . وكبل ساقيه ويديه . فكر في أن يبتعد عن أى مكان فيه راديو أو تليفزيون حتى لا يسمع ما سيقوله عبد الناصر . وأن يبتعد عن الجرائد كلها حتى لا يعرف الأخبار .

هو الآن كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال لتتفادى
الأخطار .

الخطر آت لاشك . يحسه أحمد ويراه من بعيد . لكنه
غير قادر على فعل شيء . لا . هو الذي لا يريد أن يفعل شيئاً .

عندما عاد بالأمس بسيارة يوسف لمح الفرحة في عيون الناس
لأن الحرب تقترب . والأمل مرسوم فوق الوجوه واللافتات تبشر
بالنصر . والناس تنحدث في كل مكان . منذ أن قامت ثورة يوليو
وهي تبشر بيوم آت سيحررون فيه فلسطين من القوات الاسرائيلية
المعتدية .

مازال أحمد يذكر أغنية عبد الحلیم « المسئولية » حين يقول
« ايش حال يوم تحريرنا لفلسطين .. » وما هو يوم تحرير
فلسطين قد جاء .

دارت صابرين حول أخيها قلقة . أخوها الوحيد الذي كانت
تعد الساعات والدقائق لعودته . ليس كعادته . لا . هو ليس
أحمد الذي تربت معه وعرفته جيداً . هو شارد الآن دائماً . ماذا
فعلوا له في ألمانيا حتى غيروه هكذا ؟ !

قالت وهي تحاول الاقتراب منه :

— أعد لك قهوة .

— ياريت .

عادت اليه بعد أن سارت خطوات :

— أخي أحمد . هل أنت حزين لأنك عدت الى بلدك ؟

— كيف وأنا كنت أخشى أن أموت قبل أن أرى بلدى ثانية .

– بعد الشر !

شرد ثانية :

– أحمد • ما الذى يشغلك ؟ هل ارتبطت بعلاقة حب مع
ألمانية ؟

ضحك :

– لا • أنا قلق من أجل شيء أهم •

– لماذا لم تنزل الى الشارع مع الحاج لمقابلة الناس
الذين يسألون عنك •

– هم منشغلون بعبد الناصر •

– ألم تشتق اليه ؟

– ولماذا ؟ وهو معنا فى ألمانيا طوال الوقت •

– حقا ؟ ! •

– كل الجرائد والمجلات الألمانية تتحدث عنه • والراديو
والتليفزيون كذلك • الكل يتحدث عنه • خاصة فى هذه الأيام
العصيبة •

ثم صاح فجأة ليغير الموضوع :

– دعك من هذا الآن • قولى لى : كيف حال عبد الله
خطيبك ؟

– انه لم يعد خطيبى • لقد رميت له الدبلة •

صاح غاضبا :

– ماذا تقولين ؟ عبد الله انسان طيب ومخلص •

— هو مخلص مع نساء كازينور فيكتور اليهودى • انه يقضى كل وقته معهن •

— عبد الله صديقى من قبل ان يخطبك وأعرفه جيدا •

كادت صابرين ان تبكى • فهى ترتاح لحديث أخيها عن عبد الله • تتمنى أن تصدقه • وأن يكون عبد الله — حقا — طيبا ومخلصا • لكنه لو كان كذلك لأخلص لها هى وأبقى على حبه لها • ولم يذهب الى نساء كازينو فيكتور اليهودى •

— هل أستطيع أن أقابله ؟

قالت فى أسى :

— لا أعرف عنه شيئا • لكن أكيد هو فى الأسطول الآن • أنت تعرف ظروف هذه الأيام •

دق باب الشقة • أسرع صابرين اليه • أطلقت عواطف بوجهها الأبيض المستدير المائل للامتلاء :

— مساء الخير •

أسرعت صابرين اليها :

— أهلا يا عواطف •

— لقد وعدت بالحضور • وها انا الى بوعدى •

قال أحمد :

— عندما حددنا الموعد • لم يكن فى حسابنا خطاب الرئيس •

— لقد ترددت فى الحضور • لكن لم أستطع سوى أن احضر •

قالت صابرين :

– اطمئني • أبي سيحضر بعد انتهاء الخطاب مباشرة •
وقال أحمد :

– ولماذا لم تسمعي الخطاب مثل الآخرين ؟
ضحكت :

– أبي لا يحب عبد الناصر • وإذا ما تابع الخطاب لن
يكف عن التعليق على كل كلمة يقولها جمال • وقد يعلو صوته
من شدة غيظه •
ضحك أحمد :

– ففضلتي أن تتركه وحده •

– أبي صاحب ورشة محركات كهربائية بحرية • ولديه
معرض في شارع صفية زغلول • مشكلته مع عبد الناصر أنه يخاف
من أن يتوسع في ورشته ومعرضه فيؤممه •

لاحظ أحمد أن في يد عواطف دبلة خطوبة • لم يلحظ ذلك في
الأمس :

– أنت مخطوبة ؟

– نعم •

قالت في أمي • ثم عادت الى حديثها السابق عن والدها
واهتماماته السياسية • يسمع كل نشرات الأخبار في الراديو
والتليفزيون • ويعلق على كل خبر من الأخبار بطريقته • كانت
تتحدث وتطيل في الحديث • وهو يتابعها في صمت وتأمل • كأنه
يبحث في وجهها عن شيء • أحست بالخجل فصمتت • معروفة –
هي – وسط أهلها وصديقاتها وزملائها في العمل بأنها جريئة

ولا تخشى شيئاً فما الذى حدث لها • من أين جاءها ذلك الارتباط؟
قال أحمد :

— سيحضر أبى بعد قليل وسنبحث موضوع الأسر التى تفقد
عائلها فى النوات •

— أراك متحمساً يا دكتور أحمد •

— ذلك موضوع تأخر تنفيذه طويلاً • وقبل أن أسافر المانيا
فكرت فيه • لكنى لم أستطع أن أتقدم فيه خطوة •
— لماذا ؟

— لا أعلم • أحسست بأن أصحاب المراكب غير راضين عن
مشروعى • وأبى منهم كما تعلمين • فلم أقاومهم • حبست احساسى
بالرغبة فى العدالة وصمت •

— يمكننا هذه المرة أن نفعل شيئاً •

حملت صابرين صينية فوقها أكواب الشراب • ثم صاحت
فجأة :

— ها هو أبى قد جاء •

نظروا اليها فى دهشة • فهما لم يسمعا صوت الباب وهو
يدق • قالت :

— اعرف صوت دقات حذائه • وهو يصعد درجات السلم •

كان الحاج الدسوقي فرحاً • البشر واضح فى عينيه •

— أهلاً يا ••••• آسف نسيت اسمك •

وقفت عواطف مبتسمة • أحست بأنها قد ارتبطت بهذه

الأسرة . لا . هي تحس أن ذلك الرجل العجوز قد أصبح قرينا
منها . لم تحس بهذا في مقابلاتها لوالد إبراهيم خطيبها .

— عواطف يا عمى .

قال الرجل وهو يجلس على الكنبه المواجهه للآخرى التى
يجلس أحمد وعواطف عليها :

— فاتكما نصف عمركما . عبد الناصر كان فى أحسن حالاته .
لقد عرى اسرائيل وأمريكا . جعلهما لا يساويان شيئا .

قال أحمد فى أسى :

— ماذا ؟ أعلن الحرب :

— أغلق خليج العقبة فى وجه الملاحه البحريه .

— ربنا يستر .

قالت عواطف :

— تحدثت مع ناظرة المدرسه ، واتفقت معها على عوده حسن
عباس الى الدراسه ثانیه . ما رأيك يا حاج ؟

— خير يا بنتى . ومصاريفه كلها على حسابى .

قال أحمد :

— هذا ليس حلا للمشكلة . الحل فى أن تجد الأسر التى ماتت
عائلها دخلا ثابتا حتى لا يضطر أطفالها أن يعملوا وهم صغارا .

صاح الحاج الدسوقي :

— أرجوكم . . أنا سعيد بما قاله عبد الناصر وليس عندى

رغبة في أن تفسدا هذا الاحساس عندي . أرجو تأجيل مناقشة
هذا الموضوع .

قالت عواطف :

— المهم عندي الآن أن تجربوا حسن بهذا . فمئذ أن انقطع
عن الدراسة لم أره .

وقفت عواطف ونظرت الى ساعة يدها :

— تأخرت كثيرا . مضطرة أن أمشي الآن .

— سأوصلك .

قالها أحمد وسط دهشة الحاج — والده — وصايرين — أخته .
قالت عواطف وقلبها يعصف من المفاجأة والفرح :

— ليس هناك داع لهذا .

— اننى لم أخرج منذ ان أتيت ، وأريد ان أتمشى .

وعواطف تهبط درجات السلم أحست بأن أحمد في حاجة لمن
يتحدث اليه . وانه يريد لها هي بالذات ليتحدث معها على انفراد .

سارا معا على كورنيش البحر . قالت :

— الجو هذا العام غير مستقر . أيام حر . أشد حرارة من
كل عام . ثم فجأة سقوط أمطار غزيرة .

— فعلا . الجو غير مستقر . كأنه ينبىء بحدوث شيء غير
عادي .

— ماذا تقصد ؟

— هل أنت سعيدة مع خطيبك ؟

— یعنی :

ثم صاحت فجأة :

— بالمناسبة • هو من بحرى مثلك •

— وأنت ؟

— سيدى بشر •

— وكيف تقابلتما ؟

— لم اقبله • هو ابن عمتى •

ثم صاحت فجأة :

— ياه • تأخرت • أكيد أبى قلق على الآن •

— استدع لك تاكسيا ؟

— ياريت •

كانت قلقة لتأخرها • أكيد والدها محفوظ فى الشرفة الآن

ينظر الى الطريق ليطمئن عليها •

وقف التاكسى • قال أحمد :

— أوصلك ؟

— شكرا •

عندما دخلت التاكسى • انحنى بقامته المديدة ، اقترب من

وجهها :

— سأنتظرك فى الغد لنكمل موضوعنا •

* * *

عواطف ذات جمال عادي • وجه هاديء يوحى بالطيبة والراحة •
وجسده يميل للامتلاء • تعدت الثلاثين بسنوات قليلة ولم تتزوج •
والدها أصبح غنيا • بدأ كهربائيا في شركة غزل كرموز • وكان
يعمل بعد الظهر في ورش ابي الدرداء والمنشية • الى ان أصبح
صاحب ورشة • طموحه في عمله جعله يصنع المحركات البحرية
التي كانت شركات الملاحة تستوردها من المانيا • ولم تتفق معه
شركات الملاحة الا بعد أن انتدبت لجنة من كلية هندسة اسكندرية
لفحص المحركات وتجريبها • وأثنت اللجنة على المحركات • فاتفقت
معه الشركة • فأغتنى الرجل وانتقل الى عمارة يمتلكها في سيدي
بشرقريبة جدا من طابية سيدي بشر ذات المدفعين الكبيرين الموجهين
الى البحر • في وجه السفن المعادية •

مشكلة محفوظ أن ابنته الوحيدة وتوأم روحه لم تتزوج للآن •
وليس هناك شاب عنده دم جاء ليطلبها منه • هي لبست ملفتة
للنظر بالنسبة لموضوع الجمال • كما أنها لا تهتم بزینتها مثل معظم
البنات • تعمل بجهد وحب لعملها • ألح والدها عليها كثيرا بأن تترك
ذلك العمل وسيعطها اضعاف راتبها ، لكنها أصرت على العمل
أقسم الرجل لو تقدم له خاطب للزواج • سيعطيه شقة في عمارته
التي تحت التشطيب • وسيجهزها له بأفضل جهاز يقول الرجل
هذا دون علم عواطف • فهي لو علمت ستغضب • وتقول معاتبة
« هو انا بايرة لتدل على هكذا !! » قال محفوظ هذا لأخته - أم
ابراهيم فهيم - فحدثت ابنها بان يتقدم وهو أولى من الغريب بخير
خاله الكثير هي لم تكن تحب ابراهيم هذا • لها عليه اعتراضات
كثيرة يتفق والدها معها غلبها • لكن أخته الحت • • فوافق
الرجل • وجعل ابنته توافق أيضا •

• خافت البنت من الزمن • العمر يعدو • وهي مازالت آنسة •

ملايس ابراهيم غير مهندمة • وطريقة حديثه تدل على أنه ليس في وضع يسمح له بالزواج والانفاق على أسرة • ووالده عسكري يقف على باب الميناء • يعنى - هو رجل على قدر حاله ولن يساعده بشيء • بل هو في حاجة الى جزء من راتبه •

والدها محفوظ لم يهتم بهذه الأشياء • الولد ابن أخته • وهو أولى من الغريب بماله • كما أنه طالب في كلية التجارة • وسيتخرج هذا العام • أكيد سينصلح حاله •

حفل الخطوبة كان في الشقة الواسعة • أمه جلست كالغريبة وسط المدعوات • ملايسها بسبطة لا تليق بحفل ، وأبوء - لأول مرة تراه عواطف بدون بدلة البوليس • كان يرتدى قميصا وبنطلونا كأنه اقترضهما من واحد اتخن منه بكثير •

وابراهيم بأنفه المنتفخ يبتسم لها من بعيد • سألت نفسها :

اتستطيع أن تحب هذا الشيء في يوم من الأيام ؟ والدها يؤكد هذا • وهى لا تصدق • والدها لم يكلف ابن أخته مليما • كل لوازم الحفل على حسابه • قالت له :

- يا والدى يجب أن يدفع شيئا ليحس بقيمتى •

- هو ليس غريبا • كما أننا نشترى رجلا •

في اليوم التالى للخطوبة جاء ابراهيم الى شقتهم • أدخلته الخادمة حجرة الصالون • وأخبرت عواطف بمقدمه دخلت عواطف الحجرة ففوجئت بها خالية • ثم خرج لها فجأة من خلف الستارة الثقيلة • إنقض عليها وقبلها من خدها • أحسبت بقشعريرة

وبرغبة في ان تتقيا • فدفعته بعيدا عنها • ومسحت مكان قبلته
في قرف :

— ابعد عني •

جلس مخزيا • وأخذ يتمنم بكلمات غريبة •

— لماذا لم يخطبها شاب وسيم مثل الدكتور أحمد
الدسوقي •

أفاقت عواطف والتاكسي يترك كورنيش البحر وينحرف الى
الشارع الذي تسكنه •

- ٨ -

لم يذهب الحاج سماحة الى بيته ، قال لابنه ، انه لن يعود الى الدكان هذا المساء ، وعليه أن يغلق الدكان ويذهب الى البيت .

سار الحاج في شارع السيالة حتى ارض المدفن القديم التي تمتلكها أسرة الصول عبد الله .

كانت حافظة تجلس في كوخها الذي بنته فوق ارض المدفن قريبا من الحديقة العامة والمرحاض العمومي اللذين صنعهما بلدية الاسكندرية .

عندما رأت حافظة الحاج سماحة صاحت غاضبة :

— ماذا تريد يا محمد ؟

— أطمئن عليك .

— لم أمت بعد ، مازلت أعيش .

يعرف هو أنها ستقابله بهذه الطريقة . وقد تسبه أو تحاول

الهجوم عليه وهبش وجهه وضربه • ولقد فعلت كل هذا في مرات سابقة •

أخرج سماحة النقود من سترته وقدمها اليها :

— خذى يا حافظة •

— لا أريدك ، ولا أريد نقودك •

— خذى يا حافظة •

ترك النقود لها • لكنها لم تمد يدها • تركها الحاج سماحة تقع داخل الكوخ • تناثرت فوق أشياءها المبعثرة هناك • وقف الحاج للحظات مترددا ثم سار •

من وقت لآخر يذهب اليها ليعطيها ما فيه القسمة • وتقابله — هى — بهذه الطريقة • تترك النقود تتناثر فوق أرض الكوخ الطينية •

ثم بعد أن يذهب تلمها وتعددها وتدسها في صدرها سعيدة •

تنتظر مقدمه اذا ما تأخر عليها • تنتظر نقوده التى تعيش منها ، تشتري سبائرها التى لا تستطيع الاستغناء عنها ، وتشرب الشاي من قهوة عبده الزردونى القريبة من أرض المدفن القديم • يحاول عبده — أحيانا — أن يعطيها الشاي دون نقود اذا لم يكن معها نقود • تصمت • لكن عندما يجيئ الحاج سماحة ويعطيها نقودا • تقابل عبده الزردونى فى ثورة اذا ما أراد ألا يأخذ نقودا تصيح فيه :

— تريد أن تبقشش على ؟ !

ولماذا لا تدفع والحاج سماحة موجود ؟ يعطيها نقودا كثيرة من وقت لآخر :

ولداها . « بوللى ولالى » يعيشان لدى اليهودى فيكتور .
وهى - أيضا - كانت تعيش عنده فى حجرة تحت سلم بيته .
كانت جميلة . وجسدها مطلوب . أرادت أن تعمل راقصة مثل
نساء الكازينو اللاتى يعملن عنده . شاخت الآن وعجزت ولم يتحقق
لها ما أرادت . وفيكتور - هو الآخر - ما عاد يفكر فيها .
ولا يريد لها . لذا ، تركت بيته وهامت فى شوارع بحرى .
تستنشق الهواء المحمل بالدخان . تريد أن تدخن ولا تجد .
ولا تقدر على طلب ذلك . الى أن اهتدت الى أرض المدفن . قالوا
كثيرا عن عفاريته . هى سكنت فيها وعاشت . وتخرج فى عز
الليل لقضاء حاجتها وعمرها ما رأت عفريتا واحدا .

عندما ذهبت حافظة الى فيكتور . أرادت أن تغيظ الحاج
سماحة . تعرف أنه يكره اليهود وخاصة فيكتور صاحب الكازينو .
وتعرف أن هذا سيشعل النار فى جسده وفى قلبه . تمنى
لو أصبحت امرأة ليل . لكل من أراد حتى يتعذب سماحة أكثر ،
وحاولت حافظة لكنها لم تقدر . أختنقت من أول زبون ، وصرخت
ورمته من فوق جسدها وضربته فى عنف . هبشت وجهه ،
خربشته حتى سال الدم من وجهه .

صرخ الرجل ودخل فيكتور ورجاله . كان الباب مفتوحا ،
وجدوها جالسة ومتدثرة بالغطاء . والرجل يضع يده فوق وجهه
ويصرخ . احس فيكتور أن حافظة لا تصلح راقصة ، ولا حتى
مرافقة للرجال . وأن وجودها عنده من الممكن أن يغلق الكازينو ،
أو يسجنه .

فى الشمس تمد حافظة شاقها . تستلذ بالدفع . ولداها
لالى وبوللى بصيدان عنها . لا تراهما . وهما يسبانها اذا ما اقتربت

منهما • لم يكن اسمهما هكذا قبل أن تنتقل الى بيت فيكتور اليهودى • لكنه أصر على أن يغير الاسمين القديمين • والكل نساها حتى الولدين لو سألتها الآن لن يذكر شيئا •

أحبت حافظة محمد سماحة • أعجبت بوجهه الجميل المائل للاحمرار والقامة المستوية كعود خيزران • كان قد تزوج من ابنة معلمه الحاج مرزوق الذى علمه الحلاقة والطهارة وتطبيب الجروح • وكان لديه منها ولدا واحدا وحافظة بلا رجل • مات زوجها ؛ أو رحل عنها لا أحد يذكر شيئا •

تعرف أنها أجمل من زوجة سماحة فقد رأتها كثيرا معه • الرجل تزوجها ردا للدين • مقابل ما أعطاه له والدها •

ارتدت حافظة ملابس تغطي كل جسدها فيما عدا الوجه واليدين • وجرحت أصبعها بموس • وذهبت اليه فى دكانه • لم يكن فى الدكان سواه • مدت اليد المجروحة ، وطلبت منه أن يضع قطعة قطن مغموسة بالميكركروم أو صبغة البود على الجرح • قال بدون أن ينظر الى وجهها :

— لا تخافى • الجرح بسيط •

كان الجرح بسيطا للغاية • لا يستحق ميكركروما ولا صبغة يود • فقد خافت حافظة على نفسها • فلم تتوغل بالموس فى اللحم •

بعد أن أمسك سماحة يدها • بكت وقالت :

— ليتك تقطع هذه اليد التى تمسكها بأصابعك •

— لماذا ؟

— لأنك رأيتها ، وأمسكت بها •

لم يكن الحاج سماحة يعرف مثل هذه الالاعيب ، شاب صغير لم يخرج من حى بحرى . جاء الى دكان الحاج مرزوق صغيرا ولم يبرحه . وكان يعمل ليل نهار ، لا يكل ولا يتعب . ولم يكن قد قرا كتبه الكثيرة الصفراء التى يملأ بها البيت والدكان الآن .

الرجل أعجب بها وبعفتها ، وصمم على الزواج منها . تزوجها فى السر ، وهى لم تمنع ، كان كل أملها أن تكون معه . لو أرادها دون زواج ما عارضته . ولو كانت تعلم انه سيوافق دون زواج لألحت عليه . لكنها جاءت من الطريق الذى يعجبه .

كان سماحة يخشى الحاج مرزوق والد زوجته وأولاده الكثيرين . ولم يكن يخاف من غدرهم أو قوتهم أو بطشهم له
انما للبقاء على العشرة ورد الجميل .

لمبة الدخلة اكتشف انها ليست عذراء . وانها سبق لها الزواج ، وانها تلعب بالبيضة والحجر . ضربها فى عنف . ولطم خديه لأنها خدعته . بكت وتعاقت فى ساقيه . لكنه طردها وطلقها فى صباح اليوم التالى .



عاد الحاج محمد سماحة الى بيته . لمبة معلقة فى مدخل البيت تضییء المكان بضوء خافت . وصمت يشمل كل الأشياء . لا راديو ولا تليفزيون مفتوح . والحديث بالهمس . زوجته الحاجة تجلس - كعادتها - فوق الكنبه العريضة مقرفصة . وابناؤها ما زالوا فى الخارج .

زيارة سماحة لحافظة تجعله كئيبا ، يفكر فيما حدث . كيف

خُذَعْتَهُ بِأَدْعَائِهَا الْعَفَّةَ • وَكَيْفَ صَدَقَهَا • مَاذَا لَوْ كَانَ أَبْقَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهِ وَأَوَاها وَرَبِّى وَلَدِيهَا الَّذِينَ يَعِيشَانِ فِي كَنْفِ فَيْكْتُورِ الْيَهُودَى •

زَوْجَتُهُ الْحَاجَّةُ تَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْطِفُ عَلَى حَافِظَةٍ • لَكِنْ لَا تَعْرِفُ سَبَبَ هَذَا • أَتَصَدِّقُ أَنَّ زَوْجَهَا الْمَهَابَ الْآنَ • وَالَّذِى يَلْجَأُ إِلَيْهِ كِبَارُ الْقَوْمِ فِي بَحْرِى كَانَ مَتَزَوِّجًا مِنْ حَافِظَةِ الْمَجْنُونَةِ ؟ !

حَدَّثَهُ ابْنُهُ فَتَحَى عَنْ خُطَابِ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ ، وَعَنِ الْحَرْبِ الَّتِى أَصْبَحَتْ وَشِيئَةً • كَانَ مَزَاجُ الْحَاجِّ قَدْ تَغَيَّرَ • لَيْنُهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى حَافِظَةِ اللَّيْلَةِ • وَأَبْقَى عَلَى سَعَادَتِهِ لِسَمَاعِ عَبْدِ النَّاصِرِ لِلْغَدِ • • وَيَحْدُثُ فِي الْغَدِ مَا يَحْدُثُ • قَالَتْ زَوْجَتُهُ إِنَّ أَخَاهَا « خَلْفَ اللَّهِ » سَيَذْهَبُ إِلَى مَوْلِدِ سَيِّدَى إِبْرَاهِيمَ الدَّسُوقَى ، سَيَفْضِي هُنَاكَ أَيَّامَ الْمَوْلِدِ كُلِّهَا • قَالَ الْحَاجُّ سَمَاحَةَ :

— رَبَّنَا يَرْزُقُهُ وَيَرْزُقُنَا •

الْأَسْطَى خَلْفَ اللَّهِ هُوَ ابْنُ الْحَاجِّ مَرْزُوقٍ — أَسْتَاذُ سَمَاحَةَ وَمُعَلِّمُهُ أَسْرَارُ الْمِهْنَةِ • خَلْفَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ سَمَاحَةَ بِعَامِينَ وَعِدَّةِ شُهُورٍ • كَانَا يَعْمَلَانِ مَعًا فِي الدَّكَانِ • وَكَانَ الْحَاجُّ مَرْزُوقٌ يَتَمَنَّى أَنْ يَتَعَلَّمَ ابْنُهُ وَيَصْبِحَ أَمِيرًا مِنْ صَبِيهِ سَمَاحَةَ • لَكِنْ — نَلَأَسَفَ — هَذَا لَمْ يَحْدُثْ • خَلْفَ اللَّهِ كَانَ « لَعْبَى » يَسْهَرُ فِي قَهْوَةِ الزَّرْدُونِ الْكَبِيرِ • • يَلْعَبُ الْكُوتَشِينَةَ • وَيَتَغَيَّبُ عَنِ الدَّكَانِ بِالْيَوْمِ وَالْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ • بَيْنَمَا سَمَاحَةَ مُلْتَزِمٌ • كَمَا أَنَّ خَلْفَ اللَّهِ كَانَ اسْتِعْدَادَهُ لِلتَّعَلُّمِ ثَقِيلًا وَبَطِيئًا • يَشْرَحُ الْحَاجُّ مَرْزُوقٌ لَهَا مَعًا • فَيَتَقَنُّهُ سَمَاحَةَ ، بَيْنَمَا خَلْفَ اللَّهِ فِي حَاجَةٍ لَشُهُورٍ عَدِيدَةٍ حَتَّى يَتَقَنَّهُ • هَذَا أَدَّى إِلَى كَرِهِ خَلْفَ اللَّهِ لِسَمَاحَةَ وَحَقْدِهِ عَلَيْهِ • خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ وَجَدَ الْكُلَّ يَتَنَبَّهَ عَلَيْهِ وَيُوقِرُهُ • وَفِكْرَةُ ذَهَابِهِ إِلَى مَوْلِدِ سَيِّدَى إِبْرَاهِيمَ الدَّسُوقَى لِأَنَّ الْعَمَلَ عِنْدَهُ قَلِيلٌ • سَمَاحَةَ عِنْدَمَا افْتَتَحَ لَهُ مَحَلًّا خَاصًّا بِهِ أَخَذَ مَعَهُ مَعْظَمَ

زبائن المحل • وترك خلف الله في الدكان وحده لا صبي ولا مساعد
ولا يحزنون •

تزوج خلف الله من فتاة ليست من بحرى • ولا من الاسكندرية
كلها • كان في مولد من الموالد يحلق للأطفال الذين نذر أهلهم أول
حلاقة لهم لدى الشيخ الذى يحتفلون بمولده — ويظاهر الأولاد الذين
جاءوا من آخر مصر وأولها للوفاء بالنذر • بأن يكون الختان لدى الشيخ
فلان • هناك رآها : رفيعة وقوامها مشدود • • وعيناها عسليتان
لوزيتان • تشبه فتيات الهنود الحمر في الأفلام التى دأب خلف الله
على رؤيتها ومتابعتها في سينما التتويج ورأس التين القريبتين من
البيت •

تزوجها خلف الله وجاء بها الى بحرى • البنت ليس لها أهل
ولا فصل • ربما كانت ضمن الغوازي اللاتى يرقصن في المولد • من
شدة غيخته عليها • أمرها ان تقسم على مصحف • بأن تعمى وتكسح
وتطرش اذا هى نظرت من شباك أو بلكونة ورآها الناس • وألا تخرج
من البيت — الا اذا اضبطرت لذلك — وقتها ، تغطى وجهها فلا يراها
أحد • واقسمت المرأة الغلبانة التى تريد ان تتستر • ومازالت —
للآن — لا يعرف أحد شكلها ولا لونها • أطفالها — مثل سائر أطفال
شارع السيالة — يلعبون في الشوارع والحوارى • ويتشاجرون مع
بعض ، ويبكون • ويشتكى الأطفال الآخرون منهم • فتضطر بأن
تنظر من خلف الشيش وتنادى • فيسمع رجال الشارع صوتها
ويحلمون مع الصوت • ويتخيلون الوجه والعينين •

حتى الحاج محمد سماحة زوج اخته لم يراها للآن • بل
خلف الله حريص الا يراها سماحة بالذات • رغم علمه أنه رجل
مستقيم وليست له سوابق في عالم النسوان •

* * *

قامت الحاجة - زوجة الحاج سماعة - لملاقاة زوجها - بدانتها
الآن نعوقها عن اداء اعمال البيت . . لولا بناتها ما استطاعت فعل
شيء . قالت :

- أعد لك العشاء .

أراد أن يقول « لا » . لكن ما ذنب باقى الأسرة وقد تعودوا
أن يتناولوا العشاء معا بعد عودته من الدكان . . الوجبة الوحيدة
التي تجتمع الأسرة فيها حول المائدة .

فى الصباح يخرج الحاج بعد أن يشرب كوب شاي بدون لبن .
ووقت الظهر يتناول الطعام مع أبنائه - الذين يعملون معه . وباقى
الصنایعية . قال الحاج لزوجته :

- نعم .

ذنب الولدين « بوللى ولالى » فى رقبتة . هو الذى جعل
حافضة تذهب بهم الى فيكتور اليهودى بتجاهله لها . وعناده
معه . نعم . لقد جاءته مئات المرات . قل آلاف المرات . جاءت
تبكى وتنوح . لكنه طردها . وأقسم ان جاءت ثانية سيسلمها
للكركون . وسيوصى عليها الضابط والمخبرين ليضربوها هناك
حتى يدموا جسدها بعد أن ضاقت به أرادت ان تغيظه ففعلت
ما فعلت .

أطفال الحاج سماعة كانوا صغارا وقتذاك . ولم يدركوا ما كان
يحدث . والصنایعية الكبار ظنوها تحبه وتريد أن تتزوجه .
لم يعلموا أنه سبق له الزواج منها وأنه طلقها بعد ذلك .

وجيرانه أصحاب المحلات الأخرى المجاورة . قال بعضهم :

- يا بختك . امرأة جميلة تحبك وتكاد تجن من أجلك .

وَبِنَا ستر عليه ، فُتزوجها وطلقها دون علم أحد من
معارفه .

آه لو علم خلف الله - شقيق زوجته وغريمه بما حدث ،
لكان فضحه وجرسه في كل مكان . خلف الله مازال يشغل الدكان
القديم في السيالة القريب من المدفن القديم . ويعمل عمل الحاج
سماحة نفسه ، يخلق الشعر والشارب واللحية . ويطاهر ويعالج
الجروح وبعض الأمراض البسيطة . لكن شتان بين الاثنين .
فسماحة فاقه بكثير . . ونظرة واحدة الى الدكانين من الخارج
تحس بانفارق . دكان خلف الله تساقط طلاؤه ، وبابه الخشبي
دو الدرف الثلاث تكسر . ومقاعد الدكان في الداخل متهاكة .
بينما دكان سماحة يلمع من النظافة : درفتان من الزجاج . ثم
باب صاجي في الخارج . وفي الداخل مرايات حولك من كل مكان .
وأثاث جيد

- ٩ -

نست عواطف نفسها وهى تسير مع أحمد الدسوفى على
كورنيش البحر . كان يتحدث بصوت خافت . استعذبت صوته .
تحدث عن احتمالات الحرب ، وألذى قد يحدث للبلد لو حدث
هذا . وهى تسمعه وكأنه يتحدث عن حبه لها . كأنه يطربها بكلمات
الغزل . قالت :

— ألم تتخذ قرارا فى موضوع عمك ؟

فوجيء بسؤالها هذا . فهو لم يراها سوى بالأمس فقط .
فكيف أعطت لنفسها الحق لكى تتدخل فى شئونهم . وأخص
شئونه ؟ !

— سأقدم أوراقى الى جامعة الاسكندرية .

— ولماذا لا تذهب فى الغد ؟

— الكل مشغول بمسألة الحرب .

— وأنت المشغول بها أكثر من غيرك .

— هذه حقيقة • ولا أستطيع أن أفكر في شيء غير الحرب •

ودت لو وضعت يدها فوق قلبه لتسمع دقاته • فقد أحسست
أن قميصه يهتز من عنف دقات قلبه • قال :

— أفكر في الذهاب الى المسئولين لكي أحذرهم من الفخ
المنصوب لنا •

ضحكت :

— اتظنهم غير مدركين لتلك الأشياء •

— التصرفات التي رأيتها منذ أن جئت من ألمانيا تؤكد
هذا •

صاحت في دهشة :

— ذلك مدهش للغاية • انهم عسكريون وأدرى مني ومنك
بهذه الأمور •

— الموضوع ليس له صلة بالعسكرية وغيرها • انه فخ
يريدون لمصر أن تقع فيه •

— أنت فرد عادي ، كنت تتعلم في ألمانيا وهناك سفارة
وخبراء عسكريون واعلاميون • الخ • عملهم أن يسمعوا ويقرءوا
ويحللوا الموقف ويرسلوه للمسئولين هنا •

الوقت يمر وهي معه دون أن نحس بمروره • أشار الى
التاكسي للوقوف • ركبت عواطف وهي تنظر اليه • لم تدر أن في
نظرتها هياما نحوه وقلقا وخوفا عليه ، ورغبة في ألا تتركه •
تمنت لو ظلت معه حتى الصباح ••

انحنى بقامته المديدة فوق نافذة التاكسي • قال السائق :

— ألن تأتي معنا ؟

أحس الرجل أنه لا يريد أن يركب التاكسى . ولا يريد
للتاكسى أن يتحرك . أفاق أحمد . فصاح وقد اعتدل جسده :
— لا . لا .

ابتسمت عواطف له . ولوحت بيدها مودعة . كانت سعيدة .
لم تحس بهذا النوع من السعادة من قبل . . . أرادت أن تحب كما
تحب البنات ، وان تنشغل كما يفعلن ويحكين . وحاولت .
لكن كل ما فات كان عبثا ووهما توهمت انها تحب أحد المدرسين
أيام كانت طالبة في المدارس الثانوية . كان وسيما ، وكانت الفتيات
تتحدثن عنه في هيام . وتوهمت أنها تحب أحد دكاترة معهد
الخدمة الاجتماعية . لكنها لم تقترب من المدرس ولا من الدكتور .
لم يحس بما توهمت به أو ظنت . وتلاشى ذلك تدريجيا .
اكتشفت أنها مثل العديد من البنات يعتقدن أنهن يحبن ذلك
الشخص لوسامته . أو لغزارة علمه وثقافته وحلو حديثه .

هذا هو الحب . التاكسى يمر في أماكن تراها الآن ، وكأنها
تراها لأول مرة .

هي ليست ذات جمال آخاذ . مثل بعض زميلاتنا في المدرسة
أو في معهد الخدمة الاجتماعية . ثم في المدارس التي عملت بها .
كانت تسير معهن أحيانا . أو تركب الأتوبيسات . فتحس
بتنهيدات الرجال . ونظرات الاستحسان أو ربما كلمات الغزل
أحيانا . لكن هي لم يحدث معها هذا . اساءها هذا أول الأمر .
لكنها تعودت عليه واعتبرته قدرها . ومنت نفسها بأشياء أخرى .
فالله لا يعطي المرء كل شيء . فمن معاشرتها للجماليات — زميلاتنا —
تعرف أن معظمهن غير سعيدات . وقد نتزوج الواحدة — منهن —
زوجا غاية في السوء . أو أن تعيش حياة فقر وحاجة .

لكن الدكتور أحمد شيء آخر • أترأه يحبها • أم أنه في حاجة اليها لقلقه من أجل الحرب التي قد تقوم فجأة •

نسيت عواطف ابن عمته ابراهيم - ياه - أى ربح غادرة أتت به اليها الآن ؟ ! فلنعد الى الدكتور أحمد حتى تمحو ذكر الأثر السبىء • • صاح سائق التاكسى :

- زوجك ؟

أفاقت على السؤال المباغت :

- من ؟

- الأستاذ الذى كان معك •

- لا •

ضحك السائق وصاح :

- خطيبك لاشك • فقد كان مأهولاً عليك •

أومأت برأسها • فأكمل السائق :

- أرجو أن يظل مهتما بك بعد الزواج أيضا •

أراد السائق ان يحكى لها عن حال الناس ، الشاب يكون مهتما بخطيبته ومولعا بها طوال فترة الخطوبة • فاذا ما تزوج تبخر ذلك الاهتمام وزال • لكن عواطف لم تعطه فرصة • فقد نظرت الى الشوارع التى يسير الناس فيها • تذكرت خروجها مع ابراهيم ابن عمته وخطيبها : السير على كورنيش البحر أمام الميناء الشرقية قريبا من بيته • فاذا ما افترقا يكون - هو - قريب من بيته • وتسير هى باحثة عن تاكسى يوصلها الى بيتها فى سيدى بشر • يسير ابراهيم الى مراكب الصيد وتحدث عنها

باسهاب • تحسب بالام في ساقيا • وصداع في رأسها ، وملل
ينتاب جسدها كله • **تمر كوج** جسدها على سياج البحر لبرناح •
كان السياج متسخا • مملوءا بالتراب الأسود حكى ابراهيم لها عن
الصيد • السنارة والشص • أحست بأن صيد السمك - عنده -
ليس هواية بقدر ما هو احتراف • يصطاد السمك ليأكله
أو ليبيعه • كرهت وقفها السمك ورائحته • وشعرت بميل لأن
تخرج ما في أمعائها بعد أن عادت الى أبيها لاحظ آثار التراب
والأوساخ في فستانها الأبيض الغالي من جراء جلوسها على سياج
البحر • فقالت له :

- هذا ما آخذه من فسحته •



دقت عواطف زجاج سُرعة الباب دقات منتظمة ذات حركات
سريعة منغمة • فتح محفوظ الباب وصاح بها :

- ماذا بك • الباب له جرس • كما أن معك مفناحه ؟

قبلت والدها سعيدة • وأرادت أن تسرع الى حجرتها تنظر
الى المرأة لترى هل هي تستحق ان يحبها شاب وسيم مثل الدكتور
أحمد • أرادت أن تستعيد لحظات السعادة التي مرت • لكن
والدها - هو الآخر - كان في حاجة لمن يشاركه سعادته هذه
الليلة • فصاح :

- لقد سعدت بما قاله جمال عبد الناصر •

دهشت عواطف :

- بابا انك لأول مرة تتحدث عنه هكذا ؟

— الرجل عالى حق . • والذي يخالفه مخطيء • وأنا أولهم •

تحدث والدها طريلا • سمعت هى أقل الحديث • كانت — من وقت لآخر — تذهب بعيدا حيث لقاءها مع أحمد الدسوقي • تستعيد تحركاته ، والعصبية الواضحة فى وجهه • وهى تنظر لأعلى لكى ترى وجهه • قال والدها :

— لابد أن ننتهى من مشكلة اسرائيل • لكى يهتم الرجل بمشاكلنا الداخلية •



فيكنزور اليهودى دائم الجلوس فوق مقعده الأثير فى الكازينو • كلما يتحرك رازا • ما تحرك يذهب الى المرحاض لقضاء حاجته ويعود الى الجلسة نفسها • حتى طعامه يتناوله فى مكانه • حتى أن المقعد أن تحته ، وتقطع فرشته • • ثم اضطر أخيرا لأن يغيره بآخر •

قلة بحركه جعله يبدو فى صورة غير مستحبة ، خاصة أن قامنه قصيرة وساقيه معوجتين • وزيادة وزنه زادت الطينة بلة • فأحنت ساقيه أكثر • فكان ملفتا للنظر اذا ما سار •

عليه — اليوم — أن يذهب الى دكان خلف الله الحلاق • شعر رأسه أصبح لا يطاق • نساء الكازينو يسخرون منه كل واحدة تلقاه تصيح فيه « ايه • أتريد أن تكون خنفسا ؟ ! » كما أنه يود أن يسير قليلا • يستطيع أن يرسل الولد بوللى لاستدعاء أى حلاق • يحلق له داخل الكازينو • لكن رؤية الشـسـوارع أوحشته •

اقترب من أرض المدفن القديم • يستطيع أن يبعد عن هذا المكان ويذهب الى دكان خلف الله عن طريق آخر • لكن أرض

المدفن تشدها إليها • أين أيام زمان • أيام الحرب العالمية الثانية •
كان فيكتور يعمل في شركة موريس مشيه ، شاعل عادي • لم يكن
جسده قد ترهل سكذا • كان يستطيع أن يحمل بالة الأقمشة
ويصعد بها لآخر دور في المبنى •

كان يأتي الي هذا المكان الموحش بامرأة يهودية لا تمتلك
شيئا • يدس في صدرها النصف قرنك الفضة • وهي ترتعش
من الخوف :

– فيكتور • هذا المكان كان مدفنا •

– أعلم • لكن هذا من قبل أن يأتي نابليون الى مصر •
بعده لم يدفنوا فيه انسانا •

– فيكتور ، أنا أرتعش من البرد والخوف •

تابع فيكتور كوخ حافظة القابضة في الداخل • سار على
حذر • متمتما ومناديا الرب لكي يمر دون أن تراه • والا فرجت
عليه المسلمين واليهود والنصارى • وربما ضربته بأي شيء
عندها • فهي لم تعد تحبه • وقد حاولت أخذ ولديها « لالى
وبوللى » لكنهما رفضا الذهاب معها • فالبقاء في الكازينو أحسن
لهما من النوم في العراء أمام كوخ أمهما العفن • ولقد أخبرهما
فيكتور بحقيقة المكان وأنه كان مدفنا • وإذا ما حفرت قليلا
ستخرج من أحشاء الأرض جماجم وعظام بشرية • ارتعد الولدان
وقبعا بجوار النصبه داخل الكازينو • كما أن وجودهما في الكازينو
يجعلهما يأكلان ما يتركه الزبائن من لحوم وحلويات • والزبائن
يتركون أكثر مما يأكلون • فقد جاءوا للحب لا للأكل • لدى
حافضة ماذا سيأكلان غير الأطعمة التي يتصدق بها أهل الخير
الأمهما •

دخل فيكتور دكان خلف الله الذي كان يحلق لزبون :

— سعادة يا خلف .

— أهلا خواجه فيكتور . أخيرا خرجت من الكازينو .

— مادمت لا تريد أن تأتي لتحلق لي هناك .

— أنا وحدي في الدكان يا خواجه . الصنایعية هربوا .
طفشوا .

جلس فيكتور فوق المقعد الصغير الخشبي . الذي لم يغيره منذ
ان مات أبوه الحاج مرزوق . أحس فيكتور بعدم الراحة . امتد
كرشه أمامه وساقاه القصيرتان جعلته غير مستقر على المقعد .

كان فيكتور يأتي الى هنا أيام الحاج مرزوق . وقتها كان
محمد سماحة صغيرا . يمسك بالمروحة ، يهوى بها للزبائن . ثم
بفرشة يزيل الشعر العالق بالملابس . وخلف الله في ند عمره
تقريبا . كان أتخن من سماحة . . وكان يهرب من الدكان ، يلعب
البلى مع الأولاد . أو يذهب الى سينما التتويج أو رأس التين .
والحاج مرزوق يشكو لكل الزبائن .

محمد سماحة يريد أن يتعلم . لكن ابني لا .

وافنح سماحة دكانه في شارع رأس التين . وكان كبيرا
ببابين . . واستقام خلف الله ، وأجاد في مهنته . . لكن بعد فوات
الأوان . محمد سماحة انطلق . وأعطاه الله سره كان أمهر من
معلمه الحاج مرزوق . كما أن خلف الله لا يستطيع أن يعيد الى
دكان أبيه (الذي ورثه الآن) الزبائن اللذين ذهبوا الى سماحة .

انتهى الزبون من الحلاقة . دس النقود في يد خلف الله .
ونظر الى فيكتور في استخفاف ولم يحييه . . ابتسم فيكتور .

فمعظم سكان بحرى يعاملونه هكذا • لا لأنه يهودى • وانما للتكازينو
الذى يديره • ويضم اليه نسوة لهن علاقات مشبوهة ومشهورة
وفضائح متكررة •

قام فيكنور الى المقعد الكبير العتيق • اذ المقعد تحت جسده
الممتلىء • قال :

— هذا المقعد من أيام الحاج مرزوق •

— عندك حق •

— الكراسى فى دكان سماحة من الجلد والمعدن • الواحد
بثمان مهر عروسة •

— ربنا يعطينا مثله •

— لا تدخل ربنا بينك وبينه •

— كف يا خواجه عن هذه السيرة •

— لماذا ؟ ألسنت بأحق منه بكل هذه المكانة • انت ابن
الحاج مرزوق وليس هو •

تنهد خلف الله فى أسى • فلقد أخذ سماحة كل شىء ،
الزبائن والمكانة وسط أهل بحرى •

— وماذا أفعل معه يا خواجه ؟

— اذهب اليه •

— الى دكانه لا • الا هذه • لقد تشاجرت معه منذ وقت
طويل • وأقسمت ألا أدخل دكانه مرة أخرى •

— للضرورة أحكام •

تنهد خلف الله وصمت .

— تنهداتك من الممكن أن تحرق دكانك . لكن دكانه هو عامر
بالزبائن كما هو .

— لقد أسرنى بزواجه من أختى .

— بل بأختك تستطيع أن تضغط عليه .

— وهى تحبه وتقدره .

— لكنها لا يمكن أن تنسى أنك أخوها الأكبر .

— استطاع أن يأخذ من أبى سر المهنة ، وابنته أيضا .

— مازال هناك متسع من الوقت لكن لابد أن تبدأ من الآن .

— سأفعل . فدخلى من الدكان لم يعد يكفى أسرتى الكبيرة .

* * *

بعد أن انتهى الحاج الدسوقي من شرب القهوة ، أراد أن
يستلقى على السرير ليرتاح قليلا . فقد تعب اليوم ساعات طويلة
وهو واقف على قدميه فى المزاد . كان خير ربنا كثير ، السمك
وفبر والمراكب ملأى .

سمع الحاج من ينادى عليه من أسفل السلم « يا حاج
دسوقي .. يا حاج دسوقي » .

اعتدل الرجل قليلا فوق سريره . كاد النوم يداعب جفنيه .
صاح من مكانه :

— من يا صابرين ؟

— الأسطى خلف الله يا أبى .

قام الرجل مندهشا :

خلف الله هذا لم يأت اليه ولا مرة من قبل • كان الدسوقي
يخلق شعره ولحيته في دكان والده الحاج مرزوق ، القريب من
المدفن القديم • لكن عندما افتتح محمد سماحة دكانه ذهب
الدسوقي اليه •

كما أن علاقة الحاج الدسوقي مع خلف الله محدودة للغاية •
فالحاج ليست له سكة من أمام الدكان • وخلف الله يكثر من غلق
دكانه بالأسبوع والاثنين • يذهب الى الموالد (يلقط رزقه
هناك) لذا ، قلما يقابل الدسوقي خلف الله ، واذا ما رآه في
الطريق يكتفى بتحية من بعيد • كل واحد منهما يرفع يده محييا •

قام الحاج متكاسلا • فهو لم يرتح للآن • ولم تغفل عيناه
لحظة واحدة • لكن الرجل قصده وجاءه الى حد بيته • ولا بد من
مقابلته واكرامه •

نظر الحاج الدسوقي الى أسفل السلم وهو واقف أمام
شقيقته :

— تفضل يا أسطى خلف •

وصاح الأسطى خلف الله من أسفل :

— يا ساتر •

وصعد السلم •

— أهلا بك • أهلا •

أخذ الحاج الدسوقي يرددها كلما صعد خلف الله درجة من
درجات السلم التي تزيد عن العشرين بقليل :

— أهلا بك •

— خير يا حاج الدسوقي ، خير •

— تفضل •

دخلا معا حجرة الصالون • ابتسم الحاج :

— نورت البيت يا أسطى • والدك كان عزيزا على • وله
افضال كثيرة على وعلى أهل بحرى •

— الله يحفظك • أنت تعلم أن محمد سماحة كان يعمل
في دكاننا •

— أعلم • ثم تزوج اختك وأنجب منها • وافتتح محلا
بمفرده •

— أكمل يا حاج • قل انه بعد أن أفتتح دكانه هذا أخذ
زبائن المحل معه •

— أخذ الزبائن ؟

— نعم يا حاج • أعلم أنه صديقك •

— صديقى شيء • والحق شيء آخر يا أسطى خلف •

— الحق أن محمد سماحة أخذ زبائن الدكان وتركنى
بلا زبائن •

— العمل ؟

— أن يرسل لى جزء من زبائنه التى هى فى الأصل زبائننا •
— كيف ؟

— احس خلف الله أن الحاج الدسوقي غير راض عما يقول •
وأنه ينحاز الى صديقه • فصاح غاضبا :

— أتسأل كيف يا حاج • الأمر غاية فى البساطة • الزبائن
الذين ذهبوا الى دكانه يعودون •

— وان كنت — للآن — لا أعرف كيف سيتم هذا • الا أن
الأمانة تقتضى أن أبلغه بما تريد • وما على الرسول الا البلاغ •

اقترب فيكتور من الكازينو .. لفحه هواء البحر من قبل أن يصل الى الكورنيش . كان يلهث مع أنه لم يبذل جهدا أكثر من المشى من دكان خلف الله حتى الكازينو .. السنوات مرت بسرعة . تركت آثارها على جسده . جعلته مترهلا . ولا يصلح لشيء ، لا لحافضة ولا لغيرها .. لا يناسبه سوى الموت الآن .

وقف بوللى عندما رآه آتيا من بعيد . ابتسم فيكتور عندما رآه منتصباً رافعا يده كجندى يحيى قائده ..

- ايه يا بوللى . كيف الحال ؟

صاح الولد ضاحكا :

- حلقت . نعيما .

ضحك فيكتور طويلا . خلف الله الحلاق أزال كثيرا من شعره ، حتى بدا وكأنه ذاهب الى الجيش . هذا أحسن كثيرا حتى لا يذهب الى الحلاق الا بعد وقت طويل .

أراد فيكتور أن يصفع الولد بوللى على قفاه لسخريته
منه • لكن الولد تفادى الصفعة وابتعد وهو مازال يضحك على
حلاقة فيكتور •

فى الداخل كانت لبلى مسترخية فوق مقعد كبير • تدخن
سيجارتها فى هدوء • صاح فيكتور :

— كيف حالك يا لىلى ؟

— فيكتور • أين أنت ؟

— مالك • حدث شىء ؟

— الحرب يا فيكتور • الحرب •

— مالنا ومال الحرب ؟ !

— ألسـت قلـقا من حدوثها ؟

— اننا لسنا عسكريين • كما ان الحرب مع اسرائيل عادة
لا تتعدى سيناء •

— أقصد وضعنا كيهود •

ضحك الرجل وجلس أمامها :

— نحن اليهود اعتدنا ذلك •

— كنت صغيرة أيام حرب ٥٦ • لكننى مازلت اذكر مدى
الجزع الذى انتاب أمى وأبى •

— لقد أرسل الحاخام برقية تأييد الى عبد الناصر • يؤيده
مثل بابا الارثوذكس وشيخ الأزهر • وانتهت المشكلة •

— أيامها كان الغضب منصبا على انجلترا وفرنسا • واسرائيل مجرد تابعة لهما • لكن الآن ستكون بين مصر واسرائيل وحدها •

— اشربي كأسا على حسابي • وفكري في صوتك الذي سيضيع من كثرة التفكير والتدخين المستمر •

— صوتي ، وما أهميته صوتي الآن • لقد امتحنت في اذاعة القاهرة ولم أنجح •

— بهذه الطريقة قد تطردين أيضا من اذاعة الاسكندرية ، وربما تطردين من الكازينو أيضا •

— ليس مهما الآن •

اقترب الولد لالى منهما • قالت :

— لالى • الصول عبد الله لم يأت •

— لم أره منذ أيام •

قالت ليفيكتور :

— سمعت • ذلك يؤكد أن الحرب قد تبدأ اليوم أو غدا •

— وما صلة هذا بالصول عبد الله •

— الرجل كان يأتي كل ليلة الى الكازينو • فعدم حضوره

الآن يعني ان الاجازات ممنوعة • والمبيت في البيت ممنوع ، وذلك لا يحدث الا في اوقات الحرب •

— من رأيي يا ليلي أن تبحثي عن مؤلف أغاني يكتب لك

عدة أغنيات وطنية تؤيد عبد الناصر وجيشه • صدقيني هذا سيحميك ويبعد الخوف عنك •

سارت نحو البار وهي تصرخ في فيكتور :

— أنت رجل بلا قلب .

جاء فيكتور من فلسطين عام ١٩١٥ وعمره لم يتعد الثانية عشرة . وقتها أعلن والى فلسطين « أحمد جمال باشا » الحرب على اليهود الموجودين فيها . وأمر باغلاق البنك الانجليزى الصهيونى . وحل هيئة حراس هاشوير . وحرم الكتابة بالعبرية على الحوانيت والشوارع وهدد باعدام من تسول له نفسه بأن يلصق طابع بريد صهيونى على الخطابات .

أعلنت أسرة فيكتور الهجرة الى مصر . وجاءت الى الاسكندرية حيث استقبلها الخديو عباس حلمى ورئيس وزرائه حسين رشدى . وصرفا لهم الاعانات الفورية .

التحق فيكتور بمدرسة فى القبارى كانت تشرف عليها مدام فيلكس منشة اليهودى الثرى المعروف فى الاسكندرية تعرف فيكتور وقتها على زكى داود . لم يأت مثله من فلسطين . بل هو يهودى مصرى أبا عن جد .

لم يرتح فيكتور لزكى هذا . فقد كان معارضا لآراء المدرسين فى المدرسة ، المتعاطفة مع اقامة دولة لليهود فى فلسطين . ربما كان زكى متأثرا بآراء أهله . تمنى فيكتور لو استطاع أن يضرب زكى ويسيل دمه . فكيف ليهودى الا يكون متعاطفا مع آمال اليهود جميعا وأحلامهم .

لكن كيف يضربه فيكتور وهو أقوى منه . وأكثر منه طولا وعرضا . رغم هذا تحققت لفكتور أمنيته بعد سنوات طالت .

عمل فيكتور كاتبا فى محلات موريس منشة الكثيرة والمنتشرة فى الاسكندرية وذلك عن طريق فيلكس منشة مدرسته القديمة .

وكان تابعا لموريس منشأة ، يزوره في بيته ويقضى حوائجه وحوائج أسرته . وبالطبع تبني أفكاره ومنها العمل على ترحيل فقراء اليهود المصريين الى فلسطين .

ومن شدة تأثر فيكتور بالفكرة . اراد هو نفسه أن يرحل الى فلسطين . وعرض الفكرة على موريس . لكن الرجل قال له :

— لا تكن أبليها . اننا نحرص على ذلك . لكن لا نفعله . كما اننى فى حاجة للبقاء فى مصر وفى حاجة اليك هنا .

فى ذلك الصباح قال موريس لفكتور :

— أريدك الليلة فى البيت .

أوما فيكتور براسه ولم يجبه . لم يكن متحمسا للذهاب هذه الليلة . فقد وعد فتاته بأن « يفسحها » فى حدائق النزهة وانطونيادس . لكنه لا يستطيع أن يرفض لموريس طلبا . فهو ولى نعمته .

ذهب الى البيت ، فوجيء بوجود أعداد كبيرة من كبار العائلات اليهودية : عادة وقطاوى وموصيرى ومنشأة وغيرهم . جلسوا فى حجرة مغلقة . وفيكتور مع العديد من العاملين لدى منشأة يقومون بخدمتهم : تقديم الأطعمة الخفيفة والمشروبات ، ثم يفلقون الباب عليهم مرة أخرى .

وبعد الاجتماع دعاه موريس منشأة وقال :

— تعرف نادى المكابى ؟

— اننى عضو فيه . اذهب اليه كثيرا لألعب « البنج بنج » .

— جميل . فى الغد ستعقد اجتماعات الجمعية العمومية

وأنتخابات مجلس الادارة • وهناك اولاد مشاغبون يعارضون
افكارنا • وهم - الآن - يسيطرون على النادي •

- نريد أن نضربهم •

- أريد أن تمنعهم عما يريدون • بأن تسقطهم في الانتخابات
وتبعدهم عن النادي •

- لا تشغل بهذا • فالأمر بسيط •

بالفعل اجتمع فيكتور ومن معه من العاملين في شركات
موريس منشة وقطاوى وشيكوريل وغيرهم • وآثروا المشاكل
مع الآخرين وتربصوا بهم • كان لحسن الحظ زكى داود من
بينهم • ابله • كان ينادى بأن اليهود جزء من مصر • مصريون
ديانتهم اليهودية • منهم مثل المسلمين والأقباط • وكانوا يعلقون
اللافتات الورقية التي تؤيد هذه الأفكار :

أ - القضاء على الحركة الصهيونية •

ب - الوقوف ضد هجرة اليهود من مصر •

ج - اعلان الارتباط بمصالح الشعب المصرى والحركة
المصرية •

قام فيكتور ومن معه بتمزيق هذه اللافتات ، وداسوها
بأحذيتهم • ثم التفتوا حول هؤلاء وأوسعوهم ضربا أراد فيكتور
مصرع زكى داود • لكن زكى رماه بعيدا عنه وهرب الى الشارع
بعد أن كسرت ذراعه •

ذهب اليهود الى أمريكا وأوربا وفلسطين • وتبقى القليل •
ومنهم زكى داود • لكى يراه فيكتور دائما أمامه • يذكره بما

حدث • لكن فيكتور لم يخسر شيئاً • فقد ترك له اليهود - الذين هاجروا - أشياءهم ونقودهم وممتلكاتهم •

ذكريات يحس فيكتور بالأسى وهو يتذكرها ، عشيقات كثيرات ، مسلمات وقبطيات ويهوديات • كلهن ذهبن وبقى هو يحمل كرشه وجسده المترهل وآلام ساقيه اللتين لا تستطيعان حمل جسده الثقيل • فيئن ويتألم ويفضل البقاء في الكازينو •



أحس عبد الله باسترخاء وانتشاء وهو مضطجع فوق سريره العلوى • • لقد اختار هذا السرير • لكى يكون فوق الجميع ، يتابعهم ، ويفعل ما يفعل فلا يراه زملاؤه سكان السراير السفلية ليسوا موجودين الآن • • مشغولون الآن اما بالحراسة أو بالقيام بواجبات الفرقاطة • هو الوحيد فى عنبر سبعة الآن • لقد عاد من وردية حراسته على سطح السفينة عند الفجر • ونام ساعتين لا أكثر ، وأحس برغبة فى أن يقرأ • فتح « المبريطة » المجاور لسريره لكى يهوى العنبر • وملأ صدره بالهواء النقى •

نزل الى السرير الأوسط • ثم السرير الأرضى • « تمطع » وتشاءب بصوت مرتفع • فهو وحده فى عنبر كبير يتسع لأكثر من ثلاثين بحارا •

منذ أن أعلنت حالة الطوارئ وكل سفن الأسطول المصرى فى انتشار • بعضها داخل الميناء العسكرى فى رأس التين • فى أماكن متفرقة ومتباعدة • والبعض الآخر فى الميناء التجارى « الجمرى » •

سارت الفرقاطة مصر وسط المياه الاقليمية المصرية • وقف العقيد حسن المختار فوق السطح • يشرف بنفسه على العمل •

نظر عبد الله الى ساعته وجدها قد تجاوزت التاسعة صباحاً
وهو كما هو • لم يغسل وجهه ولا أسنانه • ولم يقرأ جرائد الصباح
كعادته كل يوم •

إذا ما كان في اجازة يبدأ يومه بقراءة عناوين الجرائد الرئيسية •
هو لا ينزل لشرائها • لكن بائعها يبرمها ويلقيها الى فراندة الفيلا •
في الفرقاطة يأتي قارب من الشط محملاً بلوازمهم ، أو تأتي
مع السفن المساعدة : نموين مياه ، أو مازوت ، أو أكل • الخ •

صعد عبد الله الى سطح السفينة بحالته تلك • شعره مهوش
ولحيته لم يحالفها وهو نادراً ما يظل هكذا لو رآه العقيد حسن المختار
حتماً سيعنفه ويلومه لتصرفه • هو صديقه حقاً ، لكن ليس معنى
هذا أن يتهاون معه في أبسط قواعد العسكرية • لكن الرجل نزل
ثانية الى حجرته • هو الآن لا يهدأ وقليل ما ينام • المسؤولية
ثقيلة عليه •

واجهه الصول رمضان ، هو يسكن حتى بحرى مثله • ومخصص
لبعض المهام الادارية في السفينة • عمله يحتم عليه الانتقال بقارب
(أى قارب ذاهب الى الشط) لانتهاء بعض الأوراق الرسمية في
الادارة • أو بعض النواحي الأخرى • حياه رمضان من بعيد • ثم
اقترب منه :

ـ تعرف أن شقيق خطيبتك ـ دكتور أحمد ـ عاد من المانيا؟

ـ حلاً ؟ ! رأيتة ؟

ـ لا • هو لم يخرج من البيت • اتفقت مع بعض الرجال
على الذهاب اليه •

جاء جندي بجريدة عبد الله التي أرسلها اليه ريس القارب •
استأذن عبد الله من رمضان • وأسرع الى عنبره الذي يعمره وحده

الآن • واجهه أول مانشيت في الجريدة • في حالة نشوب المعركة
ستحقق القوات العربية مفاجأة مذهلة • مستخدمة أسلحتها
السريعة • كما أن أسراب المقاتلات العربية الأسرع من ضعف الصوت
قادرة على تحقيق السيطرة الجوية • كما أن هناك أنواعا من
المقاتلات النفاثة السريعة من أحدث طراز انضمت الى أسراب القتال
في القوات الجوية •

أراد عبد الله أن يكمل قراءة الجريدة • يتابع أخبار النجوم
والأفلام في السينما • لكنه لم يقدر • بانقباض • رمى الجريدة فوق
السريـر وشرد طويلا •

أحس برغبة في الخروج من الفرقاطة • والجلوس في قهوة
عبد الزردوني • وكازينو كازابلانكا ومقابلة ليلي وفريدة • يريد
أن يهرب من ذلك الانقباض • هو دائم الاحساس به • ظنه — أول
الأمر — بسبب بقاءه في الفيلا الواسعة وحده ومتابعة الأرض
الواسعة أمامه والحديقة العامة والمرحاض العمومي في الأرض التي
كانت مدفنا لأسرته الى أن جاء نابليون فمنع عادة دفن الموتى في
البيوت وبجوارها •

صعد الى سطح السفينة ثانية • شاهد جندي بحري
باحثا عنه •

— حضرة الكومندان يريدك حالا •

أحس بالضيق • فأكبد الرجل سيكلفه بعمل جديد • وكل
الأعمال في هذه الفترة شاقة وهامة • قال :

— سأذهب اليه •

قال الجندي في تعنت :

— لا • هو قال لا تأت إلا به •

— ماذا • تريد أن تقبض على ؟ !

— العفو • لكن من أجلّي تعال معي الآن •

سار عبد الله الى حجرة الكومندان التي يعرف كل شبر فيها •

كان الكومندان يجلس فوق مقعده • والرائد سيف قائد سلاح الطورييد والصواريخ المضادة للغواصات جالس أمامه •
ما الذي جمعهما هكذا • • اللهم اجعله خيرا • حسن المختار لا يحب الالتزام ببعض الواجبات العسكرية المبالغ فيها • لذا • قبل أن يدق عبد الله الأرض بقدمه ويحييه • صاح في ضيق :

— اجلس يا عبد الله ، أريدك •

— خير •

— لقد أرسلت اليك • لأنك أنت والرائد سيف عليكما مهمة صعبة للغاية •

خلع عبد الله طاقيته ، وضعها فوق المكتب • أحس الكومندان بالضيق لتصرفه هذا • فقد أخرجه من حالته ، قال في عصبية :

— تعرفان ما حدث • تعنت تركيا جعلنا لا نتسلح بالصواريخ المضادة للغواصات •

أوما برأسيهما معا • فالقصة معروفة لكل العاملين في الفرقاطة • وتعرفها الادارة جيدا •

فقد تم الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي منذ شهور عديدة أن تذهب الفرقاطة مصر بكامل طاقتها ، مختركة المياه الاقليمية في تركيا • ثم تتسلح بالصواريخ في الاتحاد السوفيتي وتعود • •

واستعد طاقم الفرقاطة كله لذلك . صرفوا لهم المبلغ المخصص لذلك ، روبلات روسية . واستطاع البعض الحصول على مبالغ اضافية للانفاق هناك ودار الحديث طوال الوقت عن روسيا وبردها القارس والكافيار والروسيات المملئات والفودكا .

قبل السفر بليلة واحدة . صدرت الأوامر بإلغاء الرحلة . فقد اشترطت تركيا أن تعود الفرقاطة بنفس السلاح الذي ذهبت به الى الاتحاد السوفيتي . ولا تزيد قطعة سلاح واحدة . وذلك التزاما بحظر السلاح المطبق على منطقة الشرق الأوسط .

قال حسن المختار في أسي :

— من الممكن أن ترسل اسرائيل غواصاتنا اليها . بل أنا متوقع أن ترسل خلال هذه الأيام غواصات . . لذا على سلاحكم مسئولية هضاعة . أن تقاوموا غواصاتنا دون صواريخ .

حاول الكومندان أن يعود الى حالته العادية . أن يبتسم ويضحك وينكت . لكن الأسي كان قد ترك اثره على وجهه :

— ما علينا . المهم اننى فى حاجة اليك يا عبد الله . سأرسلك الى الادارة فى رأس التين بمهمة .

أراد أن يسأل عبد الله سبب اختياره هو لهذا . علما بأن هذه المهمات من صميم عمل الصول رمضان .

قال الكومندان وقد وضع يده فوق كتف عبد الله :

— هذه المهمة خاصة بسلاحكما . . سلاح الصواريخ المضادة للغواصات .

دق عبد الله الأرض بقدمه فى عنف . وحيى الكومندان وانصرف استعدادا للخروج الى المهمة .

- ١١ -

يجلس عوض على مقعده خارج حجرة الكشف في مستشفى
السبع بنات •

اقتربت دكتورة آمال منه • عندما لمحها آتية من آخر الممر
القصير وقف لها محييا :

— صباح الخير يا عم عوض •

— أهلا يا دكتورة ، يا سكرة •

— دكتور يوسف موجود ؟

— خرج آخر مريض عنده منذ لحظات •

فتح عوض الباب لها ، مفسحا الطريق ، وهو مازال يمسك
مقبضه :

— تفضللى •

كان يوسف يغسل يديه بعد أن أنهى الكشف •

— كيف حالك يا يوسف ؟

جفف يديه بالفوطة المعلقة . على المشجب المجاور للحوض :

— كنت سأذهب اليك في حجرتك .

— قالوا لى انك سألت عنى . لذا جئت اليك . خير ؟

اشار الى المقعد المجاور لمكتبه :

— ارتاحى .

احسنت أن ثمة تغييرا قد حدث فى معاملنه لها . فهو يبدو أكثر رقة معها . وفى عينيه نظرة تعرفها جيدا . فكثيرا ما رأتها فى عينيه . عندما يشتد به الشوق .

— دكتور يوسف . ماذا وراءك .

— كل خير . أردت ان آخذك لزيارة صديقنا أحمد الدسوقي .

اهتزت آمال فى داخلها :

— ماذا ؟

— ألا ترغبين فى ذلك ؟

اعتدلت فى جلستها وقالت :

— كان المفروض أن يأتى — الى المستشفى لمقابلتى . أقصد لمقابلتنا .

— سألت عوض عنه . فقال انه لم ينزل الى القهوة لمقابلة أصدقائه وأصدقاء والده .

قالت جزعة :

— أیكون مریضا ؟

— هو لم یكن مریضا عندما أتیت به — بسیارتی — من المطار • لكن

— لكن • ماذا ؟

— قد یكون تغیر الجو اثر فیه •

تعرف آمال أن یوسف یحبها منذ طفولتهما • وینمى أن توافق على الزواج • وتعرف — ایضا — أنه یخشى من حبها لأحمد ویحاول كثيرا أن یبعدها عنه • فما الذى حدث له ؟ لماذا یسمى لأن تقابل أحمد • ویبارك ذلك اللقاء ؟ !

— ومتى سندهب لزیارته ؟

— مضطر أن اذهب بعد قليل • حتى لا أضیع وقت العیادة •

— لكن

— لا تخشى شیئا • فهو صديق قديم • ولو دعاانا للغداء لن نمانع •

— هناك شیء خفی یجعلك سعيذا • فماذا حدث ؟

— لا شیء •

* * *

ركبت آمال السیارة بجوار یوسف • انطلق بها من شارع السبع بنات الى المنشیة • قالت آمال :

— الى أين ؟

— الى بیت صديقنا القديم أحمد الدسوقي •

— لا • سأذهب الى بيتى أولا •
— لماذا العطلة • اننى واثق أنه سيغدينا عنده •
— الاكل لا يعنينى فى شىء • سأذهب الى البيت لأغير
ملابسى •

— ملابسك جيدة • وتبدلين فى أحسن حال •
— يوسف أرجوك • اذهب بى الى شارع التتويج لأغير
ملابسى •

اضطر يوسف للاذعان وتوجه الى شارع التتويج • بدأ واجما
طوال الوقت فأمال كل ما يهملها — الآن — أن تبدو جميلة أمام
أحمد هى فى رداء حسن • وقد غسلت وجهها — لاشك — فى
المستشفى بعد عناء العمل والكشف على المرضى • فما الداعى
للذهاب الى البيت ؟

عندما وصلت البيت صاحت :

— لن أتأخر • نصف ساعة بالكثير •

عندما رآته مازال يجلس أمام مقود السيارة صاحت :

— ماذا • استنتظر فى السيارة ؟ !

— ليست لدى رغبة فى الصعود الى الشقة • سأتابع المارة
وأنا جالس •

مطت شفتيها وصعدت درجات السلم •

كان زكى دلود — والد آمال يجلس مسترخيا على مقعده
الخيزرانى الكبير واضعا ذراعيه خلف رأسه • منصتا الى أغنية
قديمة لأم كلثوم من جهاز كاسيت بجواره •

— بابا • أتستعيد الذكريات ؟

— آمال • لقد عدت قبل موعدك اليوم •

— يوسف ابن عمى ينتظرني في السيارة •

— لن تتناولى الغداء معى ؟

— سنزور احمد الدسوقي في بيته •

— والغداء ؟

— اذا لم نفلح في تناوله عنده • ساضطر لأن اتعبك •
واتناوله عندما أعود •

كانت تحدثه وهى مسرعة الى الحمام لكى تغتسل • وتعد
نفسها لمقابلة احمد •

تنهد زكى فى اسى • آمال مختلفة تماما عن امها سارة • لا •
هى شىء وامها شىء آخر •
جاء صوت ام كلثوم :

ليه تلاوعينى وانت نور عينى

ياللى كاويانى • ياللى هاجرانى

تمتم بصوت خافت مع الأغنية • وأحس برغبة فى البكاء •
هجرته سارة زوجته • كانت تعتنق افكارا ضد افكاره ••

استطاع فيكتور ومن معه — أن يؤثروا عليها ويحولوها عنه •
فى آخر أيامها معه • صارت عدوة له •

كانت جميلة • أجهل بكثير من ابنتها آمال •

لقد أفسد زكى جمال ابنته آمال عندما أعطها من بعض دمامته . ليتها اخذت منه طوله وعرضه . واخذت من امها تقاطيعها المتناسقة الجميلة .

قال لسارة :

— ماذا تريدین أكثر مما نحن فيه — الآن — اصبری وستنالین ما نتمنیه فی مصر . أستطیع أن أنتج فیلما سینمائیا واكسب .
السينما تكسب كثيرا جدا .

لكن فيكتور كان تأثيره عليها اكبر واشد .

زارته فی الكازینو . تركت ابنتها آمال الرضیعة وذهبت الیه .
قابلت رجالا ونساء كثيرین .

— جواز سفرك جاهز . والتذكرة أيضا .

لا ، لن تسافرئ الى اسرائيل مباشرة . فليست هناك طائرات من هنا الى اسرائيل . لابد أن تذهبئ الى قبرص فی الاول ، ومنها الى اسرائيل . وهربت سارة زارت فيكتور فی الكازینو — كالعادة — لكنها لم تعد الى البيت نامت ليلتها معه فی فندق رخيص بالمنشية . وخرجت معه . كان فيكتور يقف وكأنه « مشرف رحلة سياحية » . عدد كبير من اليهود ، سيذهبون بالطائرة الى قبرص ومنها الى اسرائيل .

وانتهت القصة معه . كأسوأ نهاية . وآها زكى فی الأفلام التي عشقها . تذكر فيلم « لعبة الست » لنجيب الريحاني البطلة « لعبة » سافرت الى لبنان لتصوير مشهد فيلما ، وعادت بعد وقت طويل امرأة أخرى ، لا تريد زوجها لكن سارة لم تعد ثانية ولا يستطيع — هو — أن يراها ثانية .

يُحلم — أحيانا — بمقابلتها • لا في اسرائيل • يراها في أى بلد آخر يذهب اليه • قبرص ، ايطاليا ، اليونان لكن الحلم تبدد وضاع عندما علم أنها في اسرائيل • عاملة نظافة في فندق • وهو لم يبرح مصر منذ أن سافرت ••

يخاف زكى من أن تحن آمال الى امها • وتلح عليه أن تسافر اليها مثل اللاتى سافرن فسارة مازالت تذكر ابنتها • فترسل اليها بتحياتها • عرف هذا عندما زارته ليلي المغنية في اذاعة الاسكندرية • جاءت الى الشقة • صاح زكى غاضبا :

— ماذا تريدين ؟

فقد كانت هى احدى اللاتى حرضن زوجته على السفر • ضحكت في برود ، وأزاحت ذراعها التى أرادت منعها من دخول الشقة :

— جئت من أجل الدكتور ، لا من أجلك •

وجاءت آمال بعد أن سمعت صوتها • استقبلتها باسممة ، فهي مغنية معروفة في الاسكندرية • كما أنها يهودية واليهود في الاسكندرية — الآن — قلة ويسهل تعاونهم وتعارفهم •

أحس زكى بالخوف من هذه الزيارة • فقد بدأت رحلة سارة الى اسرائيل بزيارة مثل هذه • كما أن أى حدث يكون فيكتور فيه ، لابد أن يكون فاسدا •

ماذا يريد فيكتور منه •• يريد أن يفسد ابنته ويرسلها الى اسرائيل كما فعل مع امها • لذا ، تيقظ زكى • وأصاخ السمع الى ما يدور من حديث :

— أمك تبعث اليك بتحياتها وأشواقها •

— هل زرتها في اسرائيل ؟

أولبتكت ليلي ثم قالت :

— لا • لم أزر إسرائيل • لكننى قابلت بعض القادمين منها •
! أنت تعلمين أن عملى كمغنية يسمح لى بمقابلة الكثيرين • ومن
دول عديدة •

— وكيف حالها ؟

— سعيدة فى إسرائيل • هكذا قال لى من رآها وقابلها
وتحدث معها •

خاف زكى من أن تضعف البنت • وتتبع أمها خاصة أنهم
فى إسرائيل يلحون فى طلب المتعلمين : أطباء مهندسين • الخ •
أمها تعمل عاملة نظافة فى فندق • لكن آمال ستعمل طبيبة ، الوظيفة
مضمونة • • لذا ، جاء زكى اليهما جلس قريبا منهما حتى لا تكمل
ليلي المخطط الذى جاءت من أجله ، ويفسد عليها عملها وعمل
فيكتور الذى أرسلها •



بقى زكى وحده فى الشقة • •

يتقابل زكى مع فيكتور أحيانا • لمحاه منذ أيام يسير على
رصيف الشارع المؤدى الى شارع التتويج من ناحية البحر • وكان
زكى آتيا من أول الشارع • تمنى زكى لو توقف فيكتور عن
المسير • ليمسك به ويهزه من كتفه ويسأله عن سبب كرمه له
طوال هذه المدة • انهما يهوديان مثل بعض • وكانا فقيرين مثل
بعض • كل منهما يعمل مع يهودى ثرى من أعيان الاسكندرية •
والمفروض أن تجمعهما هذه الأسباب ، لا أن تفرق بينهما وتبعدهما •
لكن فيكتور تهدم الآن • ساقاه القصيرتان تعجزان عن حمل جسده

المتروهل المتكور • وخاد زكى يسمع ضوضاء تنفسه غير المتناسق وهو سائر •

ماذا يريد فيكتور من اسرائيل • هو لاشك سيموت في مصر • فاسرائيل لا تريد رجلا مثله تعدى السبعين ولا يستطيع حتى ان يقدم طفلا يهوديا صغيرا ، ليكبر ويصير رجلا هناك • سيموت فيكتور دون ان يترك أثرا لا في مصر ولا في اسرائيل • فهو لم يتزوج ولم ينجب •

تذكر زكى يوم انتخابات نادى المكابى في ٩ من أبريل ١٩٤٧ • كان قد استقر ، تزوج من سارة وأنجب منها آمال ابنته • وعمل في عدد من الأفلام العربية • أدوار صغيرة ، لكن العديد من المخرجين أكدوا له أنه يسير في الطريق السليم • وأنه من الممكن أن يؤدي أدوارا مميزة في السينما العربية •

أرسل اليه هانز • قابله في قهوة اللواء • حكى عن نادى المكابى فى الظاهر • زكى كان عضوا فى الفرع التابع له فى الاسكندرية • القائم فى المنشية • قال هانز :

— انهم يريدون سحب اليهود من معركة الصراع الطبقي القائمة فى العالم كله الآن • والتى كان لليهود دور بارز فيها • وذلك بأن يجمعوهم فى مكان واحد يحقق أهداف الاستعمار •

لم يفهم زكى كثيرا مما قاله هانز ، فقد كان معلما وأكثر ثقافة من زكى ، كان يقرأ كتباً كثيرة بثلاث لغات العربية والانجليزية والفرنسية • وكان زكى يحبه ويشق فيه • والشئ الذى فهمه زكى وأدركه ان هانز مصرى مثل أى مصرى آخر مسيحي أو مسلم • كان زكى يخرج فى المظاهرات ضد الانجليز • وأعطاه هانز كتابا • قال :

— هذا الكتاب سيوضح لك رؤيتي • اقراه يا زكى •

كان اسم الكتاب « المعادة للسامية والمشكلة اليهودية »
لكاتب انجليزى اسمه « ريناب » • لم يكن زكى ميالا للقراءة •
خاصة الكتب الكبيرة مثل هذا الكتاب • ووقتها لم يتحمس
لأخذه من هانز • وبعد أن خجل من اعادته اليه • أيقن أنه لن
يفتحه • سيتركه عنده لعدة أيام ثم يعيده مدعيا انه قراه •

الغريب انه قراه • وظل يقرأ فيه حتى أتمه وسط دهشة
آسيا • قالت وقتها :

— أول مرة أراك منكبا على قراءة كتاب بهذه الطريقة •

بعد أن أتمه • فهم زكى لماذا يهتم أمثال كليان شيكوريل
وموريس منشة وغيرهما من اغنياء اليهود في مصر بإقامة دولة
 لليهود في فلسطين • المشكلة ليس لها صلة بالدين : بل هي
مصالح مع شركات عالمية تريد مجموعة قادرة على تنفيذ مخططاتها
في هذه المنطقة الحيوية والهامة • والا لماذا لم يذهب هؤلاء الاغنياء
الى فلسطين كما حرضوا غيرهم على الذهاب باسم الدين ؟

— قابل زكى هانز في اليوم السابق لانتخابات نادى المكابى •
وكان زكى اكثر حماسا لان يقف ضد هؤلاء • لكن — للأسف —
لم يفلح هانز ولا زكى ولا من معهما من الوقوف أمام ذلك التيار •
فالآخرون كانوا اكثر مالا • والمال يأتى بالرجال الكثيرين • كل
ثرى يهودى لديه رجاله الذين يحيطون به • ويصيحون باسمه •

ليكتور وقتها كان يعمل مساعدا لموريس منشة • وكان اكثر
حماسة من الآخرين في القضاء على المعارضين لسفر اليهود الى
فلسطين •

أنهى عبد الله العمليات الموكلة اليه حوالى الثانية عشرة ظهرا . ساعات طويلة أمامه . يمكنه أن يذهب الى السفينة فى الخامسة مساء . قبل نوبة حراسته بنصف ساعة تقريبا .

سار فى شارع رأس التين ، يستطيع أن يذهب الى بيت أحمد الدسوقي القريب من بيته . نعم . لن يغير ملبسه . سيذهب اليه كما هو ببدلته العسكرية . لكن صابرين - خطيبته - التى رمت الدبلة له ، ماذا سيفعل معها . من الممكن أن تقابله فى فتور أو ربما فى عصبية . ليس مهما - المهم أن يقابل أحمد صديقه القديم .

أسرع الى شارع السيالة . من هناك سيذهب الى بيت الحاج الدسوقي القريب من مسجد سيدى محمد كظمان . كثيرا ما سار فى ذلك الطريق - من بيته فى السيالة الى بيت أحمد . استذكرا دروسهما معا . كان أحمد هو الأشرن . أشر من كل الذين استذكروا معه : عبد الله ويوسف وغيرهما . . كانت آمال

ابنة عم يوسف تأتي أحيانا لسؤال أحمد في بعض المسائل الرياضية
التي كان أحمد متميزا فيها .

من خبرة عبد الله الطويلة في عالم البنات والنساء - خاصة -
أدرك أن البنت آمال تحب أحمد . وعاشقة له . كان يتابعها
وهي تنصت إلى شرح أحمد ناظرة إليه في خشوع وابتهاال .
تتابعها وهي تتحرك فوق الكتاب أو الدفتر . تنحني
بشفقتها كأنها تريد أن تقبلها أمام كل الجالسين .

وكانت صابرين صغيرة تبسم إذا ما فتحت الباب لصديق
من أصدقاء أخيها . وتجري منادية له .

أحب عبد الله هذه الأسرة الطيبة ، خاصة أنه كان مفقدا ذلك .
كان الولد الوحيد على أربع بنات . دلته أمه وعودته على نلبية
كل طلباته . تخدمه الأم وبناتها الأربع فقد كان هو أصغرهم
جميعا .

لكن عندما جاء أول خاطب . وطلب البنت الكبيرة تحول
الاهتمام إليه . كل ما كانت تخفيه الأم لعبد الله قبل أن يأتي
الخاطب الجديد - صار له الآن - تأثر عبد الله وابتعد عنهم
بالالتحاق بالبحرية . فضل أن ينام بعيدا عنهم . ماتت الأم .
وتزوجت البنات واحدة تلو الأخرى . ثم عادوه هن وأزواجهن .
طالبوا بنصيبهن في الفيلا والحديقة . قالت أكبرهن - وهي
أكثرهن تأثرا بأقوال وأوامر زوجها :

- الفيلا كبيرة جدا . وحولها أرض فضاء وحديقة يمكن
أن تدر مبلغا كبيرا .

وأكملت الأخرى :

- وتسكن أنت شقة صغيرة على قدرك .

لكن عبد الله أصر أن تبقى الفيلا كما هي ، يكفي ما حدث
لأرض المدفن القديم . ضاعت بين فتوى نابليون بعدم دفن الموتى
في البيوت وحولها . وحرب الانجليز مع الألمان التي جعلتهم
يتخذونها معسكرا ثم مخبئا . وبين بلدية الاسكندرية التي اعتبرت
نفسها الوارث الشرعى لأمالك الانجليز بعد خروجهم من مصر .
حتى لو كانت هذه الأملاك مسروقة من الغير .

يعيش عبد الله وحده في الفيلا الكبيرة . لا خادم ولا جنانين
كما كان من قبل . يحلم عبد الله بأن يعيد مجد أسرته . أن يرمم
سور الحديقة المتآكل . ويزرعها ، ويصون المباني من الهدم .

ما زال يحلم بهذا رغم أنه لا يفعل شيئا . ولو قليلا في
تحقيق حلمه .

كانت أم أحمد تجمع أصدقاء ابنها الوحيد أحمد حولها ،
وكانهم كلهم أولادها . تعرف - هي - الأكلات المفضلة لدى كل
واحد منهم . فتطبخها له . وتدعو الجميع كي يشاركوه أكلها .
ويجلس ذلك الصديق ، وكانهم يحتفلون بعيد ميلاده ، أو نجاحه .
أو بأي مناسبة خاصة به .

يحب عبد الله كل أفراد الأسرة . الرجل الطيب الحاج
الذسوقي وزوجته الحاجة فاطمة - رحمها الله - وأحمد وصابرين .

عندما قرر فجأة أن يخطب صابرين . كان واضعا في اعتباره
باقي الأسرة ، ورغبته في أن يصاهرهم وينتسب اليهم . . لكن
بعد الخطوبة أحس أنه في حاجة الى شيء آخر غير صابرين المبتسمة
دائما والهادئة . ذات الصوت والوجه الطفولي الهادئ . أحس
أنه في حاجة الى امرأة شهوانية لعوب . وقابله ليلي المغنية .

لا يدري كيف تم التعارف لم تقابله في الكازينو أول ما قابلته .
ولا قابلها صديقة في قطار أو ترام . لا . قابلته كثيرا في طريقها
الى الكازينو وهو في طريقه الى بيته . أو وهو خارج من البيت
ببذلته العسكرية في طريقه الى عمله . ابتسمت له عدة مرات ومرة
توقفت تماما وصافحته :

— تعرفنى ؟

— من لا يعرف المغنية لبلى المشهورة ؟

دعته لمقابلتها في المساء بالكازينو . وذهب اليها . كان الكل
يهتم به . فريدة وباقي البنات وفيكتور صاحب الكازينو . حتى
الولدين الأبلهين بوللى ولالى . وكأن فيكتور قد أوصاها بالاهتمام
به . واعتباره ضيف شرف الكازينو في هذه الليلة .

اقترب عبد الله من البيت . منذ شهر لم يأت الى هنا .
منذ أن وضعت صابرين الدبابة في يده غاضبة . .

ما زال البيت كما هو . كبير ومرتفع . وطلاؤه تساقط وظهر
الطوب الأبيض والأحمر . والدكان ذو البابين الكبيرين وصاحبه
النجار يعمل خارجه في الهواء الطلق . تاركا الدكان الواسع دون
شئ . وبعد أن ينهى عمله يدخل الخشب والعدة الى الداخل .
رفع النجار يده محبيا :

— أهلا الصول عبد الله ، وشك ولا القمر .

أحسن — هو — برعشة في جسده . يبدو جريئا — وأحيانا
وقحا — مع النساء . لكن هو في حقيقته شديد الخجل احتسك
حذاؤه الثقيل بدرجات السلم المتسخة والقديمة والمتآكلة . المفروض
أن يغير الحاج الدسوقي المزايكو ، يستدعى مقاول لتغيير
« تليسات » الدرجات بأخرى وأكثر نعومة .

ضغط على الجرس • عندما تنعطف نحو الشقة يواجهك
الظلام حتى في عز الظهر • فتحت صابرين الباب • لأول وهلة لم
تتأكد من وجه القادم • مدت يدها واضاءت لمبة السلم • صاحت
مندهشة :

— عبد الله ؟

— ازيك يا صابرين ؟

أسرعت الى الداخل وتركته واقفا • سار خلفها ، رآها تنظر
وراءها بأنوثة واضحة وهيام واضح • البنت لم تبد له هذا من
قبل • يعرف هو الطريق • حجرة الصالون التي لا يمكن أن
تتغير • فأى حجرة أخرى في الشقة لا تصلح لأن تكون صالونا
غيرها • فهي كبيرة جدا • وزوار الحاج — بصفته شيخ للصيادين —
كثيرون للغاية ولا تكفيهم حجرة أخرى غير هذه •

جلس فوق مقعده دون قول • وضع الأوراق الرسمية التي
عاد بها من مأموريته فوق المقعد المجاور • ثم خاف من أن ينساها •
فأمسكها في يده ثانية • جاء أحمد مسرعا • كان في بيجامته :

— عبد الله • حبيبى وأخى •

تابعت صابرين اللقاء الحار في سعادة واعجاب • حضور
أحمد الى البيت سيجعل عبد الله يأتي كثيرا وسيبتعد بالتالى
عن كازينو اليهودى • ونسائه الساقطات المعروفات فى الحى •

— اننى فى شوق شديد اليك • لكن حالة الطوارئ جعلتنى
أتأخر فى مقابلتك •

ثم ضرب على ساقه قائلا :

— لكن حالة الطوارئ ستنتهى قريباً وسنتقابل كل ليلة
كما كنا من قبل .

— أراك واثقاً من أن حالة الحرب ستنتهى قريباً .

— طبعاً . فهى كثيراً ما تشتد وتتصاعد . ثم فجأة تنتشى .
وكانها بلونة يلعب الأطفال بها .

— لا . لا . هذه المرة الأمر مختلف . ليست بالونة فى يد
الأطفال . وانما قنبلة موقوتة . ومحدد زمن انفجارها .

نظر عبد الله الى النسفة حوله فى ارتباك . أكيد صابرين قالت
لأخيها عما حدث . وقالت لوالدها الحاج الدسوقي ايضاً .
واكيد الحاج غاضب منه . والا جاء لمقابلته والتحدث معه . كما
حدث من قبل .

— افطرت ؟

— نعم .

— سنتناول القهوة فى الفرنادة . كما كنا نفعل قبل أن
أسافر .

حمل عبد الله اوراقه الرسمية . وسار خلفه خجلاً . وصابرين
تتابعهما سعيدة وممتنة .

بعد أن جلس أحمد . ووضع ذراعه على سياج الفرنادة
صاح :

اشتقت لأن اجلس هكذا وانت بالذات معى .

أى عبد الله جزءاً من أرض المدفن القديم أمامه . وحافضة
تسير بملابسها المتسخة دائماً متحدية الجميع .

— وأنا أيضا • اشتقت اليك • ظننت أن نساء المانيا
أنستك كل شيء •

— دعك من نساء المانيا وحدثنى عن الحرب •

— أراك مهتما بمسألة الحرب أكثر من أى شيء آخر •

— لا أجد من أتحدث معه فى هذا • الأمور فى المانيا أكثر
وضوحا • هنا العاطفة والانفعال والمبالغة تفسد كل شيء • وتصنع
دخانا كثيفا يحجب الرؤية •

— ما الذى يقلقك ؟

— كان جونسون فى مجلس الشيوخ الأمريكى أيام حرب ٥٦ •
وكان من أهم المنشددين لصالح اسرائيل • وها هو •

— لسوء الحظ — يصبح رئيسا لأمريكا • أذلك لا يوحى
بشيء •

— الرئيس عبد الناصر يعرف هذا • وما يقولونه فى المانيا
أو يكتبونه يصل الى علمه •

— الظواهر تؤكد عكس ذلك • صحفى أميركى اسمه
جيمس ستون زار مصر أخيرا ، قبل أن أعود من المانيا بيومين كتب
فى جريدته « القاهرة لا نريد الحرب » وعلى كل ما يبدو فهى غير
مستعدة للحرب • لكنها اقترت بالفعل بإمكانية السيطرة على
الموقف • يبدو أن حكومة ناصر تعد وتصنع الأزمات دون أن تجهز
نفسها لنتائجها • خاصة ان ميناء القاهرة الجوى عارى تماما أمام
أية هجمات توجه اليه : انهم لا يفعلون شيئا للدفاع عما
يملكون •

أحس عبد الله وكأنه يقابل أحمد الدسوقي لأول مرة • لقد
بدا أكبر من سنه بكثير •

— مالك يا عبد الله أرجو ألا يؤثر موضوعك مع صابرين في
علاقتنا معا •

— طبعاً • طبعاً • اننا اخوة منذ أن كنا أطفالاً •

اقتربت صابرين بصينية فوقها فنجاني قهوة • وضعتهما فوق
سياج الفراندة • وذهبت وهي تتابع عبد الله في ابتسامة معتذرة •
تعلنه أنها على استعداد أن تعيد ما كان بينهما • وعبد الله شارد
ومرتبك •

— أحمد • اننى قلق مثلك • والمفروض ألا أتحدث في هذه
الأمور • لكنك أخى وحبيبى وموضع ثقى •

— أعلم يا عبد الله • أعلم •

— اننى مندهش مثلك مما يحدث • ففي اذاعة صوت العرب
أذاعوا ما يأتى : ياعرب • هذه تفاصيل كاملة ودقيقة لقوة اسرائيل
العسكرية ، تم الحصول عليها من مصادر تعلم تماماً الحقيقة
في اسرائيل • ان اسرائيل لديها عدد من دبابات شيرمان القديمة
التي تم اصلاحها لى ثلاث مائتين والديزل والمدافع الفرنسية
عيار ١٠٥ ملمتر • وتستطيع اسرائيل وقت الحرب ان تعبئ
خلال ثمان واربعين ساعة ٢٥٠ ألف جندي للقيام بواجبات الحراسة
في الداخل • لكنهم لم يستطيعوا الاشتراك في المعارك التي تتدخل
فيها الجيوش النظامية •

صاح أحمد غاضباً :

— هذا كلام عارى تماماً من الصحة • الصحف الأمريكية

والغربية كلها تؤكد أن التفوق العسكري لصالح إسرائيل خاصة
في مجال الطيران .

قال عبد الله في أسي :

— الأسوا من هذا أن تنشر مجلة القوات المسلحة الموجهة
للجنود والضباط والمفروض أن تكون أكثر تخصصا . انظر ماذا
كتبوا : ان اليهودى بروحه وشخصيته لا يملك صفات الرجل الذى
يحمل السلاح . انه بطبيعته غير مستعد للتضحية بحياته في سبيل
أى شيء . حتى اذا كان هذا الشيء ابنه أو زوجته . فاذا كان
هناك اليوم رجل في إسرائيل يحمل السلاح فانه يفعل ذلك لأنه
يعلم أن هناك رجلا آخر سيسبقه ويقف أمامه . وليس خلفه للدفاع
عنه عندما يحين الوقت .

صاح أحمد :

— سذاجة . سذاجة متناهية .

صمتا للحظات . رشفا وقتها القهوة وتابعا النجار في أسفل
وهو يسب صبيه بأقذع السباب . ويحاول ضرب الولد الأصغر
بعضا طويلة في يده . قال أحمد الدسوقي :

— خطأ يا عبد الله . أن تعلم كل هذا وتصمت .

— الأمر والأدهى . يا صديقى . ان الدولة قررت هذا العام
أن تقتصد في مصروفات الجيش — وأدى هذا الى تأجيل عمل
الدشم التى تحمى الطائرات . وأن توفر في عمليات التدريب لكافة
أسلحة الجيش .

صمت عبد الله ثم صاح :

— الأمر كله يؤكد لك أن عبد الناصر يناور . ولن يسمع
لجيشه أن يخوض حربا هو الخاسر فيها لأشك .

— الأمر أبعد من ذلك . بكثير . جونسون يريد أن يعاقب
عبد الناصر لهجومه واستخفافه بأمريكا . والتقارير معروفة للعالم
كله . وتذكر في كل مكان فيما عدا مصر . وهو أن حل مشكلة
عبد الناصر إما اغتياله أو أن تنتصر عليه إسرائيل انتصارا ساجقا
يقضى عليه .

كانت صابرين تقترب منهما متظاهرة بحمل شيء لتسمع بعضا
مما يقولان . فربما يتحدث أحمد في موضوع الدبلة التي خابت ،
فخانتها أعصابها ودستها في كفه غاضبة . قد يتناقشان في ذلك .
ويعود عبد الله إليها ثانية . لكن في كل مرة تجد انهما يتحدثان في
السياسة والحرب . قال عبد الله :

— الصول رمضان . اتذكره ؟

— نعم أذكره — اننى لم أنس فردا من معارفى وأصدقائى
القدامى .

— يقول رمضان انك — الآن — لم تنزل الى القهوة لمقابلة
الرجال والجلوس معهم .

— أريد أن أفعل يا عبد الله . لكن موضوع الحرب قد يفرض
نفسه في الجلسات . وأنت تعرف انهم يسألون في السياسة .

— لا تقل آرائك هذه أمامهم . حاول أن تتماسك . ومن
رأى ان تنتظر للغد . سأنزل معك . فأنا الليلة عندى نوبة حراسة .
وسنسهر معا .

— فى كازينو كازابلانكا ؟

فهم ما يقصده أحمد من حديثه . وتظاهر بعدم الفهم .
قال :

— لا • سنقابل الناس • سنجلس في كل قهاوى بحرى •
وسادعوك الى اكلة كابوريا في شارع الحجازى • ماذا ترى ؟
قبل ان يجيب احمد • دق جرس الباب • فصمتا ليعرفا من
القادم •

جاءت صابرين صائحة :

— دكتور يوسف والدكتورة آمال •

أسرع احمد لاستقبالهما •

* * *

- ١٣ -

كان يوسف وآمال يقفان في مدخل الشقة • لم تقل صابرين
لهما ان عبد الله في الداخل مع احمد • ظنوه مع صديق آخر
لا يعرفانه •

اسرع احمد اليهما :

- يوسف • ما الذي يجعلك تقف هكذا ؟

وعندما واجهه وجه آمال الصغير صاح :

- آمال اهلا بك •

اقترب منها ، وضع يدها الصغيرة بين أصابعه ، أحست بالم
لذيق في أصابعها • طالت وقفتها • تمنيت لو شداها اليه • ضمها
لصدره وقبلها • ربما أن وجود يوسف منع حدوث ذلك • سنوات
أربع وبضع شهور وعدة أيام • تذكرها آمال جيدا بالساعة
والدقيقة والثانية • في آخر ليلة له في الاسكندرية ، سهرت معه كان
يوسف موجودا • وكان عبد الله وعدد آخر من الأصدقاء - زملاء

الدراسة - واصدقاء الحى موجودين أيضا • انشغل هؤلاء بالحياة •
وبعضهم هجر الحى وسكن أحياء أخرى غير حى بحرى • ولم تعد
آمال تراه •

ليلتها بكت آمال وهى تودعه • كان يوسف يتابعها فى أسى •
وسار معها حتى وصلا بيتهما • كانت منهارة • هى لعبة غريبة •
كلما ازدادت هى فى حب أحمد ، ازداد يوسف ألما وعذابا
وحبا لها •

ساعدتها يوسف لكى تصعد درجات السلم • وعندما وصلا
شقتها أراد أن يقبلها • أن يمسح دموعها التى انثالت فوق خديها
الشاحبين • أراد يوسف أن يستغل لحظة ضعفها وانهارها • لكن
آمال ابتعدت عنه • ارتمت فى أحضان أبيها زكى داود • لا يدرى
يوسف ماذا قالت له لتبرر سبب حزنها وبكائها • استقول انها
تحب شابا مسلما لا أمل لها فى الاقتران به •

ليلتها نام يوسف قلقا • حلم بأحمد وآمال • مرة وهما معا
فى الكوشة هى ببدة الفرح أحمد يرفع الغطاء عن وجهها ويحمل
النظارة عن عينيها ويقبلها • ومرة ثانية يراها ممسكة فى يده •
يواجهان قطارا آتيا من بعيد نحوهما وهما يصرخان فى فزع •
ليلتها أرقته الأحلام • كلما نام قام فزعا • بسبب حلم فيه
آمال وأحمد الدسوقي •

* * *

قال أحمد لها :

تفضل • ليس فى البيت غريب • ستفرحان عندما تريان
ضيفى • لا • لن أخبركما به الآن • ستريان به بأنفسكما •

سارا خلفه • وقف عبد الله منتظرا مقابلتها :

— أهلا دكتور يوسف • أهلا دكتورة آمال •

صافحاه • واسرع أحمد باحضار مقعدين آخرين • جلسا
في الداخل في مواجهة عبد الله • وأحمد جلس داخل الحجرة متجها
اليهم •

أراد يوسف أن ينهى المشكلة المعلقة • ويواجه الجمل بالجمال
(كما يقولون) فتعود آمال وقد برأت من ذلك المرض وتلك الحيرة
التي تطاردها منذ أن سافر أحمد • لا • بل من قبل أن يسافر •
قال يوسف :

— لم أعد أراك يا كابتن عبد الله • آخر مرة رأيتك فيها كان
في كازينو كازابلانكا •

ينظر عبد الله الى داخل الشقة • حمد الله لأن صابرين بعيدة
ولم تسمع قوله • والا ازدادت كرها لعبد الله ، وأصرت على موقفها
الذي يراه هو الآن قد تغير لصالحه •

تابعت آمال وجه أحمد باهتمام بالغ • لقد تغير كثيرا • فقد
بعض رونقه وحيويته • قالت :

— مالك يا أحمد • وجهك شاحب وكأن أربع السنوات
أربعون عاما •

أكمل يوسف :

— لم تكن هكذا عندما عدت بك بالسيارة • هل أنت
مريض ؟

قال عبد الله :

— ربما تغير الجو اثر عليه •

قال أحمد في أمي :

ـ ربما .

قالت أمال :

ـ احك لي ما حدث لك في ألمانيا .

أحس يوسف بالانشراح . فها هي اللحظة التي ينتظرها .
أن يحكى عن فتاة ألمانية أحبها . واشتد به الوجد والشوق
حين فارقها . وها هو وجهه يشحب ويدبل من فرط شوقه اليها
ولهفته عليها .

اقتربت صابرين بأكواب الشراب . قال أحمد :

ـ تشربون الشاي الآن . وسنتناول الغداء بعد قليل .

قال عبد الله :

ـ آسف مضطر أن استأذن الآن . فوقتي محدود للغاية .

قال يوسف :

ـ بسبب الحرب ؟

ـ نعم .

قال أحمد :

ـ سأجعل صابرين تعد لك الطعام الذي تحبه . لا تخف
فهى تعده بالكفاءة نفسها التي كانت تعده أمى بها .

قال يوسف لعبد الله وقد اقترب من أذنه :

ـ اظنكم مشغولون هذه الأيام ؟

— لاشك .

قالت آمال التى ودت لو ذهب عبد الله وتبعه يوسف ويتركها
لأحمد . تشكو له احساسها وقلقها عليه :

— دعونا من حديث الحرب هذا . فنحن نواجهه طوال الوقت :
فى صحف الصباح والمساء وفى الاذاعة والنبغزيون حدثنا يا أحمد
عن المانيا : جمالها وجمال بناتها .

اقتربت صابرين منهم . نظرت الى عبد الله وأشارت اليه
بأصابعها فى دلال . نظر حوله مرتبكا . لقد رآها عبد الله صغيرة
عندما كان يستذكر دروسه مع أخيها . ورآها مئات المرات بعد
ذلك . لكن لم يجدها فى هذا الجمال ابدا . لا يدرى أين كانت
تخفى هذه الخفة . قال وهو فى غاية الخجل :

— عن أذنكم .

وسار اليها . جلس أحمد مكانه — داخل الفراندة . أصبح
مواجهها تماما لآمال . قالت فى صوت هامس :

— كل يوم انتظر حضورك الى المستشفى لكى تسأل عنى .

— مشغول يا آمال .

— بأى شىء ؟

قال يوسف :

— اكيد البيروقراطيون فى الجامعة غلبوك . طلبوا منك لبن

العصفور .

— أنا لم أذهب الى هناك . وورقى مازال فى حقيبتي كما

هو .

قالت آمال في عتاب :

— لماذا يا أحمد ؟

— جئت في وقت غير مناسب • الدولة كلها تستعد للحرب •

— مالك انت ومال البلد • أنت طبيب ولست سياسيا •

مدت آمال يدها • وضعتها فوق سياج الفراندة قريبا من
ذراعه المثنية • لمست بأصابعها أصابعه دون أن يلمحها يوسف •
فارتعد أحمد • وأبعد يده كأنه لدغ بشعبان • قالت صابرين
لعبد الله :

— أتريد أن تمشي قبل أن تتناول الغداء معنا ؟

— أقصد • أنا مشغول •

— لو مشيت سأغضب منك •

— والدبلة ؟ !

— لقد أخطأت عندما رددتها لك • آسفة • اضطرت لذلك •

ذهابك لكازينو اليهودي أشعل النار في قلبي وجسدي •

— أنت خطيبتى • وأنا أحبك •

قالت وهي سعيدة :

— اذهب اليهم في الفراندة • لكى انتهى من اعداد الطعام •

— هل يمكن أن تلبسى الدبلة ثانية •

— هل هي معك الآن ؟

أوما برأسه • وأخرجها من جيب بنطلونه الصغير • بينما

مدت هي أصابعها خجلى . كأنه « يلبسها » لها في حفل
الخطوبة .

عاد عبد الله اليهم . كان فرحا ومرتاح البال لمواصلة العلاقة
بينه وبين صابرين . يحس الآن انه أحد أفراد أسرة الحاج
الدسوقي . لذا ، جلس مكان أحمد . قريبا من أهل البيت .
فلو جاءت صابرين بالأكواب مثلا . سيحملها عنها ويقدمها لهم .
كانهم في بيته هو .

انحنى يوسف وهمس في أذن عبد الله :

— أريد أن أتحدث معك في بعض الأمور .

— أية أمور ؟

— مسألة الحرب التي لا نعرف لها معنى .

— أننى مجرد ضابط صغير فى البحرية ولست سياسيا .

* * *

عاد يوسف مع آمال . الوضع معلق كما هو . مازالت آمال
تحيه ومتعلقة به . وربما اللقاء أشعل نار الوجد في قلبها . هبط
يوسف درجات السلم . وعبد الله الذى كان فى عجلة من أمره .
مازال يجلس مع أحمد فى الفراشة يتحدثان .

* * *

ذهب أحمد الدسوقي الى مدرسة الأنفوشى الابتدائية .

لديه احساس انه نسي الطب الذى درسه سبع سنوات
كاملة فى مصر وأربع أخرى فى ألمانيا . وكان طوال السنوات كلها
من أوائل الدفعة . والمتميزين فيها .

لديه احساس أنه لو أجرى الكشف على مريض لن يعرف ما فيه . لذا ، فهو يؤجل تقديم أوراقه الى الجامعة . كما هو متبع - من يوم لآخر - سأل الفراش الجالس على مقعده في الخارج :

- الأستاذة عواطف الاختصاصية الاجتماعية .

ظنه الفراش والد تلميذ جاء لمقابلة الاختصاصية في مشكلة . كما يحدث طوال النهار . أشار الفراش الى الداخل سار أحمد الى حجرة قريبة من سلم المدرسة . كانت عواطف تجلس امام مكتبها ، وزميلة تجلس امام مكتب آخر . وأخرى - واضح انها من خارج الحجرة - تتحدث معهما . عندما راته عواطف امامها وقفت من شدة المفاجأة :

- دكتور أحمد .

بدا مرتبكا ، وكأنه يقف امامها لينال عقابه عن فعل آتاه . توقفت الزميلتان عن الحديث . تابعا ما يحدث فأحسا أن في الأمر شيئا . وأن ذلك ليس مجرد والد - أو ولي أمر - جاء من أجل تلميذ أو تلميذة .

فالزميلتان لم تريا عواطف هكذا - ابدا . يعرفانها منذ سنوات - جادة ولا تخجل من مواجهة الحق . وتستطيع أن تقف للرجال الذين يأتون غاضبين - أحيانا - من أجل أولادهم . فتوقفهم عند حدهم اذا لزم الأمر .

زميلتها - بدرية - تعمل اختصاصية اجتماعية مثلها . ترافقها في هذه الحجرة منذ ثلاث سنوات . تشهد لها بالقدرة على مواجهة الأمور الصعبة .

يأتى أحيانا ولى امر تلميذ من أجل امر ما • فينور ويصيح •
ترنبك بدرية وتبكي أحيانا • لكن عواطف • عمرها ما بكت من
شئ مثل هذا • بل تثور وتواجه ذلك الذى تعدى حدوده •
وتعامله بالند •

لكنها مع هذا الشاب هى مهمومة ، وفرحة وعائلة الهم •
قال أحمد بعد أن طال صمت عواطف أمامه :

— جئت اليك باسماء الصيادين الذين غرقوا فى النوات
خلال

فهمت بدرية ما يحدث • فهذا الشاب له صلة بموضوع
الصيادين الذين تذهب عواطف اليهم متطوعة • وبدون أن تكلفها
المدرسة بذلك لتبحث حالتهم • وتتحدث عن مشاكلهم طوال
الوقت • وكثيرا ما نصحتها بدرية ألا تهتم بأشياء بعيدة عن
عملها • وانها — بدرية — تنسى المدرسة ومشاكلها فور
خروجها من باب المدرسة الرئيسى لكن يبدو أن الموضوع ليس مجرد
صيادين — كما تدعى عواطف — الموضوع عاطفى لاشك •

قالت بدرية مسرعة :

— تفضل استرح يا أستاذ •

افاقت عواطف • فقالت فى هيام شديد :

— اتفضل ارتاح يا دكتور أحمد •

— الحجرة صغيرة للغاية • ليس بها كرسى زائد غير الذى
تجلس فوقه الضيفة • هى مدرسة جاءت لتتحدث فى أمور الدنيا :
عن اولادها وشقاوتهم • وعن زوجها وعناده معها • عندما رأت
ما يحدث أمامها وقفت وتركت مقعدها للأحق — الآن — قالت :

— تفضل يا دكتور • استرح •

تركت له المتعد وخرجت الى المدرسة لتعلن اليهم ما حدث
وما رآته بعينها • ولم يحكه لها احد • لكى يبدن آراءهن •
ويقلن لها ان كانت عواطف تحب أم لا •

وقفت بدرية هي الأخرى قالت :

— سأطلب للدكتور حاجة ساقعة •

خرجت لكى تلحق بالزميلة التى رأت ما حدث وسبقتهما فى
الخروج • لحقت بها قبل أن تكمل صعود السلم • سألتها :

— ما رأيك فيما حدث ؟

— ان لم تكن عواطف مخطوبة لظننته سيخطبها •

* * *

قال أحمد :

— جمعت لك هذه الاسماء من سجلات جمعية الصيادين •

— شكرا لك يا دكتور • سأبحث حالاتهم • أسرة أسرة •

— آسف لأننى اقتحمت عليك مكان عملك •

— لا • اننى سعيدة بحضورك • المهم • لقد تحدثت مع

والدى عنك وهو يريد مقابلتك •

— حقا ؟ !

— لينك تأتى الليلة • أبى شخصية ظريفة • وستحبه من

اول لقاء •

دخل فراش المدرسة بزجاجة مرطبات • وضعها امامه •
قالت عواطف :

– لم تقدم أوراقك للجامعة ؟

– لا تهتمى بهذا الموضوع •

– سأذهب معك فى الغد • رجلى على رجلك •

– لكننى لا أرغب فى تقديمها الآن • سأنتظر حتى أعرف
مسير الحرب •

صاحت فيه :

– هل لديك رغبة فى أن تعود ثانية الى المانيا • لتعمل
هناك ؟

– صدقينى • لم اعمل سوى فى بلدى • المشكلة هى
الحرب •

– الحرب ليست مشكلتك الحرب لها ناسها •

– بل هى مسئولية الشعب كله •

– أرجوك لا تعط لهذا الأمر كل اهتمامك هكذا •

– أحاول يا عواطف • أحاول ان أكون عاديا • لكننى
عجزت •

– لابد من حضورك فى المساء • لتحدث مع أبى فى ذلك
الموضوع • أبى لم يحصل على شهادات لكنه يفهم جيدا فى أمور
الحياة •

– سأحضر •

- ١٤ -

أرتدى أحمد بذلته التى أحضرها من ألمانيا . ووقف أمام المرأة للحظات . قال لصابرين :

— ما رأيك ؟

— انها أفضل بدلة عندك .

كان والده يرشف القهوة فى دهشة . قال :

— أول مرة ترتدى بدلة كاملة منذ ان عدت من ألمانيا .

— سأقابل

وتوقف عن القول . قالت صابرين :

— عواطف أليس كذلك ؟

— نعم . سأقابلها فى بيتها .

ربط الحاج الدسوقي بين اهتمام ابنه بملابسه هكذا . وبين

زيارته للبنت فى بيتها فصاح :

— لكنها مخطوبة يابنى ؟

— وما شأنى بخطبتها ؟

أيقن الرجل أن فى الأمر شيئاً غير واضح • فأراح نفسه
من عناء التفكير وعاد الى قهوته • أراد أحمد أن يسأل عن رابطة
العنق التى تناسب البدلة • لكن سؤال والده — جعله لا يسأل •
واكتفى باختيار الملابس بنفسه رغم أن البنت صابرين مشهودا
لها بحسن الاختيار والذوق فى تناسق الران الملابس •

شم الحاج رائحة العطر التى فاحت من ابنه فجأة • كان
العطر واضحا وقوى التأثير • قال الرجل لنفسه :

— أحمد منذ أن عاد من ألمانيا وهو غير طبيعى • ليس
هو ابنه أحمد الهادىء العاقل الرزين ثم ردد لنفسه •

— فتاة مخطوبة • ما له بها ؟ !

خرج أحمد الى الشارع • قابله بعض الصيادين ممن يعملون
مع والده • رحبوا به والتفوا حوله • صافحهم وقبلهم واعتذر
عن الجلوس معهم لأن وراءه مشوارا مهما وعاجلا •

واستقل تاكسيا الى سيدى بشر • على الكورنيش •

كانت عواطف سعيدة • الدنيا مش سايعاها • • حضور
الدكتور أحمد اليها فى المدرسة يعنى انه يهتم بها ويفكر فيها هذا
ما قالته لها بدرية زميلتها وشريكها فى الحجرة • قالت :

— وقفتكما امام بعضكما • تدل على أن هناك شيئا بينكما •

لم تجبها عواطف فالمدرسة كلها تعرف أنها مخطوبة لابن
عمتها • ومعظمهن حضرن حفل الخطوبة ، وشاهدن ابراهيم

فهيم - عريسها - وهو « يلبسها » الشبكة والدبلة . فماذا
سيقلن الآن « نترك خطيبها ونحب رجلا آخر » .

والدها - هو الآخر - شك في الأمر . يعرف أن ابنته لا تحب
إبراهيم ابن اخته . وهي - ان أردت الحق - محقة في ذلك .
فالولد من الصعب أن ترتاح له وتحبه . ولو كان والدها بنته
ما أحبه . ولصمم على رفضه ولو قتلوه .

وموافقة محفوظ - والدها - على الخطوبة بسبب أنها كبرت
ولم يأتها خاطب مناسب . ولأنه يعلم أن ابنته ليست على قسطه
كبير من الجمال تجعل البعض يسعى إليها ويضحى بالأشياء
من أجلها .

عندما عادت عواطف من المدرسة . وجدت نفسها وحيدة .
ليس في البيت أم تحكى لها أحاسيسها ولا أخت ولا صديق .
لم تجد سوى الخادمة العجوز . ولا يمكن أن تأخذ عواطف وتعطى
معيها في أمور مثل هذه . رغم ذلك قالت لها :

- سيأتى الينا ضيف مهم . ونريد أن نعد له عشاء ليس
له مثيل .

قالت العجوز :

- أعرف . خطيبك الأستاذ إبراهيم . أليس كذلك ؟

- لا . رجل آخر .

ظنته المرأة صديقا للأسطى محفوظ . فهو كثيرا ما يدعو
أصدقاءه الى الغداء أو العشاء .

دارت عواطف في الشقة وحدها . لم تجد من تحكى له عن
ذلك الحديث الغريب . زيارة أحمد لها في المدرسة ووقوفه مرتبكا

وكأنه يعتذر عن فعل شيء فعله • أدارت قرص النليفون • وطلبت والدها في الدكان هو الوحيد الذي يمكن أن تحدثه :

— بابا • بابا • أرجو أن تأتي مبكرا الليلة •

— اسمعنى ؟

— لدينا ضيف مهم •

— خطيبك •

قالها مندهنسا • فعواطف لم تهتم أبدا بحضور خطيبها • ولدى محفوظ احساس أنها لا تريده أن يحضر وهي تقابله وتجالسه مضطرة • صاحت عواطف في والدها غاضبة :

— خطيبى ليس مهما وأنت تعلم • أم ستغضب لأنه ابن اختك ؟

— لو أردت الحق • هو ليس مهما • وسأحضر قبل موعدى من أجلك •

قبل أن نضع السماعه صاح :

— اكيد الدكتور احمد • أليس كذلك ؟

قالت فى خجل ودلال لم يحسه محفوظ على ابنته من قبل :

— نعم • هو يا أبى •

* * *

فكرت عواطف فى الذهاب الى الكوافير لكى تبدو جميلة • لكنها طردت الفكرة من رأسها • فالوقت غير كاف لذلك • • كما أن ذهابها للكوافير سيجعلها تبدو مهتمة بأحمد اهتماما بالغا •

خاصة أنها لا تذهب الى الكوافير الا مرة أو مرتين خلال العام .
وهناك أعوام لم تذهب فيها للكوافير ولا مرة خلالها .

وتوصلت الى أقصر الطرق وأفضلها . وهو أن تقوم بنفسها بعمل المكياج . ستتخجل من والدها عندما يراها هكذا . خاصة أنها نادرا ما تضع المساحيق على وجهها . لكن لبس مهما .
فالحظات جميلة ويتحتم معها بعض التضحيات .

دق جرس الباب . أسرعت الى الخادمة غاضبة . من قبل
ان تفتح الباب :

— الرجل جاء وأنت مازلت تعدين الطعام .

صاحت المرأة :

— أنا لم أتأخر .

أشاحت عواطف ببدها وأسرعته الى الباب ، فوجئت بإبراهيم
— خطيبها — أمامها :

— من ؟

دخل مبتسما كاشفا عن انتفاخ فتحتى أنفه . رآته عواطف
هذه المرة أكثر دماثة من كل مرة سابقة .

الغريب أنه واثق من نفسه . ويظن أن دمه خفيف والكل
يستحسنه ويستظرفه :

— كيف حالك يابنة خالي ؟

قالت في نفسها زفت وقطران وطن لأنك حضرت الآن .

دمه ثقيل ويريد أن يداعبها . جلس في الصالون — كعادته —

قال :

— أشم رائحة الطبخ • طبيخك لا يعلى عليه • له رائحة
أشمها من ألف كيلو متر •

ابتسمت في وجهه غصبا عنها :

— تعرفين ، لماذا الرائحة طيبة وحسنة هكذا • لأنكم تطبخون
بسمنة بلدى طبيعى •

ظلت ناظرة اليه في ضيق وهي شاردة في أحمد الذى اقترب
موعد • كيف سيأتى وهذا الشئ موجودا أمامها •

صمت لحظة وهو يشم • فأحست أن أنفه يكبر ويتنامى
ويتضاعف وأنه سيسحب كل الأشياء داخله : المقاعد المفارش حتى
المائدة الكبيرة •

مشكلة • انه لن يخرج من البيت قبل أن يأكل • وأحمد
سيأتى بعد قليل فماذا تفعل معه ؟ !

قامت عواطف من أمامه • وقد أصبحت عصبية أكثر من
كل مرة •

دخلت المطبخ وجدت العجوز قد انتهت العمل • حضور
ابراهيم — هكذا — أفسد فرحتها • لكن هى المخطئة فابراهيم يأتى
كل مساء • وإذا ما تغيب عن الحضور • فلا بد ان وراءه اجتماع
هام فى الاتحاد الاشتراكى • أو اجتماع سياسى لا يستطيع أن
يعتذر عنه • الغريب فى الأمر أنه فى اليوم التالى يعتذر لأنه لم
يستطع الحضور • ويطلب منها ومن والدها أن يسامحا • مع
أنهما يكونان فى غاية الامتنان والسعادة للظروف التى حالت
دون حضوره •

دق جرس الباب وهى فى المطبخ تطلب من الخادمة العجوز
اعداد اكواب الشراب • اسرع ابراهيم وفتح الباب • وجد أحمد
أمامه :

— مساء الخير •

أحس ابراهيم أنه قد رآه من قبل لكن لا يدرى أين •

— أليست هذه شقة الأنسة عواطف محفوظ ؟

— هـى • ماذا تريد ؟

وقف ابراهيم وهو مازال يمسك درفة الباب « سادد »
السكة فى طريق أحمد • مما اضطره لأن ينادى من مكانه :

— يا عواطف يا عواطف •

جاءت عواطف مسرعة • لا • لم تسرع الخطو • بل قفزت
نحوه بأقوى ما يمكن • رددت لنفسها « الضبي لم يدعه للدخول •
تركة يقف على السلم كما هو » :

— تفضل يا دكتور • تفضل •

دخل أحمد مرتبكا • كان فى بدلتة رغم عز الحر • كأنه عريس
مضطرب لارتدائها •

سار ابراهيم خلفه وهو فى حيرة « من يكون هذا ؟ » قال
لعواطف :

— دكتور ؟

— نعم ، دكتوراه من المانيا فى العلاج الطبيعى •

ابتسم أحمد له • لكن ابراهيم كان يحس بالضيق • فها هـى
عواطف تبدى اهتماما بالغاً لشاب آخر غيره وأمامه :

— هاه • تعبت في الوصول الى شقتنا •

— اللي يسأل مايتهدى •

تذكر ابراهيم أن عواطف كانت متزينة بطريقة لم يعدها
فيها من قبل • والله ما فعلت هذا ليلة الخطوبة • الآن هي أجمل
من أي مرة رآها فيها • أكيد فعلت هذا من أجل ذلك الضيف
الغريب • الأمر ليس بسيطاً • فأموال خاله كثيرة جداً • وهو
ليس عنده سوى عواطف هذه • وابراهيم أحق من غيره بأموال
خاله • شقيق أمه • قال ابراهيم :

— دكتور في أي مستشفى ؟

— حضرت من ألمانيا منذ أيام قلائل ولم اتسلم العمل الآن •

صاح ابراهيم وقد فتح فتحتى أنفه أكثر :

— أنا أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي المساعد عن حي
الجمرك •

— اهلا بك •

ونظر ابراهيم الى عواطف ، حكى لها حكايات بعيدة عن
الموضوع :

— جمعنا الباعة الجائلين الذين يقفون بعرباتهم وفرشهم
خلف مبنى الحقانية في المنشية • وعملنا لهم اكشاكاً مثل الاكشاك
الموجودة في سوق سوريا وغزة • ونقلناهم هناك •

قال أحمد مهتما :

— عمل عظيم لاشك • اننى احب العمل من أجل الناس •

أيقنت عواطف - وقتها - أنها لن تستطيع احتمال إبراهيم
أكثر من هذا . لا . حتى لو ظلت العمر كله بلا زواج أفضل
لها من أن تتزوجه . فهي لا تطيق انتفاخ أنفه ولا حديثه الممل
المقرف .

المشكلة في والدها . لكن الرجل يحبها ولن يعارضها في أمر
حيوي كهذا . ستبكي له حتى يوافق على فسخ الخطوبة . لا .
ليس مهما أن يأتي أحمد لخطبتها . المهم أن ترتاح من إبراهيم
الآن . ثم يحدث بعد ذلك ما يحدث .

- أنا موظف في شركة ليفي للسجاد . وأدرس في كلية
التجارة . أنا في البكالوريوس الآن .
- أهلا بك .

- لاحظت أن بلدنا لا تهتم بالمؤهلات .

صاحت فيه عواطف غاضبة :

- كيف وهم يقولون أن بلدنا بلد شهادات . فهم يعاملون
الموظف بقدر شهادته لا بقدر عمله .

- أنا أتعب في المذاكرة . وعندما أعين بالبكالوريوس . لن
أخذ ما استحقه . أي فنان أو ممثل على دخل أكبر من دخل
ولو لم يكن مؤهلا .

أحست عواطف بسخافة حديثه . وبأفكاره المريضة .
فتمنت لو لم يجبه أحمد بشيء لينهى حديثه السمج ودق جرس
الباب . فصاحت عواطف فرحة :

- بابا .. بابا ..

جاء محفوظ محملا بأكياس الفاكهة . صاح فرحا :

— أهلا يا دكتور • أحسست بوجودك من الضوء الساطع
في الشقة •

ووقف أحمد • فضمه الرجل ل صدره • تابع أحمد وجه الرجل
المبتسم دوما • القريب الشبه بوجه عواطف المريح •

— حدثتني عواطف عنك كثيرا • لدرجة أنى أعرفك منذ وقت
طويل دون أن أراك •

— وأنا أيضا أعرفك وأحبك من قبل أن أراك من حديث
عواطف عنك •

لم يلاحظ الرجل وجود ابراهيم • جلس • ثم وقف فجأة •
ضحك طويلا ثم قال :

— آسف يا ابراهيم يا بن اختى • وجود الدكتور انساني
وجودك •

صافحه ابراهيم وهو في حيرة مما يحدث • واضح أن عواطف
هي التي تعرفت على الدكتور • وان خاله يراه — الآن —
لأول مرة •

بعد أن جلس محفوظ ثانية صاح في أحمد :

— اكيد ابراهيم ملا رأسك بحكاياته عن الصيد والاتحاد
الاشتراكي فهما الحديثان الأثيران عنده •

قال أحمد :

— الرجل لم يذكر الصيد بشيء •

تمت عواطف :

— الحمد لله •

وصاح ابراهيم فرحا :

— اصل أنا خير في موضوع الصيد .

← أنا في الحقيقة خير في مواضيع كثيرة . وأعجبك . والصيد واحد منها .

← ثم استدرك الأمر فأكمل :

حدثت عواطف نفسها من شدة الأسى الذي تحسه الآن .
أهناك انسان عاقل وموزون يمدح نفسه بهذه الكيفية ؟ !

وصاح ابراهيم :

— بالمناسبة لجنة الاتحاد الاشتراكي ستعقد جلسة في الغد
لمناقشة موضوع الحرب . وتأيدا لموقف عبد الناصر .

صاح محفوظ في ضيق :

— أنا ليس لي في اجتماعات الاتحاد الاشتراكي . كما اننى
لست من بحرى . ادع الدكتور لذلك . فهو من بحرى مثلك .

صاح ابراهيم فرحا :

— سانتظرك يا دكتور .

— سأحضر . أين سيكون الاجتماع ؟

— قريبا جدا من قهوة فاروق .

قالت عواطف وهى تقوم بالاشراف على اعداد المائدة :

— وأنا أيضا سأحضر .

قال محفوظ :

— سعيد جداً هذه الأيام بجمال عبد الناصر • أعجبني عندما قال عن أيدن « انه خرع » •

وضحك محفوظ بصوت مرتفع :

— بيني وبينك لم اكن أحبه من أجل أشياء كثيرة لا داعي لذكرها الآن • لكن موقفه من اليهود أعجبني •

قال أحمد :

— تقصد موقفه من اسرائيل ، وليس اليهود •

— كلهم واحد يا دكتور أحمد يا بني •

— لا يا عمي ، من الخطأ أن نحسب كل اليهود لصالح اسرائيل • وهذه إحدى الأخطاء التي وقعنا فيها وكانت أحد أسباب تقوية اسرائيل •

— تقصد أنه من الخطأ طرد اليهود من مصر بعد حرب ٥٦ •

— عبد الناصر لم يطرد اليهود بعد حرب ٥٦ • والدليل على ذلك أن العديد منهم مازال يعيش بيننا •

قال محفوظ :

— وما سبب هجرتهم هكذا ؟

— صنعت اسرائيل المشاكل لأنها تريد أن يأتوا اليها ، وأدعت أن حكومة الثورة تعاملهم معاملة سيئة •

وكانت تعرض اليهود ضد الحكومة •

— بيني وبينك لو بقوا كما هم • كانت اسرائيل ستتخذ من وجودهم ذريعة للضغط علينا بحجة أننا نسيء معاملتهم •

صاح أحمد :

— عندك حق يا عمى .

اقتربت عواطف منهم وقالت :

— صديقة لى فى المدرسة حكّت أن امرأة يهودية عجوز كانت تشتري كميات كبيرة جدا من الجاز . كلما مر باعة الجاز تشتري منهم . وعندما تتبععت صديقتى ما يحدث . اكتشفت أن هذه اليهودية كانت تلقى بالجاز فى المجارى . . فقد كانت تستعد للرحيل عن مصر . ولا تريد أن تترك مالا لأحد .

ضحك محفوظ كطفل وقال ابراهيم .

— أرجو ألا تنسوا اجتماع الغد .

وقبل أن يسترسل فى موضوعه عن اجتماع الاتحاد الاشتراكى . قالت عواطف :

— المائدة جاهزة .

الكان : تل أبيب :

يستدعى ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل الجنرال موسى دايان الذى كان خارج الوزارة فى ذلك الوقت الى بيته . وبعد حديث طويل عن الحرب ، واغلاق مضائق تيران فى وجه الملاحه الاسرائيلية . وعن جمال عبد الناصر ومؤتمره الصحفى الأخير . يعرض أشكول على دايان وزارة الدفاع الاسرائيلية . ويوافق دايان .

يفتح دايان عمله في الوزارة باجتماع مع الجنرالات المساعدين له . ويطالبهم بتقديم خطط عمليات هيئة أركان الحرب لكافة الأسلحة .



في حوالي الظهر من نفس اليوم . يعقد ليفي اشكول اجتماعا وزاريا محدودا يشترك فيه دايان وآبا ايبان وزير الخارجية . وايغال آلون رئيس هيئة أركان الحرب . وعدد آخر من جنرالات الجيش . يعرض دايان في هذا الاجتماع خطته بشأن الحرب . وهي تهدف الى تدمير الجيش المصري في سيناء واحتلال مضائق تيران . . ثم يعرض أسحق رابين على دايان - في الاجتماع - خطته الجريئة . وهي اختراق سيناء على أربعة محاور : محورين الشمال من قطاع رفح ومحورين في الجنوب من قطاع القسيمة في اتجاه أبو عجيلة المحصن .

يوافق دايان على هذا المشروع في مجمله .



صدرت الأوامر من القاهرة لجميع محافظات مصر • بعقد اجتماعات في كل حي • يشرف عليها الاتحاد الاشتراكي • لتعبئة الجماهير وتهيئتهم للحرب •

واقامت - بالفعل - الاجتماعات في كل الأحياء • على مستوى محافظات مصر كلها •

وكان اجتماع حي الجمرك في المنطقة القريبة من قهوة فاروق المشهورة جدا في حي بحري •

جلس ابراهيم فهميم بجوار فاروق الفرماوى الأمين العام عن حي الجمرك • فوق منصة عالية • اقامها الفراش الذى يتعامل مع الاتحاد • فوضع دككا كثيرة بجوار بعض • وفرشها بغطاء اخضر • وفى منتصف المنصة مائدة وثلاثة مقاعد أحدهم خال الآن - للذى سيلقى الكلمة •

كان الفرماوى عجوزا ، شاربہ ابيض • بينما شعر رأسه مصبوغا بالأسود ، ويرتدى بذلة زرقاء أنيقة • والمقاعد متراصة

وممتلئة بالناس . وأكثر منهم لم يجذبوا مقاعد ، فوقفوا حول المكان حتى وصلوا الى الترام التى تعذر سيرها على القضبان المليئة والكثيفة بالناس .

صاح ابراهيم مفتحاً اللقاء :

— فى هذه الأيام الخالدة من تاريخ مصرنا الحبيبة . نعقد هذا الاجتماع الجماهيرى ويشرفنا أن يكون معنا الأستاذ الكبير/ فاروق الفرماوى أمين اللجنة عن دائرة الجمرك .

نظر ابراهيم بين الجمهور . الحاج الدسوقى شيخ الصيادين يجلس فى الصف الأول وبجواره الحاج محمد سماحة . ومحامى كبير من أصدقاء سماحة . ارتاح ابراهيم لوجود عواطف فى الصف الثالث . لكن أساءه أن يكون أحمد الدسوقى — هذا — بجوارها . فوجوده معها دائماً يؤكد شكوك ابراهيم . ويجعله يسرع باتخاذ قرار سريع والا اخذ عواطف منه وضاعت اموال خاله ، وذهبت الى غريب .

قال الفرماوى ناظراً الى الموجودين فى الصف الأول :

— نفضل يا حاج دسوقى لتلقى كلمتك .

لوح الحاج بيده للجميع عندما صفقوا له . وربت على صدره للفرماوى ممتناً ومعتذراً . فصاح الفرماوى :

— نرحب بأن يكون الحاج الدسوقى شيخ الصيادين معنا هنا على المنصة .

وصفق الجمهور ثانية ، وأصر الفرماوى على صعوده . فالحاج مهم جداً فى بحرى ، الصيادون أتباعه . ولدى كل منهم تذكرة

انتخاب • ومن ضمن هؤلاء في الانتخاب ، ضمن دائرة الجمرک
كلها •

اضطر الدسوقي أن يصعد ، وظل الحاج سماحة ومن معه
في الصف الأول •

اقترب الولد حسن من عواطف وصافحها • قالت عواطف
وهي تربت على شعره :

— كيف حالك يا حسن في المدرسة • سلم على الدكتور
أحمد • تعرفه :

— هو ابن معلمی •

صاح أحمد :

— أبله عواطف مهتمة بك • وأريدك أن تشرفها بأن تكون
الأول على فصلك •

— سأكون طبيبا مثلك يا دكتور •

أسرع عوض — عم حسن — ليصافح عواطف • صاح :

— جئت لكي أشكرك على كل ما قدمته لابن أخى حسن •

أحس أحمد أن إبراهيم فهميم يشرب فوق مقعده ليتابع
ما يحدث في الصف الثالث باهتمام • وأحس بأنه غير راض عن
الحركة التي تحدث أمامه • فصاح أحمد :

— أرجع إلى مكانكما • وسنتقابل بعد اللقاء •

قال إبراهيم :

— والآن نستمع إلى كلمة الأستاذ فاروق الفرماوى أمين
الاتحاد الاشتراكى عن دائرة الجمرک •

تحدث الرجل طويلا . قال كلاما مثل كل الكلام الذى يقال فى المناسبات الحماسية ، خاصة من رجل مثله احترف النشاط السياسى والجماهيرى منذ أن كان شابا صغيرا . فهو عضو بارز فى حزب الوفد . وبعد الثورة أصبح أحد قادة هيئة التحرير ، وتقدم للترشيح فى الاتحاد الاشتراكى .

وتحدث الحاج الدسوقي ، أثنى على جمال عبد الناصر وقال انه سينتصر باذن الله . لأن اسرائيل ليست فى قدرتنا . وهى ولا حاجة اذا ما تخلت عنها أمريكا . وتخلي عنها الانجليز .

وصفق الجميع للكلمة التى كانت قصيرة جدا . وذكر فيها اسم جمال عبد الناصر عشرات المرات ليصفقوا له . وعندما تحدث ابراهيم فهيم قال كلمات شبيهة بما قاله الفرماوى . وفجأة وقف أحمد الدسوقي رافعا يده طالبا الكلمة أحس ابراهيم بالاحباط فأحمد حاصل على الدكتوراه من المانيا ويستطيع ان يتحدث أفضل منهم وربما من الفرماوى نفسه . وسيظهر قدراته أمام عواطف واكيد ستعجب به .

وقف الحاج الدسوقي فرحا :

— ابنى الدكتور أحمد . عاد من ألمانيا منذ أيام قلائل . كان يدرس الطب هناك .

صفق الجميع . ظنوه سيقول مثل الذين سبقوه . ومثل كل الذين يتحدثون فى مثل هذه المناسبات . لكن عواطف أحست بالخوف عليه . فأمسكت يده وهو خارج من بين الصفوف :

— أحمد . احترس .

نظر اليها ولم يجب .

أسرع أحد الصيادين بتوصيل مقعد الى المنصة ليجلس عليه أحمد . لكنه لم يجلس . ولم يمسك الميكرفون . وقف أمام المنصة ، في منتصفها . حجب الرؤية عن ابراهيم فهميم وجزءا من الفرماوى . قال :

— اسمعوني يا ناس . منذ أن عدت من ألمانيا وأنا أريد أن أتحدث أن أحذر . كلنا نحب عبد الناصر . وثثق فيه ونعرف مدى وطنيته ونزاهته وطهارة يده . لذا ، نريد أن ننبهه . صدقوني يا ناس اننا غير مستعدين لحرب اسرائيل . الحرب ستفرض علينا . وسنضطر أن نخوضها .

صاح ابراهيم فهميم من مكانه بعد أن وقف :

— انه مجنون . انه مجنون .

وضربت عواطف بيدها على قمها دون أن تحس . فما كانت تخافه قد حدث . أحمد يعرض نفسه للخطر الآن . اما الحاج الدسوقي فلم يحس بخطورة ما يقوله ابنه الا بعد أن سمع ما يقوله ابراهيم فهميم . أسرع الى ابنه :

— أحمد . أحمد . أرجوك .

ابتعد أحمد . سار حتى نهاية المنصة المقامة وقال :

— المصيبة الأكبر أننا سنبدو أمام العالم معتدين . ومرحبين بالحرب . لقد كنت في ألمانيا وأعرف أن هذه مصيدة تريد أمريكا — يا ناس — أن تقع فيها .

صاح ابراهيم فهميم للفرماوى :

— افعل شيئا يا فرماوى . انه بهذه الطريقة يقضى علينا .

صاح الفرماوى :

— عندك حق .

ووقفا . اقتربا منه . أسرع احمد الى نهاية المنصة من الناحية الأخرى :

— لقد أرادوا اغتيال عبد الناصر ولما فشلوا بحثوا عن حل آخر مشابه للاغتيال . وربما اقوى منه . وهو اغتيال الأمة كلها بالهزيمة .

أسرعت عواطف اليه . اخترقت الصف الذى تجلس فيه . داست على أقدام الجالسين . ولم تعباً باعتراضهم .

صاح ابراهيم فهيم فى الميكرفون :

— لا تتركوا هذا المهندس من أعداء الثورة والوطن ان يفلت من بين أيديكم . لابد ان تقاوموه وتدافعوا عن مكاسبكم التى حققها عبد الناصر لكم .

حاول البعض ان يصعد الى المنصة لمواجهة أحمد وضربه . فأسرع والده اليه . ضمه لصدره وصاح فيهم :

— انه ابنى يا عالم . ابنى . تريدون أن تضربوا ابنى .

تراجع الصيادون . فقد أفاقوا . يضربون ابن معلمهم . لكن البعض مازال يصيح ويسب ويتهم أحمد بالخيانة والعمالة .. الخ وابراهيم يصيح فى الميكرفون :

— لابد للجماهير ان تقضى بنفسها على كل من يشكك فى قدرات قواتنا المسلحة .

صاحت عواطف ، ولا تدري كيف صعدت الى المنصة . ضمت
أحمد اليها . الغريب انه ارتدى في صدرها كطفل كان منهارا .

— تعال يا أحمد . تعال .

والدسوقي وسماحة والمحامي — صديق سماحة — وعوض
يقفون في وجه الناس التأثيرين . يبعدونهم عنه .

أسرعت عواطف . شددت أحمد من ملابسه وجسده كله :

— ابتعد الآن عنهم . ابتعد .

سار معها فقد كان متعبا . يلهث . يحس باختناق . وأنه
قد يموت فجأة . وأمسك الحاج الدسوقي بالميكرفون أخذه من
ابراهيم فهيم عنوة :

— يا أهالي بحرى الكرام . أنتم تعرفوننى . أنا الحاج
الدسوقي شيخ الصيادين . تعرفون مدى ارتباطى بالبلد ومشاكلها
وانجازاتها وانتصاراتها . أنا اعتذر بالنيابة عن ابنى . فهو كان
في ألمانيا وعاد متعبا ..

سارت عواطف بأحمد باتجاه البحر . بعض الرجال الذين
شاهدوا ما حدث ، تابعوها . وساروا خلفها وخلف أحمد . قالت
عواطف :

— سنذهب الى البيت .

لم يجيبها بشيء . لم يظن أبدا انه سيأتى عليه يوم يحدث
له فيه ما حدث . تهاجمه الناس كأنه سارق ضبط حين يسرق .
الكل يحاول ضربه وايندائه لقد سمع سبابا لم يظن أبدا أن
يقال له .

يتمنى أحمد أن يسير وحده على الكورنيش . يلفحه الهواء

البارد • فيبكي وحده ، لا يراه أحد وهو يبكي • ولا حتى
عواطف •

وجد نفسه داخل التاكسي • وعواطف بجواره • تحدثه •
لا يدري ماذا كانت تقول ؟

المكان : ميناء حيفا العسكرى :

فى الوقت نفسه الذى وضعت فيه الخطة الجريئة لضرب
الطيران المصرى فى جميع مطاراته • وضعت خطة أخرى لضرب ميناء
الاسكندرية • وبذلك يتم القضاء على الطيران والسفن المصرية
فى الوقت نفسه •

حضر الاجتماع فى ميناء حيفا (مركز قيادة البحرية
الاسرائيلية عدد قليل من جنرالات البحرية) وانتهى الاجتماع
الى الآتى :

١ - أن تشترك الغواصة « التمساح » (اكبر غواصات
البحرية الاسرائيلية فى ذلك الوقت) بالهجوم على
مينائى الاسكندرية التجارى والبحرى ، تحسبا
لما يمكن أن يحدث لانتشار السفن الحربية فى الميناء
التجارى (الجمرى) •

٢ - تدمير المدهرات والفرقاطات التى تحرس مدخل
الاسكندرية بواسطة الغواصات •

٣ - تدمير كل ما تصل اليه يد الضفادع البشرية للكوماندوز
البحرى الاسرائيلى بداخل مينائى الاسكندرية التجارى
والبحرى •



في يوم الاجتماع نفسه • استدعى قائد البحرية الاسرائيلية ،
المقدم ايفان - قائد الغواصة التمساح وأبلغه بنتائج الاجتماع •
وناقش معه تفاصيل الهجوم • وهو أن تبحر الغواصة في اتجاه
الاسكندرية • على أن يختار ايفان الضفادع البشرية المناسبة
للهجوم • ويقوم بتوجيه التعليمات والأوامر لهم • مبلغا اياه أن
رئيس الوزراء ليفى أشكول • ووزير الدفاع الاسرائيلي يتابعان
هذه العملية الهامة باهتمام شديد •



قسم ايفان فرقه كوماندوز الضفادع البشرية ثلاثة تشكيلات
صغيرة • لكل منها : ضفدعان ، ضابط ومساعد يربط بينهما حبل
طوله متر ونصف المتر •

اول المجموعة : الرائد ايتان ومعه ذابيك بن يوسف •

ثان المجموعة : داني ومعه جادي باطيش •

ثالث المجموعة : ايلان ومعه المساعد ابراهام مخلوف وهو من
أصل مصرى وكان يعيش في الاسكندرية وسافر مع أسرته
عام ١٩٥٧ الى اسرائيل • وكان عمره حينذاك خمسة عشر عاما •
وقد اختاره ايفان لمساعد المجموعة في التنقل بين شوارع
الاسكندرية اذا احتاج الأمر لذلك •

بعد أيام من ابحار الغواصة التمساح • تصل الى حدود
الاسكندرية على بعد ١٥٠ كيلو متر من شواطئها وتستقر على قاع
البحر في انتظار أوامر جديدة • وعن طريق شفرة جهاز « الموريس »
الذي كان مستخدما في الاتصالات البحرية الاسرائيلية في ذلك
الوقت • تصل رسالة صباح الأحد ٤ من يونيو :

— تقدم الى الساعة ٦ر٣٠ مساء بمسافة ١٨٠ مترا من شاطئ الميناء • واستقر في تلك المنطقة على أرض القاع ثم تصل رسالة أخرى بعد دقائق :

— على فرقة الضفادع الخروج الى الهدف في تمام الساعة الثامنة مساء •

* * *

بعد خمس ساعات أخرى يأمر المقدم ايفان قائد الغواصة التماسح • ضفدعي الاتصال (بين الغواصة والفرقة في ميناء حيفا) الصعود الى سطح الغواصة لتحديد نقطة عودة الضفادع الستة ويتوصلان الى الآتى :

١ — موعد الانتشال والعودة الثالثة صباحا • ستنتظرهم الغواصة حتى شروق الشمس والا ستضطر للعودة دونهم •

٢ — تضبط الألغام المستخدمة • على أن تنفجر في الساعة الخامسة صباح يوم ٥ من يونيو •

يجتمع الضفادع الستة حول المقدم ايفان • ويكون ابراهيم مخلوف قريبا جدا منه • يشير ايفان الى خريطة موضعا بها كل أماكن الاسكندرية الهامة • يشير الى مبنى قلعة قايتباي •

— انظروا جميعا الى هذا المبنى العتيق • انه يشبه القلاع الأثرية التي بنيت في القرون الوسطى • والتي تشاهدونها في الأفلام التاريخية • لقد شاهد هذا المبنى معارك عديدة • وينتظر

معركتكم القادمة • ذلك المبنى هو ملجأكم الأخير اذا لم تتمكنوا من العودة الى الغواصة في الموعد المحدد لآى سبب من الاسباب وهو مبنى مهجور يمكنكم الاختباء فيه لبعض الوقت

* * *

تبدأ الغواصة التقدم باتجاه ميناء الاسكندرية • وتقرب لمسافة ٢٣ كيلو مترا من الشاطئ • • يصيح أحد مساعدى ايفان ممن يعملون على جهاز « السونار » وهو شبيه لجهاز الرادار العادى ، الذى يكشف الأشياء حول الغواصة •

— هناك زوارق مصرية تقوم بمسح دورى فى المنطقة لمسافة ٥٥ كيلو مترا فى عمق البحر •

يأمر ايفان أن تستقر الغواصة فى المنطقة نفسها التى وصلت اليها ، خشية أن تكتشفها الزوارق المصرية ، فتنسف الغواصة • وتواصل الغواصة التقدم بعد أن تبتعد الزوارق المصرية عن المنطقة •

فى الساعة الرابعة وعشر دقائق من بعد الظهر • وعلى مسافة أربعة عشر كيلو مترا من شاطئ الاسكندرية يلتقط جهاز السونار ذبذبات تؤكد وجود مدمرة مصرية طراز سكورى على مسافة ٨٢ مترا •

يصيح ايفان فى رجاله استعدادا لاطلاق الطوربيدات لاغراقها • لكن المدمرة المصرية تبعد عن طريق الغواصة الى طريق آخر • ويستمر التقدم حتى النقطة المحددة على بعد ٢ كيلو متر من الشاطئ • لتصلها الغواصة فى تمام الساعة السابعة مساء يوم ٤ من يونيو •

يلتف الضفادع الستة حول منظار البريسكوب . يشاهدون مدمرة رأسية أمام الميناء . فيدرجونها ضمن قائمة الأهداف ، التي سيقومون بتدميرها .

في تمام الساعة الثامنة مساء يوم ٤ من يونيو يتأكد المقدم ايفان من معدات الضفادع البشرية : الوجه الزجاجي « الماسك » ، الحزام الرصاصي ، ساعات الغطس ، جهاز قياس العمق ، وحزام الماسك .

واطمأن ايفان بنفسه على الألغام والزجاجين التي تربط الألغام في السفينة أو الهدف المراد تدميره .

يؤكد ايفان على أن يكون الضفادع الستة في كتلة واحدة حتى لا يفقدوا بعضهم . وانه في حالة الطوارئ وعدم تمكنهم من العودة لأي سبب من الأسباب الى نقطة الانتشال المتفق عليها في الساعة الثالثة فجرا . فانهم يختبئون في قلعة قايتباي . وسيعود لانتشالهم بالغواصة نفسها ، من المنطقة نفسها الساعة نفسها بعد يومين .
أي فجر الخميس ٨ يونيو .

ثم يتسلل الضفادع الستة واحد تلو الآخر باتجاه رصيف ميناء الاسكندرية في ليلة حالكة الظلام . استمر ظلامها تسعة ساعات كاملة . يسبحون اول الامر فوق سطح الماء . فهم بعيدون عن مرمى المصريين .

وجد ايلان وابراهيم مخلوف أنفسهما وحيدين . فانتظرا ظهور باقي الفرقة - كما أمرهم ايفان - حتى لا يفقدوا بعضهم . وذلك حتى الساعة الثامنة والربع . ولم يظهر أحد من الأربعة الباقين .

فقرر ايلان ومخلوف العوم في اتجاه الضوء الساطع . لم
يستطيعا رؤية مصدات الأمواج بوضوح نظرا لارتفاع الأمواج في
تلك الليلة .

رغم ذلك استطاعا الوصول الى أحد مصدات الأمواج . وحددا
هدفا كبيرا لتلقيه . سبعا نحوه بسرعة . وصلا اليه حوالي
الساعة الثانية عشرة - منتصف ليل الاسكندرية .

عاد عبد الله الى السفينة في الباشرة مساء . موعد حراسته
في الثانية عشرة . كان محملا بأشياء كثيرة طليها الضابط
والبجارة من السوق . لانشون وسدق وجبنة تركي . وكفتة من
بائع يقف بعربة في شارع محرم بك . قريبا من شارع جرين .
فقد اصر الرائد سيف - الذي طلب هذا - أن تكون الكفتة
من ذلك البائع ، وليس من أحد غيره . فسيف اعتاد مذاقها .
ولا تعجبه كفتة سواها .

وآخر اصر على شراء سندوتشات الفول والطعمية من محل
بنيامين في محطة الرمل .

ضباط وبحارة السفينة لم يبرحوها الا للشد يد القوى .
لا بد من وجود سبب قهري لمقادرتها . ولا بد أن ينص الصالح
العام . ولقد ملوا من طعام السفينة المعتاد .

عندما غادر عبد الله القارب الذي اقله من الرصيف الى مكان
السفينة واجهه رمضان بوجهه الممتلئ . قال :

— حمدا لله على السلامة .

— الله يسلمك .

— قابلت الدكتور أحمد الدسوقي ؟

— نعم .

حمل رمضان بعض اللقائف وضعها في طاولة بجواره ليخفف
الحمل عن عبد الله :

— أخبره ؟

— كل خير .

كان عبد الله قد اشترى له سندوتشات الكفتة من البائع
المفضل لدى الرائد سيف . وأصر عبد الله الا يدفع رمضان
مليما . فالرجل كانت مهمته الاتصال الاداري وكثيرا ما جاء بأشياء
منل هذه لعبد الله قبل أن يترك عمله في هذه الظروف .

اسرع عبد الله الى سريره . بعد أن اعطى اللقائف الى
أصحابها . خلع الملابس البيضاء (ملابس الخروج) وارتدى الزى
الأزرق الذي يعملون به داخل السفينة . كان عبد الله بطيئا
مما لفت نظر زملائه الموجودين في العنبر .

قال أحدهم :

— ماذا بك ؟ انك تتحرك وكأنهم يضرونك بالبطيء .

افاق عبد الله . لقد كان يفكر في صايرين . كيف استقبلته
بإبتسامتها الرقيقة . اثبتت البنت أنها تحبه . وان رميها للدبلة
كان من شدة حبها له . بعد أن ضاقت برعونته لاستقبال نساء
كازينو اليهودي بفيلته .

بعد أن تنتهى هذه الأزمة • وتحل المشكلة القائمة ونستريحى
الأمور كما كانت • سيفتح أحمد الدسوقي فى أمر الزواج • ما الذى
يعطله ؟ الفيللا واسعة وتكفى لأربع أسر بأطفالها • والأثاث فيها
كبير جدا وبحالة جيدة ولو أن الحاج الدسوقي سيصر على أن
يأنى بأثاث لابنته حقنا لماء الوجه أمام الصيادين أهل الحى •
فذلك لا يضر • زيادة الخير خيرين ، أثاث آخر ينضم الى الأثاث
العتيق الذى ورثه عن آبائه الأثرياء • ملاك المدفن القديم والمعروفين
جدا فى بحرى •

عبد الله متفائل • أيام قلائل وتنتهى الأزمة • فكسيرا
ما نصاعدت الأحداث والتهبت بين مصر واسرائيل وسرعان ما تبرد
ويعود كل شىء الى ما كان عليه من قبل • ويعود عبد الله الى المبيت
كل ليلة فى فيلته وسط أثاثه القديم النادر والتحف التى اشتراها
من مزادات الاسكندرية • ومن الموانى الغربية التى رست فيها
السفينة على طول البحر المتوسط •



انتظرت الغواصة الاسرائيلية التمساح حتى الساعة الثانية
والنصف صباح يوم ٥ من يونيو • وصعد الضفدعان المكلفان
بالاتصال على سطح الغواصة • لكن أجهزتهما فسدت • وجرفت
الأمواج • فابتعدا عن الغواصة •

أحس الضفدعان بالزوارق المصرية تدور فى المنطقة • فأسرعا
الى غواصتهما فى الساعة الثالثة والرابع صباحا ليختبئا فيها •

واتضح للمقدم ايفان أن بقاءه فى مكانه سيعرض غواصته كلها
للخطر • فقرر الإبحار والعودة الى ميناء حيفا لكن أحد مساعديه
قال :

— فلننظر بعض الوقت ، فقد يعودون •

— لا تنس أننا بذلك نعرض أكثر من خمسين بحارا للخطر مقابل سنة فقط •

— بعض الوقت القليل لن يسبب مشكلة •

نظر ايفان الى ساعته متضايقا وقلقا •

ظلت الغواصة على مقربة من المكان المحدد لالنقاط الغواصين الستة • الى أن ظهرت فرقاطة مصرية مضادة للغواصات من طراز « سلوب » (هكذا اكتشفها السونار بالغواصة) فأسرع ايفان باصدار الأوامر بالهروب بأسرع ما يمكن • بعد أن أرسل رسالة الى قيادة البحرية في حيفا • شارحا فيها ما حدث بالتفصيل فيأمرونه هناك بالبقاء بعيدا عن النساطيء المصرية في نقطة محددة • وأن ترسو الغواصة على القاع في انتظار أوامر جديدة •



حمل عبد الله رشاشه قبل موعد حراسته بربع ساعة • وصعد الى سطح السفينة • داعب العديد ممن يقابلونه في طريقه خاصة الذين أوصوه بشراء أطعمة لهم • ووقف في مكانه قبل مواعده بدقائق ناظرا الى الماء الأسود أمامه فالأضواء تكاد تكون معدومة في هذه المنطقة • السفينة الهولندية التي كانت تجاور الفرقاطة برحت مكانها ربما أحست بالخطر فأبحرت بعيدا • نُسّس هناك سوى كراكة صدئة •

لمح عبد الله سبيحا يسير بجوار الكراكة المجاورة • فرفع رشاشته وحرك أجزاءه استعدادا لاطلاق الرصاص • لكنه بعد وقت قصير جدا اكتشف أنه الخفير النظامي الذي يحرس الكراكة

الصدئة • تابعه عبد الله مبتسما بعد لحظات اقترب الخفير بمعطفه
الأصفر من الفرقاطة وسار فوق سطح كراكته وقال :

— من يقوم بالحراسة الليلة •

صاح عبد الله :

— أنا يا رجل يا عجوز •

معروف عن ذلك الخفير انه « يشحت » السجائر من القائمين
بالخدمة • ينسلى بها في وقت حراسته للكرافة رمى عبد الله علبة
سجائره الى الكرافة • كادت تقع في الماء • لولا أنه أسرع
بالتقاطها •

ظل عبد الله يتابع الكرافة حتى رأى الخفير يلف جسده
جيذا بالمعطف وينام داخلها مطمئنا • فمن ذا الذي يفكر في تفجير
كرافة قديمة صدئة خرجت من الخدمة منذ سنوات طويلة •
ولولا الروتين السخيف لبيعت الى تجار الخردة • والخفير يحرسها
طوال الليل ليس خوفا من تفجيرها وانما خوفا من لصوص الميناء
الذين من الممكن أن يسرقوها قطعة قطعة ويخرجون بها من باب
الميناء •

عاد عبد الله الى رؤية الماء أمامه • بمرور الوقت اعتادت
عيناه رؤية الأشياء من خلال الظلام • وبدأت تميز أنواعها •

فكر في صابرين ، سيدعوها الى فسحة في المنتزه بعد انتهاء
الأزمة وهدوء الجو واستقرار الحال وسيدعوها مع أسرتها جميعا
الى حفل عشاء في فيلته • هي ووالدها الحاج وأحمد • سيأتي
عبد الله بطباخين من الفرقاطة ليعدوا لهم أطعمة لم يتذوقوها في

حياتهم • وسيجعل صابرين وأسرتها يحكون عن هذه السهرة
لسنوات عديدة قادمة •

يقرب الكومندان حسن المختار • الرجل فقد كثيرا من وزنه
خلال هذه الأيام • من شدة الأعصاب التي يعيشها ومن الجهد الذي
يبذله • رغم ذلك يبتسم لكل من يقابله :

— هاه • يا حضرة الشاعر ألفت قصيدة وانت تنظر الى
مياه البحر •

— كدت • لولا حضور سيادتك فجأة •

يبتعد الكومندان • يتابع عملا آخر ...

* * *

تنطلق الفرقاطة مصر الى عرض البحر • • هكذا صدرت لها
الأوامر بالانطلاق

فجأة يلمح عبد الله حوالى أربع أو خمس طوربيدات تتجه
ناحية الفرقاطة • فيصيح بأعلى صوته :

— طوربيدات عدو • أفندم •

يسرع حسن المختار • يوجه « ضمان » الفرقاطة من فوق
سطح المركب « الممشى » ينظر الى تليسكوب يكبر ٢٠٠ مرة •
يستطيع بعينية شديدة ان يهرب بجسم الفرقاطة من الطوربيدات
الموجهة اليه •

كل أفراد الفرقاطة يصيحون فرحين عند زوال الخطر وابتعاد
الطوربيدات :

— الله اكبر .

لولا الحراسة المكلف بها عبد الله . لأسرع ليقبل ذلك الرجل
النادر وجوده : حسن المختار .

تزيد الحراسة على سطح الفرقاطة . يأتى صول حاملا
رسائله . يقول :

— الكومندان فى انتظارك فى حجرته .

يسرع عبد الله هابطا الدرجات . حتى كاد ينزلق من فوقها .
يجد الرائد سيف قائد سلاح الصواريخ للغواصات . . . يسمع
عبد الله حسن المختار يقول :

— نجاح لفرقاطتنا . أن تهرب من هذه الطوربيدات .
والنجاح الآخر الذى باذن الله سنفوز به . هو أن نصيب هذه
الغواصة التى تجاسرت واقتربت منا ، بدون صواريخ مضادة
للغواصات . فهى غير موجودة عندنا . ما رأيكما ؟

— تحت أمرك يافندم .

هكذا صاحبا معا .

يقف حسن المختار والرائد سيف . ويتبعهما عبد الله .
يمسك الكومندان ضمان الفرقاطة . ينظر الرائد سيف من خلال
جهاز السونار الذى يكشف كل الأشياء حوله . يصيح حسن
المختار :

— حدد لى مكانها بالضبط . وساقرب منها على حذر .

هدات الأصوات . صارت الكلمات كالهمس . وأحيانا
بإشارة . وحسن المختار بين الضمان وجهاز السونار وبإشارة

من يده • أسرع سيف وعبد الله الى مكان القاء المفجرات على سطح الغواصة • لا بد ن يتأكد الكومندان أن الفرقاطة ركبت فوق الغواصة تماما • وأن ما ستلقيه من الكوة المخصصة لذلك • ستصيب ظهرها •

دخرج عبد الله المفجرات • وهي تشبه البراميل الصغيرة • وتبعه سيف • كوة الفرقاطة مفتوحة وعند اشارة الكومندان ستلقى هذه البراميل الصغيرة •

لم يسمع أحد صوت انفجار • ولا أى شىء يدل على أن الغواصة انفجرت •



في الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة ظهرا •• تصل رسالة القيادة وتطلب من الغواصة الاسرائيلية التمساح الدخول ثانية الى بعد ٢ كيلو متر من الشاطئء المصرى فى اتجاه النقطة المحددة نفسها لالتقاط الضفادع السنة ومتابعة المكان • من خلال أجهزة الغواصة • لكن القيادة فى حيفا لم تكن تعلم أن الغواصة تعاني وتقاوم الغرق فقد ألقت على ظهرها قنبلتان فأصابتا مؤخرتها اصابة بالغة • جعلتها تسير على حافتها وكأنها انسان يعرج •



كان الرائد ايتان يضع اللغم فى بدن سفينة تقف على المحطاف • لكن « الحشف » (نباتات فطرية ملساء تلتصق بجسم السفينة) حالت دون ان تلتصق زراجين الألغام بها • فأخرج ايتان خنجره من مكمته ليزيل ذلك الحشف •

لكن الزوارق المصرية التى تدور فى المنطقة • جعله يقفز الى
أقصى عمق يستطيعه ليهرب من قنابل الأعماق التى تلقىها الزوارق
فى الماء •

أما ايلان وجلعاد فقد سبحا واقتربا من الشاطئ المصرى
وحدا سفينه قابضة قريبا من الرصيف وعندما يقتربان منها
يكتشفان أن الزرايين التى تلصق اللغم ببدن السفينة قد فسد
وأصابه البلل • ولم يعد صالحا للاستعمال فأحسا بالاحباط
وخيبة الأمل الشديدة •



يمكن للسفن التى ترسو على المخطاف أن تتحرك حول
نفسها • بعكس السفن التى ترسو على الرصيف فلا تجد مجالا
للتحرك • لذا • تحركت السفينة الناصر وأصبحت مقدمتها التى
عابنها ايتان من قبل • وحدد مكانها ، بعيدا عن مكانها القديم •
وجانبها الأيمن لم يعد فى مكانه • وظن ايتان أن الكراكة الصدئة
التي خرجت من الخدمة منذ زمن بعيد ، هى السفينة التى حدها
من قبل • وكاد أن ياصق اللغم فيها ، لولا أن أحس به الحارس •

اقترب ايتان من الكراكة والاصق اللغم بها دون صعوبة •
فهى ليس بها حشوف فى حاجة الى ازاله ورفع اصبعه الايمام
لزميله ذابيك الذى كان يحميه من بعيد • بعلامة النسر • ثم أسرع
بالابتعاد • • وانفجر اللغم فى الساعة الخامسة صباح يوم الاثنين
الخامس من يونية ٦٧ ، ليموت الخبير النظامى المافوف بمعطفه
الأصفر • والقابع داخلها ليحرسها من لصوص الميناء •



يصل ايلان وابراهيم مخلوف الى المكان الذي حددته المقدم ايفان لعودتهما الى الغواصة . . وذلك بعد الثالثة والرابع من صباح اليوم . فقد احس ايلان بالاعباء . واضطر للاختباء بعيدا ومعه ابراهيم مخلوف .

كان ايلان قد التحق بالكوماندوز في مارس ٦٧ في البحرية الاسرائيلية . ولم يستغرق تدريبه سوى مارس وأبريل ومايو . وهذه أول عملية فعلية يقوم بها .

ظن ايلان ومخلوف - أول الأمر - أن الغواصة قد حملت زملاءهم الأربعة وأبحرت . بعد أن يأسوا من الحصول عليهما . وظلا في انتظار الغواصة لبعض الوقت دون فائدة .

كان ابراهيم مخلوف يردد من وقت لآخر :

- لا فائدة من الانتظار . ولا بد من الاعتماد على النفس .

لم يكن امامهما سوى اتباع الأوامر الصادرة لهما . وهي الذهاب الى قلعة قايتباي للراحة . واستبدال ملابس الغوص السوداء بملابس دكرون (معلقة فوق ظهريهما ومغطاة بطبقة من البلاستيك ليحميها من البلل) ثم التصرف بعد ذلك .

قال مخلوف :

- اننى اعرف هذه القلعة وكثيرا ما ذهبت اليها لاصطاد السمك من امامها .

سبح الاثنان الى أن وصلا الى الشاطئ . المكان مظلم وايلان لا يعرف فى أى مكان يسير . لولا ابراهيم مخلوف السكندري الأصل ما استطاع ايلان الوصول الى القلعة وحده .

قال مخلوف :

— أخشى أن نكون القلعة قد عمرت • وأصبح فيها سكان
أو عمال •

— أكيد المرسلاد يعرف عنها كل شيء • والا ما كان
اخبارها لنا •

قال ايلان :

— أحس بتعب شديد • اننى فى أشد الحاجة للراحة •
— ها هى القلعة أمامنا • دقائق معدودة ونصل اليها •
لم يجدا صعوبة فى الوصول اليها • المكان مظلم تماما ليس
هناك مصباح واحد لينير المكان •

أرتمى ايلان فوق الأرض **الحيوية** فأحس بالآلام شديدة أثر
اصطدام جسده بالحصى الملقى فى كل ركن • ساعده مخلوف فى
الانتصاب •

— أسرع ، لا بد من التوارى فى الداخل : والا اكتشفوا
أمرنا •

سار ايلان الى الداخل وخلفه مخلوف • ابتعدا عن الطريق
المؤدى الى البحر • شنما رائحة عفنة • فكثير من الرجال — خاصة
الصيادين — يتخذون منها مرحاضا عموميا •

تخففا من بعض الأجهزة التى نثقل كاهليهما • وتمددا فوق
الأرض اليابسة • ود ايلان لو نام بعض الوقت • لكن من أين يأتى
النوم وهو فى أشد حالات الخوف •

أخرج ابراهام مخلوف الريتسا من مكنها • وأخرج خنجره،
وشقها من منتصفها • وقدم ما فى داخلها الى ايلان ليأكله • ثم
فتح له واحدة أخرى وشقها • ثم أكل ما فى داخلها •

كان الاعياء واضحا على ايلان . بينما ابراهيم مخلوف
متماسكا . فنظر الى جدران القلعة العتيقة .

بعد ذلك أخرج مخلوف لفاف صغيرة من الشيكولاتة . فض
واحدة ودسها في فم ايلان . فأخذ يلوكها شاردا وفض مخلوف
أخرى ولاكها أيضا .

بدأ ضوء الشمس يتسلل الى القلعة من منافذها الحجرية
الكثيرة . فقام مخلوف فجأة :

- ايلان . هيا نسرع بالخروج قبل أن يأتى أحد الى هنا .
- ألا تقول انها قلعة مهجورة .
- نعم . لكن الصيادين يقصدونها دوما .

قام ايلان دون كلمة أخرى . . خلع ملابس الغطس . وارتدى
بذلة دكرون قريبة الشبه بالبذل الصيفية التى انتشرت في مصر
اخيرا . وكان تصميم ادارة البحرية الاسرائيلية لها ، أن تكون مثل
سائر ملابس المصريين الصيفية حتى لا تثير الدهشة والريبة .

أخفيا ملابس الغطس في مكان مظلم . وبعيدا عن أعين الداخلين
الى القلعة . وصاح ايلان :

— أين سنذهب ؟

— لدينا الغام عديدة لم تنفجر .

— لا . هي ليست ذات أهمية . نفجر مدافع سيدى بشر
التي تهدد السفن الاسرائيلية .

— سيدى . . بشر . هذه داخل البحر ؟

– لا • مبنى عسكري عتيق مواجه للبحر • أعرفه جيدا •
لا تهتم •

– لكن

– لا تضيع الوقت • قد يأتى الصيادون الى القلعة فى أى
وقت •

وخرج ايلان ومخلوف فى طريقهما الى سيدي بشر حاملين
لغمين داخل لفافتين بلاستيكيتين • قال مخلوف :

– دعنى أتحدث مع سائق التاكسى والمارة • فلغتى ليست
بعيدة عنهم •

- ١٧ -

وصلت الضفادع البشرية الأربعة الى قلعة قايتباي بعد خروج ايلان ومخلوف منها بدقائق معدودة . . كانوا يلهثون جميعا من تعب السباحة التى قطعوها طوال اثنتى عشرة ساعة ، ليبدلوا ملابس الغطس ببذل دكرون خاصة بالهروب داخل المدن . .

أرتموا فى الداخل منهكين . بعد لحظات قصار لمحوا انسانا يأتى ناحيتهم . وقف ايتان ، وأخرج خنجره مستعدا لمقابلته . وابتعد داني وجادى حتى لا يراهما القادم . أما ذابيك - زميل ايتان فى المهمة - والذى قضى أكثر من اثنتى عشرة ساعة مربوطا بحبل طوله متر ونصف المتر مع ايتان وهما يسبحان . فقد وقف لحمايته .

لكن ذلك الانسان توقف عند مصدات الأمواج الكبيرة . وفرد كرسيا مقعده من القماش وجلس فوقه . ثم مد سنارته ليصطاد السمك فى هدوء .

صاح ذابيك ضاحكا :

— انه صياد •

وقال ايتان :

— اطمئنوا • الرجل لم يكن يعصدنا •

التصق داني وجادى بالحائط حتى لا يراهم من يأتى من بعيد • وفضوا باقى مكعبات الشيكولاتة التى تصرفها البحرية الاسرائيلية لهم • ووضع كل منهم قطعة فى فمه راغبا فى أن يلوكها • لكن الفم توقف عن الحركة • الخوف شل كل أعصاب الجسم • قال ايتان وكان أكثرهم شراسة :

— من رأى أن نقتل ذلك الصياد ونرتاح •

صاح جادى وكان أكبرهم سنا :

— الرجل لم يرنا • وليس له شأن بنا •

وقال داني وهو يتثائب :

— أرغب فى النوم •

ضحك ذابيك :

— تريد أن تنام رغم الخطر الذى يحيق بنا من كل جانب ؟

— لقد سبحنا أكثر من كل الأوقات التى سبحناها منذ أن التحقنا بالضفادع البشرية •

تابعوا الصياد فى قلق وخوف • رغم أن الرجل لم يلتفت اليهم ولا كان يحس بهم • قال ذابيك :

— لو قتلناه سنترك أثرا فى المصريين أنفسهم •

أكمل ايتان :

— خاصة أننا لم نقم بالمهمة بنجاح .

قال جادى :

— فسدت زراجين الألغام وأصبح من المستحيل الصاقها
ببدن السفن .

قال داني هو مازال يتشاءب :

— لا تنسوا أن ايلان وابراهيم لم يأتيا بعد . وقد يراهما
الصياد وهما يتسلقان الصخور في طريقهما الى القلعة .

صاح ايتان :

— داني يقول الحق رغم انه نائم .

أكدوا جميعا على قوله هذه المرة . فقتل الصياد — الآن —
ضرورة وحماية لهم ولزميليهما اللذين قد يأتيان فجأة وسيراهما
الصياد لاشك وهو ناظر الى الماء في انتظار أن تشبك سمكة
في منارته .

صاح ذابيك :

— أذهب اليه يا ايتان بخنجرك وسأحميك .

قبل أن يخطو ايتان خطوة واحدة . جاء صياد آخر يلبس
نظارة . تحدث مع الصياد الجالس . لوحا بأيديهما ثم حمل
الصياد — الذي كان يجلس — أمتعته وسار مع زميله . ربما
اكتشفا وجود مكان آخر فيه صيد أوفر .

ضحك ذابيك قائلا :

— انكتب له عمر جديد .

قال داني :

– قل انكتب لنا عمر جديد .

قال جادي :

– لقد استرددينا أنفاسنا الآن . وعلينا الآن أن ندخل القلعة على حذر ، نكتشف ما بها . ونبتعد عن مرمى البصر .

قال ايتان :

– لن نرتاح في الداخل . مكاننا هذا يكشف لنا الداخل الى القلعة .

قال ذابيك :

– ندخل القلعة ، ونترك أحدها يحرس المدخل . ويبلغنا بأي خطر .

قال داني في ملل :

– ألن نرتاح من هذه الحراسة اللعينة ؟

حملوا أمتعتهم وساروا الى الداخل قبل أن يجبدوا من سييبدأ بحراسة المدخل . افترشوا الأرض في الداخل اختاروا مكانا مواجهها لناقذة بلا غطاء . مواجهة للبحر ، تنير المكان .

خلع داني بعض أجزاء ملابس الغطس . ارتاح . قبل أن يفعل الباقي مثله . سمعوا صوتا غريبا في المدخل . . صوت حركة أقدام فوق الحصى . نظروا الى بعض في خوف . ثم تلامسوا صامتين .

وتعالى صوت غلام في حوالى العاشرة يغنى :

— صياد ورحل اصطاد صادوني

رموا شباكههم رموش العين صادوني

كان الولد حسن الذي يعمل لدى الحاج الدسوقي شيخ الصيادين واعادته عواطف الى المدرسة منذ أيام قلائل .

قال جادى :

— انه ولد صغير .

صاح ايتان :

— صغير او كبير من الممكن أن يكون سببا في قتلنا .

احس داني بالضيق من العملية كلها . كل ما قالوه له اتضح كذبه : السفن متلاصقة كموقف التاكسيات فى تل أبيب ولن تجدوا صعوبة فى الصاق الألغام بها . والقلعة مهجورة ليس بها أحد . لو تقيموا فيها شهرا . أو أكثر لن يحس بكم أحد .

اقترب الولد حسن من جدار مواجه للمكان الذى اجتمعوا فيه ، وتبول .

اعتاد حسن دخول القلعة كل يوم . يهرب فيها من العمل لدى الحاج ، يغنى بصوت مرتفع داخلها . فيسمع صدى صوته . ثم ينام ساعة أو ساعتين ويعود الى دكان السمك .

وكان يأتى مع أصدقائه — أبناء المدرسة ، أو أبناء الحي — يلعبون « ولمان » . يشكلون أنفسهم الى فريقين .. يختبئ فريق . والآخر يبحث عنه . والقلعة واسعة وخالية وبها أركان ومنافذ يسهل اللعب فيها . قل ذابيك :

— سأخرج واقتله بخنجرى .

أحس الولد بحركة غير عادية خلف الجدار المواجه . أكمل
تبوله وهو صامت كف عن الغناء وعن التصفير بفمه . ونظر الى
هناك . رآهم أمامه . أشباحا يرتدون ملابس سوداء ويعلقون
أقنعة في رقابهم . ايكونوا عفاريت ؟ القلعة كانت محل حروب
عديدة . وقتل فيها الكثير على مر التاريخ . هكذا يقول مدرس
التاريخ في المدرسة .

اقترب ذابيك بخنجره . فأسرع الولد . هو يعرف مداخل
ومنافذ القلعة . كثيرا ما اختبأ فيها من معلمه الذي يشرف على
محل الأسماك الذي يمتلكه الحاج الدسوقي . فيجئ معلمه
لبخرجه من القلعة ، فلا يجده فيها أبدا . يخرج الولد من أماكن
لا تخطر على باله . ولا يعرفها الا القليل .

قفز حسن الى حجرة بعيدة مظلمة يقولون انه كان يتم اعدام
الجناة فيها . أو الخونة أو الأعداء .

وقفز من نافذتها المواجهة للبحر . ومنها الى الشارع .
تذكر ما يقولونه في القهوة عن رؤية سفينة مصرية لغواصة جاءت
لتلقى بالضفادع البشرية لقتل أهالي الاسكندرية .

صاح الولد بصوته الحاد وسط الصيادين القريبين من حلقة
السماك :

— ضفادع بشرية في القلعة . ضفادع بشرية في القلعة .

تجمع الصيادون من القهوة المجاورة . وجاء من كان بالحلقة
تاركين أشياءهم وحاملين ما استطاعوا حملة من سكاكين وعصى
وحديد .



قال داني :

– الولد كالعفريت • قفز قفزات سريعة كالبهلوان •

أدخل ذابيك خنجره في جرابه وصاح :

– فلنترك القلعة حالا • فسوف يعود الولد بالأهالي •

وأكد ايتان على قوله :

– سيعود بكل أهل الاسكندرية •

وقال جادى :

– وماذا سنفعل ؟

قال ايتان :

– نختبئ الآن خلف مصدات الأمواج •

قال داني :

– فى المكان نفسه الذى كان الصياد يصطاد فيه •

أعادوا الأقنعة الى وجوههم • وتأكدوا من وجود كل شئ

فى مكانه •

عاد عوض ممسكا بيد ابن أخيه حسن ، الذى كان يبكى
بشدة وخلفه العديد من أهالى الحي • أحدهم حمل مجدافا غليظا
فوق كتفه • وآخر أمسك سكبنا كبيرا • وفران أخرج من النار
حديدة – يقلب بها الوقود – كانت حمراء ملتهبة • والحاج
الدسوقي حمل مسدسه المرخص لأعلى وسار به • أما الحاج
سماحة فقد أشهر موساه الذى يطاهر به الأولاد •

خبر موت الخفير النظامى داخل الكراكة الصدنة انتشر فوق
القهاوى وخرجت أرملته تصرخ وسط حوارى بحرى وتصيح :

— ياهوه .. يا هوه .. قتلوه اليهود

— ياهوه .. ياهوه .. قتلوه اليهود

قال الولد حسن وهو مازال يبكى :

— أحدهم أشهر خنجره • لكنى هربت منه •

قبل أن يدخلوا القلعة ، صباح الحاج محمد سماحة وهو مازال
يشهر موساه لأعلى :

— احذروا فقد تكون معهم رشاشات وقنابل ومدافع •

قال الولد حسن :

— أعرف أماكن دخول غير هذا المدخل •

العديد منهم — خاصة الأولاد يعرفون هذه المنافذ البعيدة
والمواجهة للبحر • ويتطلب الوصول إليها المشى بحذر على سياج
طويل فوق البحر •

دخلوا من هذه المنافذ • أشعلوا مشاعلهم لينيروا الطريق
أمامهم • لم يجدوا شيئاً • قال الحاج الدسوقي :

— فى أى مكان هاجموك ؟

أشار الى المكان • بحثوا فى الأرض بحذر ودقة • رأوا قطعاً
من الشيكولاتة تركوها دون أن يفضوا غلافها • ووجدوا حزاماً
لشد غطاء الوجه ملقى ، وقع من أحدهم دون أن يحس •

وفي أماكن أخرى من القلعة رأوا أشواك الرتسة • وأغلفة
السيكولاتة • وفي ركن بعيد وجدوا ملابس الغطس التي تركها
إيلان وإبراهيم مخلوف كاملة • قال سماحة :

— دعوا كل شيء في مكانه • وسأذهب إلى ضابط نقطة
الأنفوشي • ليعاين المكان •

وجاء الضابط • وهو معروف لديهم • وصديق لأكثرهم •
يجلس معهم في القهوة • ويشاركهم مناسباتهم • • كان معه العديد
من المساعدين • حملوا البطاريات للاضاءة • عاينوا الأشياء التي
تركها الضفادع الإسرائيلية بعناية ثم حملوها معهم وخرجوا وهم
يتحدثون مع الحاج سماحة والحاج الدسوقي •

* * *

توقف التاكسي الذي يقل أحمد الدسوقي وعواطف على
كورنيش البحر أمام الشارع التالي لقلعة سيدي بشر • ذات
المدفعين الكبيرين المشهورين والموجهين إلى البحر •

قال أحمد للسائق :

— توقف أرجوك •

قالت عواطف :

— لن تأتي البيت معي ؟

— لا • سأنزل هنا • لا أريد أن أدخل بيوتا الآن • أحس

بإختناق • سأسير على البحر •

— إلى متى ؟

— لا أدري • سامشى حتى أتعب وقد أنام على الشاطئ •

نزلت عواطف • هى التى أعطت للسائق أجرته • أحمد
فى حالة لا تسمح له بفعل شئ • ملابسه ممزقة من شد الناس
لها • ومهرولة • وهو شاحب ومتعب • قالت :

— سأسير معك ولو حتى للصباح •

— أرجوك اذهبى الى البيت ودعيني •

صاحت فى تحد وثورة :

— لن أتركك أبدا وأنت فى هذه الحالة •

بكت هى • • وهو كان كالولد الذى يعاند أمه • ويعذبها
برفضه • وهى جزعة عليه • سار معها دون كلمة •

منظر الناس وهم يهجمون عليه راغبين فى ضربه وسبابهم له
ما زال يطارده • لا يبرح مخيلته أبدا • وإبراهيم فهم بأنفسه
المنتفخ الكبير يفح هواء فاسدا ملوثا • ونيران تشعل جسده
أحمد •

أقتربا من كازينو على البحر • قالت :

— أراك متعبا • تعال لترتاح •

نظر اليها مندهشا :

— عواطف • لا أريد أن أتعبك أكثر من ذلك • اذهبى الى
البيت الوقت متأخر •

— لا أستطيع أن أتركك وأنت فى هذه الحالة •

دخلا الكازينو معا • جلسا قريبا من البحر • قال

— الأسطى محفوظ أكيد قلق عليك •

— أعلم • لكن ماذا أفعل ؟

ظلا هكذا • ينظر هو الى مياه البحر السوداء تحته صامتا •
كانت هادئة وحزينة • ثم وقف فجأة :

— هيا • سأوصلك الى البيت •

— بل ستذهب معى اليه • ستقضى الليلة معنا • فى الصباح
تفعل ما يحلو لك •

— أى ليلة • الفجر اقترب يا عواطف •

عاد ثانية فوق الرصيف الآخر • قبل قلعة سيدى بشر وجد
رجلا عجوزا فات الستين بقليل (يبدو هذا من شعر رأسه الأشيب)
كان يقف على ناصية الشارع المؤدى لبيت عواطف • عندما رآهما
أتيان نحوه صاح :

— يا استاذ • يا استاذ •

ود أحمد لو تحاشاه وتظاهر بعدم السمع • لكى يقف ويتحدث
معه • يريد أن يقضى الساعات الباقية من الليل دون أن يتحدث
مع أحد فى أى موضوع • قالت عواطف للرجل :

— ماذا تريد ؟

تركها الرجل • وأمسك ذراع أحمد :

— اننى أقف هنا منذ وقت طويل •

أراد أحمد أن يدفع يده عنه بعيدا • ويسبر • قالت عواطف
التي اعتبرت هذا من سوء الحظ • فهى تريد أن تريح أحمد
وتخرجه من حالته السيئة • فيأتى هذا ليزيد حالته سوءا •

— وما شأننا نحن • قف حتى للصباح لو اردت •
أمسك ذراع أحمد ثانية وقال :

— اصطبر قليلا • لاحظت أن أحد الشباب يتسلق جدران
قلعة سيدى بشر • وآخر يتابعه • وينظر حوله فى ترقب وحذر •
قالت عواطف باستخفاف للرجل :

— ذلك أمر بديهي • اننا فى حالة حرب — وأكهد — يعدون
القلعة لذلك •

أحس أحمد بالقلق • نسي كل همومه وصاح فى الرجل :
— تعال معى لنعرف حقيقة ما يحدث •

صاحت عواطف بعد أن أحست بأن أحمد هذا يبحث عن
المشاكل بطريقة غريبة :

— وما شأننا بهما • انهما عسكريان •
كان أحمد أول من وصل الى مخلوف • سألته •
— ماذا نفعل هنا ؟

ارتبك مخلوف أول الأمر • وارتعش • كاد ينكشف أمره •
فكر فى أن يعجز • خاصة أن هذين الرجلين مدنيين ولا يحملان
سلاحا • فكر بسرعة فى أشياء عديدة • ووجد أن الحل هو أن
يلعب بعقول المصريين • وقد أفهموه هناك أن ذلك سهلا • وهو
سكندري الأصل ويعرف مدى طبية الناس :

انا موكل من مقال البناء بعمل ترميمات لجدار القلعة •

— بطاقتك من فضلك .

كان قد تجمع العديد من المسارة . رغم أن الوقت متأخر .
أحاطوا بمخلوف . صورته لم يكن عاديا . فيه لكنة غريبة تكشف
عن غربته . أمسكه أحمد بيد من فولاذ . لم يستطع أن يخرج
خنجره . سلاحه الوحيد :

— أنت من الكوماندوز الاسرائيلي .

أحد الرجال — وكان شابا في مقتبل العمر — فتش مخلوف
أخرج خنجره . صاح أحمد :

— أبلغ زميلك بأن ينزل .

كان جنود قلعة سيدي بشر قد جاءوا من الداخل . ولا تدري
كيف ؟ ومتى صعدوا لبأثوا بايلان ؟ والتف الجميع حولهما .
صاح أحمد :

— ابطلوا مفعول الألغام قبل أن ينفجر .

* * *

أنهى ابراهيم فهم ليلته الطويلة التي لم يحس أنه عاش
ليلة أطول منها في حياته . كان يبني آمالا كبارا على لقاء الليلة .
أن يكون مسئولا عن الاتحاد الاشتراكي عن دائرة الجمرک .
ثم عضو مجلس أمة . ومسئول الشباب في المحافظة كلها .
لكن أحمد هذا جاء كالعفريت الذي خرج من القمقم ليفسد كل
خطته ..

غبي . ماله هو ومال البلد . البلد لها رئيس ومشير وحكومة
وزراء ومجلس أمة وبوليس . كل هؤلاء لا يعرفون الحقيقة وهو
الوحيد الذي يعرفها لمجرد أنه عاش في ألمانيا بضع سنين .

نعرف أن أمريكا وراء اسرائيل . وان الأمريكان هم اسيااد العالم وهم الذين يمنحون المساعدات والمعونات لمن أرادوا . وان من الغباء أن نغضبهم ونحارب اسرائيل التى يعشقونها . لكن ما لنا نحن ومال هذا الحديث . البلد لها مسئولون يقررون ونحن خلفهم كما يريدون .

المهم أن غباءه المفروض أن يصيبه وحده . لكن من الممكن أن يصيب أبرياء معه .

بعد أن انتهى اللقاء ركب ابراهيم بجوار الفرماوى فى سيارته وأصر أن يذهب الى بيته ليوصله . ودعا الفرماوى الى بيته لكنه اعتذر . ووعد بأن يأتى اذا ما حدث حادث سعيد لديه .

وركب ابراهيم ترمای الرمل . لحق - لحسن الحظ - بآخر ترام فى تلك الليلة العجيبة . وسار على قدميه من محطة الترام حتى بيت خاله الذى ليس بقريب من المحطة . فوجيء أمامه بتجمهر . سأل :

- ماذا حدث ؟

- هذا الشاب - الله يحميه - أمسك ضفدعين بشريين اسرائيليين .

وعواطف وسط الجميع بقامتها التى تميل للقصر . تتحدث وتلوح بيدها وتشير الى الاسرائيليين اللذين يمسكهما الجنود .

ابتعد ابراهيم . تابع الموقف من بعيد . لقد جاء ليحتفل بانتصاره مع خاله محفوظ وابنة خاله التى أتعبته . لكنه يفاجأ بحادث لم يخطر على بال . . أحمد الدسوقي الذى يشكك فى مقدرة الجيش المصرى على الانتصار . كان سببا فى القبض على ضفدعين اسرائيليين ، وأمام عواطف وسيندهبان بعد ذلك الى خاله الذى

ينتظر في البيت . . سيضحك الرجل - كعادته - ويضم أحمد
لصدره ، وستكون الجلسة كلها حول هذا الحديث . وربما
ستتحدث الصحف عن هذا . وسيتحدثون عن بطولة هذا الطبيب
الذي كان يدرس الطب في ألمانيا وجاء وقت الحرب .

ابتعد ابراهيم مخزيا . التصق بعمود نور في أول الشارع
الذي يقع فيه بيت خاله . تابع الموقف من مكانه . استعاد أحمد
نشاطه وحيويته . الضفدعان البشريان قريبان جدا منه وهو
يحرسهما مع الجنود ليت أحدهم يخرج خنجرا أو مسدسا ويقتله
ليستريح ابراهيم .

فجأة توافد عدد كبير جدا من الرصيف المقابل . ملأوا مدخل
الشارع الذي يقطع كورنبش البحر . انهم رواد المسرح القريب .
انتهى العرض وهاهم يعودون الى بيوتهم . واجهوا ابراهيم الذي
يقف وحده بعيدا يتابع الموقف في أسى . سأل أحد رواد المسرح :

- ما الذي يحدث ؟

لا يدري ابراهيم كيف فكر سريعا وأجاب . لاشك هو لم
يقال ما قاله . انما شيطانه تدخل وأنقذه . قال :

- ثلاثة ضفادع بشرية كانوا يريدون نسف قلعة سيدي
بشر .

قال آخر :

- أين هم ؟

- هذان اللذان يلبسان الدكرون الزيتي . والآخر الطويل
ذو الشعر الأصفر الذي يرتدى القميص الأبيض الممزق .

أسرع رواد المسرح الى الجميع • امتدت يد أحدهم ، صفعت
أحد الضفدعين ، وآخر صفع أحمد في عنف :

— يا يهودى •

رأت عواطف ابراهيم مازال يتحدث مع رواد المسرح ، ويشير
الى أحمد • أرادت أن تجرى نحوه • لكن جمع كبير هجم على
الضفدعين وعلى أحمد • قال أحدهم :

— شكله واضح انه يهودى •

حاول أحمد الدفاع عن نفسه • صاح :

— أنا مصرى مثلكم • لست منهم •

وصاح :

— لا تضربوهما • دعوا الشرطة تحقق معهما •

قال آخر :

— هو يهودى مثلهم • لذلك يدافع عنهم •

وقال زميله :

— هو الذى أخذهم الى قلعة سيدى بشر • هو يهودى يعيش
معنا هنا • جاسوس علينا •

دخلت عواطف وسط الجمع • ضمت أحمد لصدرها
وصرخت :

— ابتعدوا عنه • ابتعدوا عنه • انه زوجى • زوجى •

صاح أحد الرجال :

— تدافعين عن يهودى جاء ليقتلنا ؟ •

الرجل العجوز الذى دل أحمد على الضفدعين صاح :

يا عالم يا هوه • هو ليس معهما • صدقونى • هو الذى
أمسك بهما • كان يمشى مع زوجته فى أمان الله • وناديت عليه •
لكن صوت العجوز ضاع وسط الأصوات الأخرى الأكثر علوا •

ابراهيم فهميم سعيد • لقد كان السبب فى ضرب أحمد هذه
المرّة • والسبب فى محاولة ضربه فى المرة السابقة عند اجتماع
الاتحاد الاشتراكى •

ردد لنفسه سعيدا « ها قد أوقعت به • ععلى يوزن بلد •
الشيطان نفسه لا يعرف كيف يخطط مثلى » •

سأقت الجماهير الثلاثة الى قسم الشرطة • الدماء تغطى
وجه أحمد • وأحد الرجال يمسكه من ياقة قميصه وآخر من
بنطلونه • وعواطف تصرخ وتشد الذين يمسكونه • بعض الصفعات
جاءت فوق وجهها ورأسها وظهرها لم تهتم • التصقت بأحمد عندما
زادت الضربات عليه • كان يلهث • خافت أن يموت قبل أن يصل
الى قسم الشرطة ويكتشفوا الحقيقة • ورات ابراهيم يتسلل بعيدا
عن الجمع ذاهبا الى الشارع الذى يقع فيه بيتها •

سمع محفوظ صوت جرس الباب • قام اليه وهو موقن أنها
عواطف • • لقد تأخرت كثيرا • وها هى قد جاءت •

لكن الرجل فوجئ بابراهيم فهميم أمامه • غريبة • الصباح
يقترّب • فماذا جاء به الآن • أجاى لينام ؟ !

أحس الرجل بأحباط • دخل الشقة دون أن يتحدث معه :

— ايه يا خالى • مالك ؟

— قلق على عواطف •

— لا تقلق • الجو صيف وقد تكون مع أحمد أمام البحر •
يشاهدان أمواجه • فكما تعلم البحر جميل فى الليل •

لاحظ محفوظ أن هناك نبرة غريبة فى حديث ابن أخته •
المفروض أنه خطيبها ويغار عليها • ويفضرب لو سهرت خارج
البيت فى وقت مثل هذا مع شاب آخر غيره •

كان هدوء إبراهيم أمرا جديدا عليه • لكن الرجل مسكن
وهذا وكف عن التفكير فى ذلك • فأبى أخته كل ما يهتمه المال •
هو لا يحب عواطف ولا يحب خاله • ما يريد منهما هو المال •
المال فقط •

تحب عواطف غيره • تسهر معه • ليس كل هذا مهما • المهم
أن تتزوجه ليأخذ ما سيتركه خاله بعد ذلك •

جلس الرجل فى مقعده صامتا • مصغيا الى احتكاك الأقدام
بدرجات السلم • لعله يسمع صوت احتكاك حذاء ابنته الذى
يستطيع أن يميزه من بين ألف حذاء صاعد للعمارة •

بينما إبراهيم فهم ظل واقفا :

— ايه يا خالى • تعشيت ؟

أحس الرجل بالضيق منه ومن أخته التى أنجبته • ولم
ينطق بشيء • • فلو نطق سيقول له ما يسيئه •

ـ أنا لم أتناول عشاءى للآن • ها • ستنتظر عودة
عواطف ؟ •

أعتدل الرجل فى جلسته ولم يجب :

ـ سأذهب الى المطبخ ـ بعد اذنك ـ لأعد العشاء لى •
وانت انتظر عواطف كما تشاء •

عندما ابتعد ابراهيم عنه صاح :

ـ يا تقل دمك •

كان ابراهيم فاهيم في شقته بشارع التتويج . والده
العسكري قابع فوق الكنبه العربى يعد نقودا صغيرة برايز وشلنات
ورق ، يطويها ويفردها في أناة وعناية واهتمام شديد . وأمه
مكومة بجسدها الممتلىء فوق الكنبه المواجهه تتابع الرجل الحريص
على نقوده . تريد أن تقول له أن يعطيها شيئا من هذه القطع
الصغيرة . لكنها تعلم أنه لن يسكت . سيصرخ بصوته الرفيع
الحاد . وسترد عليه مضطرة . فيسمع الجيران صوتهما وسبابهما
لبعض . وقد يتدخل ابنها ابراهيم . ويحدث ما حدث في المرة
الأخيرة حين تطورت الأحداث . فدفع ابراهيم والده فوق الكنبه
العربى في عنف حتى كاد الرجل يختنق . أخذ يلهث ويخرج رغاوى
من فمه ويتنفس في صعوبة ظنته المرأة مات . لكنه بسبع ارواح .
فقد قام بعد ذلك كالجن .

خافت المرأة أن تتحدث معه في أمر النقود . فهي أغلى عنده
من أى شيء . هو يستحق الموت . لكن كل خوفها على ابنها
الوحيد ابراهيم . الذى اتت به على أربع بنات تزوجن جميعا

وتركن البيت • فقد يضربه ابنها ضربة يضيع الرجل فيها • فهو
قد تهدم ولم يعد قادرا حتى على التنفس المنضبط • وابراهيم غدا
قويا • طويلا وعريضا •

يأخذ ابراهيم علبة ابيه الصدئة • يخرج ورقة بفرة ويلف
له سيجارة • اول الأمر كان والده يغضب ويشور • يأخذ العلبة
منه في عنف لكن الآن - بعد أن أظهر له قوته - يراه الرجل يفعل
ما يريد • فيتابعه في خوف وقلق •

كثيرا ما اشترك ابراهيم مع أمه في سرقة خزانة والده •
صندوق الكنبه العربى • يغلقه بقفل • ويضع المفتاح في جيب
سترته العسكرية • الكنبه مليئة بالجنيئات والخمسات • فالرجل
يأخذ الشلنات والبرايز ويستبدلها بالجنيئات والخمس جنيئات
من البقالين الموجودين فى الحى الذى يعمل فيه • وتكون فيه وردية
حراسته •

يأتى الرجل - أيضا - بأشياء كثيرة أخرى : خبز فينو
وقطع جبن وحلوى ولوف للاستحمام وقباقيب ، اذا ما قابله بائع
القباقيب •

ابراهيم منذ طفولته وهو يرتاح لأمه • يحكى لها ما يحدث
فى الحارة وفى المدرسة • ثم ما يحدث فى عمله ، بعد أن عمل •
لكن والده لا • فالرجل لا هم له سوى الاعتناء بالبدلة العسكرية
ومسح زرايرها النحاسية واخراج العملات الورقية الصغيرة منها
وحفظها فى صندوق الكنبه العربى التى ينام عليها •

طوال عمره وهو لا يحبه • رغم ذلك كان يخاف أن يموت
فجأة • فحينذاك ماذا سيفعل ابراهيم • وليس لديه مورد سواه •

الآن - بعد أن عمل وصار له راتب • لا يحرص على بقاءه • وعندما يسألونه في العمل عنه يقول :

- مات منذ أن كنت طفلا • وخالي محفوظ صاحب محلات الكهرباء المعروف في محطة الرمل هو الذي رباني كان يساعد أمي بالمال • وهذا لم يحدث قط • فمحفوظ أيام كان إبراهيم صغيرا • لم يكن غنيا • وكان في حاجة لمن يساعده • تسأله عواطف كثيرا :

- لماذا لا يأتي والدك لزيارتنا ؟

فيقول مرتبكا ومتلعثما :

- هو لا يحب الخروج من البيت •

لو لم تكن عواطف قريبة منه ، ومن الأسرة • وتعرف كل أسراره لقال لها انه مات ! كما يقول للذين لا يعرفون بيته وأسرته •

حكى إبراهيم لأمه عما حدث بالأمس • وقت الاجتماع الهام • ضحكت أمه وقالت :

- الكل في الحى يتحدث عن هذا •

اقترب منها فرحا • جلس بجوارها كما كان يجلس وهو طفل لتحكى له عن الحارة التي يسكنونها قبل الانتقال الى شارع التتويج بمساعدة أخيها الأسطى محفوظ • قال إبراهيم فرحا :

- ماذا يقولون ؟

- يقولون ان الدكتور ابن شيخ الصيادين قد جن •

نظر فهم اليهما • ثم شد قفطانه « المقلع » بخطوط بنية رفيعة باهتة حول ساقيه • ونظر بعيدا عنهما • يريد الرجل أن

يقول شيئاً • لكن النقاش الهادئ بينه وبين امرأته وابنه مات
وضاع منذ زمن بعيد • ليس بينه وبينهما - الآن - سوى السخرية
أو الشجار • وقد وصل أخيراً أن ضربه ابنه الوحيد - ابراهيم -
الذي كان يفخر به بين زملائه العساكر • ويقول :

- سيكون ضابطاً عندما يكبر وسيعوض صبره خيراً •

قالت المرأة :

- يقولون انه أحب المانية أيام دراسته وأنجب منها بنتاً •
وعندما عاد لم يسمحوا له بأخذها معه • وقد جن لذلك •

ضحك ابراهيم فرحاً :

- وماذا يقولون عني ؟

عاد فهم ساقيه الطويلتين الى أسفل الكنبه • وتابع ابنه
السعيد بنفسه •

دق الباب • فأسرعت الأم - رغم جسدها المكتظ باللحم -
فمن سيفتح الباب غيرها : زوجها - رغم نحافته الواضحة
وقدرته على صعود الدرجات العالية في قفزات معدودة - لا يشترك
في عملية فتح الباب • وابنها ابراهيم مركزه لا يسمح له بذلك •
فهو موظف وملتحق بكلية التجارة • وأمين لجنة الاتحاد
الاشتراكي المساعد عن دائرة الجمرك •

طل وجه عوض التومرجي :

- مساء الخير يا حاجة •

أم ابراهيم تعرف عوض • ومن في بحري لا يعرفه • فهم
يذهبون الى مستشفى السبع بنات ، التي يعمل عوض بها •

ويذهبون أيضا الى عيادة الدكتور يوسف داود • وعوض •
أيضا - تومرجى بها •

- اتفضل يا عوض •

- الدكتور - لامواخذة - يريد مقابلة الأستاذ الليلة بعد
العيادة •

سمع ابراهيم ما قيل • فأحس بمدى أهميته • فعوض ذكره
بلفظ « أستاذ » دون أن يقرن به اسمه • وهذا يعنى أنه الأستاذ
الوحيد الآن في العمارة كلها • وربما في المنطقة كلها أيضا •

أما والده فقد اكتفى بأن نظر طويلا الى جسد المرأة الذي
يسد درفة الباب المفتوحة • وسرد فيما يقوله عوض • ما الذي يريده
الدكتور اليهودي من ابنه ؟ وأحست الأم بمدى أهمية ابنها •
فها هو أشهر طبيب في المنطقة يسأل عنه ويطلب مقابلاته •

* * *

ذهب ابراهيم الى العيادة متأخرا • قصد من هذا أن تكون
خالية من المرضى • فالكثير منهم يعرفونه جيران ومعارف وسيظنونهم
مريضا يجيئ للعلاج • والدكتور يوسف يحصل على أجرة
أقل •

كانت العيادة خالية فعلا كما أراد ابراهيم • ظن أن الدكتور
وحده في الداخل ينتظره • فأسرع الى الحجرة • أمسك المقبض •
قبل أن يفتح • وجد عوض أمامه • لا يدري من أين جاء • أمسك
ذراعه وقال :

- الدكتور مشغول • عنده ضيوف •

عاد الى المقاعد الكثيرة الخالية دون قول • جلس • أراد أن
يشعل سيجارة • لكنه قال لنفسه « أوفرها » فالدكتور يوسف
يعطيه سجائر وقهوة وشاي في الداخل كما يريد •

اقترب عوض منه :

— اعمل لك شاي ؟

— من عند الدكتور • طبيب مثله ؟

— لا • ليلي المغنية المشهورة •

— آه

بعد قليل خرجت ليلي • نظرت الى ابراهيم وسارت مسرعة •

دخل ابراهيم الحجرة دون أن يستأذن عوض • فما الداعي
لهذا • وهو يعرف أن الدكتور في الداخل وحده •

وقف يوسف بقامته القصيرة :

— أهلا أستاذ ابراهيم • مالك • هل أنت غاضب مني ؟

— لماذا لا سمح الله ؟

— لأنك لا تزورني •

جلس ابراهيم ، احس بالسعادة • اكيد الدكتور سمع عن
نشاطه الملحوظ في الاتحاد الاشتراكي •

— مشاغل يا دكتور • لعلك سمعت عن الاجتماع الأخير الذي
عقدته أمام قهوة فاروق بالأمس •

— ومن في بحري لم يسمع عنه •

أخرج يوسف علبة سجائره المستوردة ، وضعها أمامه .
- دخن كما تشاء .

أسرع ابراهيم وأخرج سيجارة ، فقد كان خرمانا .
- لعلك سمعت عما فعله ابن شيخ الصيادين .
قال يوسف في أسى :

سمعت .

- لقد جن بلاشك .

أقترب يوسف منه . جلس على المقعد المجاور له . وانحنى
وقال هامسا :

- أترأه قد جن فعلا .

استطاع الضفادع البشرية الأربعة (ايتان وذابيك وجادى ودانى) من الاختباء بجانب الصخور بالقرب من قلعة قايتباى .
ظلوا بلا حراك حتى حل الظلام ، فقد كانت قوات خفر السواحل تجوب المنطقة بحثا عن الضفادع التى تسربت داخل البلاد .

أسرعوا بخلع الملابس وكل ما له صلة بالغطس . ورموا الأشياء بين الصخور لكى لا تساعد المصريين فى الوصول اليهم ،
وارتدوا الملابس الدكرون المخصصة للسير فى المدن .

ليس امامهم الآن سوى المرحلة الأخيرة التى امرهم ايفان -
قائد الغواصة - باتباعها . ساروا على كورنيش البحر . الشوارع
خالية بسبب الليل المتأخر . وبسبب حالة الحرب التى خيمت على
المدينة فقد هجمت الطائرات الاسرائيلية صباح اليوم على المطارات
المصرية . لكن الموقف غير واضح لدى المصريين حالة من القلق
والحيرة تعترى الشعب المصرى .

صاح ايتان :

— تاكسى • تاكسى •

التاكسيات تحرص على السير على الكورنيش في ذلك الوقت ،
لوجود رواد الكازينوهات الذين يعودون منها متأخرين • وراقصات
في حاجة للعودة الى بيوتهن ، يدفعون مبالغ أكثر •

قال جادى الذى يجلس بجوار السائق ، وحاول أن تكون
لهجته قريبة من لهجة المصريين :

— كازابلانكا •

أوما السائق مبتسما • هو يطوف الشوارع القريبة من البحر
بحثا عن الخارجين من الكازينوهات • وما هو يجد أربعة ما زالوا
يبحثون عن كازينو في ذلك الوقت •

ارتعش داني فقد يكون السائق قد أحس بهم واكتشف أمرهم •
وسياخذهم الآن الى اقرب قسم شرطة • او اقرب وحدة جيش •

حاولوا الا يتكلموا امام السائق حتى لا يرتاب فيهم • خاصة
أن خبر انتشار الضفادع البشرية في المدن شاع وعلم به الناس •
وكطبيعة الشعب المصرى • فقد زادت عليه قصصا :

* الضفادع البشرية ظهرت في مدرسة عسكرية وذهبت
كل طلابها •

* شاهدوا امرأة تسير في « سوق باب عمر باشا »
بالاسكندرية المزدهم بالبشر خاصة النساء • ولاحظوا
أنها تلبس حذاء زجاليا • وعندما أمسكوا بها اتضح أنها
ضفدع بشرى اسرائيلى •

* ضبطوا ضفدع بشرى اسرائيلى في حارة اليهود القريبة

من حى بحرى • وجدوه يبحث عن بيته القديم الذى
ولد فيه •

كان جادى يبتسم للسائق دون سبب ، حتى ظنه السائق
أبله • ثم قدم له جادى قطعة شيكولاتة مغلفة بورق سيلوفان •
ليس فيها ما يدل على جنسيتها :

— شيكولاه •

أخذها السائق ولم يأكلها • وضعها أمامه فوق التابلوه •
مما زادهم خوفا منه • فالرجل ارتاب فيهم وظن الشيكولاتة تحوى
مخدرا • أو أن الرجل سيأخذها ويسلمها الى الشرطة المصرية
لتحللها وتعرف مصدرها •

يقف السائق أمام الكازينو • دس جودى مبلغا من المال
فى يده (نقودا مصرية سلموها لهم لمثل هذه الحالات) •

سار الأربعة الى الداخل • كانوا يرتعشون • قابلهم بوللى
بوجهه الأبيض المكتنز باللحم والذى يبتسم دائما قال ايتان :

— فيكتور •

أشار بوللى الى حجرة المدير •

كانت ليلى قد عادت من عيادة الدكتور يوسف غنت أغنياتها
المعتادة لرواد الكازينو • كانت تغنى بلا حماس • تتصرف ببرود •
لم ترقص مع النغمات كعادتها كل مرة • بينما فريدة أكثر مرحا
منها • فداعبت الزبائن وجعلتهم يفتحون زجاجات خمر أكثر •

الكازينو به عدد قليل جدا من الزبائن • أكثر الزبائن عادوا
الى بيوتهم • بوللى ولالى يجمعان المقاعد ويرصونها لأعلى •

دق ذابيك الباب الزجاجى المصنفر • سمعوا صوت فيكتور
الغليظ :

— أدخل •

• كان الرجل العجوز يعد ايراد الكازينو • عندما رآهم داخلين
اليه • صاح غاضبا :

— ايه • ماذا تريدون ؟

أخفى نقوده • دس الحقيبة أسفل المكتب • ووقف بجسده
الذى يشبه البلاص •

جلسوا حوله • كلمات قليلة • وابتسم فيكتور ونادى الولد
بوللى لكى يأتى لهم بالطعام اللازم •

بوللى ولالى أبلهان ولن يعرفا شيئا عما يدور أمامهما •
لكن الخوف من باقى العاملين • فلو علموا لن يسكتوا فقد شاهدتهم
فيكتور الليلة واللييلة السابقة يخرجون بالسكاكين والهرافات بحثا
عن الضفادع البشرية الاسرائيلية فوق ساحل البحر •

قال بوللى للالى الذى يقف بجوار المقاعد المتراصة عاليا :

— أردنا ان نرتاح ونذهب للنوم • جاء اربعة زبائن يريدون
طعاما •

— ولماذا يجلسون فى مكتب فيكتور ؟

— الظاهر اغنياء • ويريد فيكتور أخذ نقودهم منهم •

— سيرسل الآن فى طلب فريدة وليلى لكى يأخذوا ما فى
جيوبهم •

وبالفعل خرج فيكتور خارج الحجرة • ونادى أحد العمال •
قال له :

— أرسل لى ليلى حالا •

كانت ليلى تجلس فوق مقعدها تدخن سيجارتها • وفريدة
تهتز للأشياء • تضحك وتغنى بدون مناسبة •

أحداث الحرب الجديدة تؤرق ليلى • عبد الناصر بعد حرب
٥٦ قلب على اليهود • وهذه المرة ستكون « قلبته » أشد
وأعتى • لن يرحمهم •

غنت ليلى فى أفراح الاسكندرية • وبعض الوقت فى كازينوهات
القاهرة • لكنها فشلت فى أن تكون مطربة فى إذاعة القاهرة • قالوا
إنها تغنى من أنفها • ونصحها أحد أعضاء لجنة الاختيار • أن
تجرى عملية إزالة لحمية من أنفها • لكنها سخرت منه • وحملت
متاعها وعادت الى الاسكندرية • وأكتفت بها •

انحنى العامل العجوز :

— الخواجة ينتظرك فى حجرته •

ضاقت ليلى بما سمعت ففيكتور لا يأتى من ورائه سوى
الهم والغم ووجع القلب • وتتوقع أن يأتى بسببه ما هو أسوأ
قالت له أن تقلل من العمل هذه الأيام حتى تمر العاصفة • لكن
الرجل رأيه مخالف • تذهب الى عيادة يوسف داود ، تتظاهر
بانتظار دورها للدخول اليه ، وتسمع الأخبار من المريضات ،
وتنقلها الى فيكتور •

سارت ليلى بعد أن رمت سيجارتها • وهرستها بحذائها
فى عصبية •

دقت باب فيكتور . ودخلت . رأت الشبان الأربعة الذين كانوا في حالة ارهاق شديد . شعر رأسهم يقف بطريقة مضحكة من تأثير الماء المالح . وعيونهم حمراء كعيون العفاريت . كانوا يأكلون في نهم كأنهم لم يأكلوا منذ شهور .

نظروا الى ليلي في توجس وهي تتابعهم في استخفاف وعدم اهتمام . قال فيكتور :

— أصدقائنا .

جلست في المقعد الوحيد الخالي في الحجرة . ماذا يقصد فيكتور . هل هؤلاء اسرائيليون ؟

لقد سمعت عن حكاية الضفادع البشرية وأكد فيكتور لها . لكنها رغم ذلك لم تصدقها . ظنتها حكاية من حكايات المصريين التي يتسلون بها .

ابتسم ايتان وقدم زملاءه . قال فيكتور :

— سنتركهم — هنا — في الكازينو . وعليك أن تخبري يوسف عما حدث .

— اذهب اليه في عيادته ؟

— لا . لن ننتظر حتى المساء . اذهب اليه في المستشفى . على أن يكونوا في عيادته بعد ظهر اليوم .

وقفت مبتسمة :

— سأنام ساعة أو ساعتين . ثم اذهب اليه .

قبل أن تفتح ليلي الباب المغلق ، قال فيكتور :

— ابعثي عن مكان في الكازينو ونامي فيه . أريد أن تخرجي من هنا على المستشفى .

أضطر محفوظ أن يغلق باب شقته خلفه ويخرج في « وش » الصباح . للبحث عن ابنته التي لم تعد منذ ليلة أمس . خرجت لتحضر اجتماع الاتحاد الاشتراكي في حي بحري .

سار على كورنيش البحر . الحراسة مشددة أمام قلعة سيدى بشر . وشباب الجامعات والمدارس برداء « الفتوة » الأزرق يجوبون المنطقة ناظرين الى البحر .

فتشوا محفوظ ، وأطلعوا على بطاقته . قالوا :

- تم القبض على ضفدعين بشريين اسرائيليين ، حاولا نسف القلعة .

أراد محفوظ أن يقول لهم انه يبحث عن ابنته الوحيدة . التي لم تعد منذ مساء أمس . لكنه قال لنفسه « خليهم في همهم » .

سار على كورنيش البحر . ماذا حدث لابنته ؟ سيكون قد قبضوا على أحمد لآرائه الغريبة عن الحرب . وقبضوا على ابنته

معه . أو قد تكون البنت ذهبت معه الى بيته لآى سبب من الأسباب ، فعليه الآن أن يصل الى بيته لو ذهب الى بيت أخته - أم إبراهيم - ستدله - فوالده شيخ الصيادين ومشهور هناك - وأكد الولد السيىء إبراهيم يعرف بيته .

استقل محفوظ تاكسيا وذهب الى بحرى . أسرع الى شقة أخته . ضرب الجرس طويلا . فلم يفتح له . فاضطر الآن يدقه بكفه فى عنف . المرأة - أخته - فى الداخل تسمع صوت الجرس . لكن السكر والضغط يعلن عليها خاصة فى المساء ، فلم تستطع الاسراع لفتح الباب - وزوجها - ليس له شأن بهذه الأشياء .

وابنها لم يتحرك . فهو يعرف أن ذلك القادم لا يخصه فى شىء . فمن سيأتيه فى وقت مثل هذا . القادم اما يقصد أمه أو أبيه . جارة من الجارات . أو ابنة من بناتها الأربعة المتزوجات . أو ربما عسكري زميل والده جاء ليتفق معه على الذهاب الى مكان يخص العمل .^١

أضأت المرأة المصباح ، فرأت محفوظ أمامها :

- محفوظ ؟ تفضل .

أسرع الى الداخل . نظر حوله حائرا :

- ماذا بك يا محفوظ ؟

حديث أخته بهذه الطريقة أوحى اليه بأن ابنته لم تأت اليهم . لكن لابد أن يذكر لها شيئا يبرر فيه سبب مجيئه فى ذلك الوقت وبهذه الطريقة :

- عواطف . عواطف .

- اجلس يا أخى لترتاح . ماذا حدث لعواطف ؟ .^١

— لم تعد الى البيت من ليلة أمس .

صاح ابراهيم الذى كان مستيقظا . وعندما وجد أن الموضوع
يهمه ويخصه ويستحق تدخله ، تدخل :

— كيف حدث هذا ؟

صاح محفوظ بلهفة عندما رأى ابراهيم :

— قد تكون فى بيت أحمد . فلنذهب اليه .

قال ابراهيم :

— ليس من رأى الذهاب الى بيت أحمد الآن . فقد تكون

غير موجودة فيه . ولا ينوبنا غير « الشوشرة » .

قالت أمه :

— ابنى عنده حق . قد لا تكون معه فى البيت .

ردد ابراهيم لنفسه . وابتسم سعيدا دون أن يلمحه احد :

« انكما لا تعلمان بما حدث له أمام قلعة سيدى بشر »

وقال :

— سأرتدى ملابسى بسرعة وأنزل معكم للبحث عنه .

* * *

دخلت ليلى مستشفى السبع بنات . أمسكت نظارتها

(نظارة الشمس) بيدها . ايشاريها الحريرى الملون حول رقبتها

ليخفى تجاعيدها التى باتت واضحة . سارت فى ردهات المستشفى

بجسدها المشدود والتى تحاول أن تشده أكثر .

تمنت أن تكون مطربة مشهورة ونجمة سينما • ألح عليها البعض أن تسافر الى اسرائيل مثل الكثيرات ممن سافرن • لكنها فضلت السفر الى القاهرة حيث المجد والشهرة والسينما • ففي اسرائيل لن تجد الفرصة التي تحلم بها • لقد تشربت وتربت على الموسيقى المصرية والغناء المصري ، الذي يربطها باسرائيل شيء واحد • هو الدين - لا أكثر - لكنهم في اذاعة القاهرة رفضوها ولم يعتمدوها مطربة •
أ

وافقت أن تغنى في كازينو فيكتور • تغنى فيه صيف شتاء • تغطي صدرها العاري دائما بشال أحمر حريري في وقت الشتاء بعد أن تنتهي نمرتها على المسرح •

لم يستطع الشال الحريري أن يمنع دخول البرد وتغلغله الى عظام الصدر • لا تدري لماذا يكره فيكتور زكى داود • لقد حدثته في ذلك كثيرا • قالت له :
أ

- انه يهودى مثلنا • ونحن الآن في الاسكندرية معدودين • وفي حاجة لمساندة بعضهم بعضا •

فيقول فيكتور في حزم وتصميم :
أ

- بل هو عدو لليهود • أنت صغيرة ولا تعرفين ما حدث •

تعرف هي حجرة يوسف • فكثيرا ما جاءته المستشفى للكشف على صدرها الذي تعب الآن • وأحيانا تأتيه تلبية لرغبات فيكتور الذي يتجسس على المصريين • ويطلب من جميع يهود الاسكندرية أن يساعده في هذا •

كان عوض يجلس أمام الباب • هي تعرف أن عوض لا يحبها • كثيرون لا يحبونها لمجرد أنها يهودية • وكثيرون لا يحبونها لأنها

مغنية في كازينو فيكتور • لكن عوض يكرهها - ربما للثنتين معا -
ولانه يخاف على طبيبه من أن تضحك عليه ليلي • فيتزوجها •
أو - على الأقل - ينفق عليها ما يكسبه في المستشفى والعيادة •
صباح الخير يا عوض •

وقف لها :

- أهلا ست ليلي •

- ممكن أدخل •

- دقائق ويخرج المريض •

جلست على مقعد مقابل • كان عدد المرضى قليلا جدا • فقد
جاءت مبكرة طبقا لأوامر فيكتور • تعمدت أن تضع ساقا فوق
أخرى • لتكشف عن لحمها • لمحت عوض يمعن النظر فيهما •

أشعلت سيجارة • ثم نادته • أسرع اليها • أعطته واحدة •
أخذها منها فرحا • فهي سيجارة غالية يفرح عوض كثيرا عندما
يدخنها • يأخذها منها ويضعها في علبة سجائره في عناية • ويتعمد
تدخينها في القهوة وسط الصيادين أصحابه • لكى يسألوه عن
نوعها ، وعن الذى أعطاها له • ويتلذذ في سحب النفس منها
متعاليا عليهم •

عندما خرج المريض ، دخلت ليلي دون استئذان •

* * *

- أهلا ليلي • مبكرة اليوم •

- فيكتور لديه رسالة من الأصدقاء •

قام من مكانه مسرعا • أغلق الباب من الداخل حتى لا يدخل

عوض فجأة • هو قلق منذ أن استعدت مصر للحرب وكلما مر يوم من أيام يونيو ازداد قلقه :

— انتظر حضورك كل ساعة • أتوقع أن تأتيني في المستشفى
أو في العيادة ، وأخشى أن تضطري أن تأتي الى البيت أيضا •

— تخاف أن ترانى آمال ابنة عمك في شقتك ؟

— ما الذى يريده الأصدقاء ؟

— أربعة من البحرية الاسرائيلية لدى فيكتور فى الكازينو •
— ضفادع بشرية ؟

تسربت الأخبار فى الاسكندرية • خاصة فى حى بحرى • عندما
أعلن عبد الله عن اكتشاف غواصة فى مياهنا الاقليمية وتأكد هذا
بعد قتل الخفير النظامى الذى كان يحرس الكراكة الصدئة •

— وماذا يريدون ؟

— الاختباء فى عيادتك لعدة أيام حتى نجد طريقة لتهريبهم •
شرد يوسف قليلا :

— الأمر ليس سهلا • العيادة مزدحم بالمرضى كل ليلة •

لم تجبه بشيء • أكمل هو وقد تذكر :

— وعوض • عوض وحده مشكلة •

وقفت ليلى ايدانا بانصرفها • قال :

— لم نتفق على التفاصيل •

— تصرف •

— أسرع ليلى • وجدت عوض فوق مقعده • سارت بضع خطوات • ثم عادت اليه • قالت :

— لماذا لم ندخن سيجارتك ؟

قال فرحا وهو يربت على المكان الذى وضعها فيه — داخل سترته :

— سأشعلها فى القهوة وسط الأصدقاء •

ضحكت • اخرجت العلبة وأعطتها له :

— أنت وحظك •

فرح عوض كثيرا • وأخذ يعد السجائر المتبقية فى العلبة • ثم وضعها فى سترته سعيدا • ممنا نفسه بجلسة هنية مع أصدقائه الصيادين فى القهوة •

* * *

عاد محفوظ الى النسقة متعبا وإبراهيم ابن أخته خلفه • قال :

— بحثنا فى كل المستشفيات وأقسام البوليس • ماذا حدث لها يا بنى ؟ !

— لا تخف يا خالى • ستعود •

أحس إبراهيم بالسعادة • رغم كل ما حدث • فأكيد تم القبض على أحمد مع الضفدعين الاسرائيليين • ومازال فى الحجز معهما • فقد يعود الاسرائيلان مع تبادل الأسرى • لكن هو لن يعود • سيتهمونه بالخيانة العظمى • سيقولون ان « الموساد » جندته أيام كان يدرس الطب فى المانيا •

حتى لو حزنت عواطف من أجله • وتغيبت عن البيت •
وباتت خارج المنزل ليلة من أجله • فسوف تعود آخر الأمر
لابراهيم •

وضع محفوظ المفتاح في « الكالون » وأداره وهو يردد :

— تعال يا ابراهيم يا بني •

عندما دخل محفوظ الشقة وجد عواطف في منتصفها ••

— عواطف ابنتي • أين كنت ؟

وصاح ابراهيم :

— بحثنا عنك في كل مكان •

صرخت :

— لو كان عندك دم ما جئت الى هنا ثانية •

صاح ابراهيم مندهشا :

— لماذا تحدثيني هكذا ؟ !

وصاح محفوظ :

مالك يا عواطف • ابن عمك كان يبحث عنك معي •

— آسفه يا أبى • ابن أختك لابد أن يخرج من الشقة الآن •

ولا أريد أن أرى وجهه ثانية •

صاح محفوظ غاضبا :

— كفى يا عواطف • ما الذى يحدث • تبيتين خارج البيت •

ثم تطردن ابن أختى أمامى • هذا كثير •

— آسفة يا أبى • ابن أختك هو الذى تسبب فى هجوم الناس على الدكتور أحمد •

— أنا يا عواطف • أم تصرفاته الخائنة ؟

صاحت بصوت حاد ناسية كل شىء :

— أرجوك • أخرج من الشقة الآن ولا تعد اليها •

— أنت خطيبتى • ومن حقى أن أحميك • وأن أعرف أين قضيت ليلتك • ؟

— أنا لن أكون لك ولو كنت الرجل الوحيد فى هذا الكون • فأرجوك •

صرخت عواطف • وحاولت أن تنشب أظافرها فى وجهه • لولا أن أمسكها والدها وهو يصيح :

— اذهب يا ابراهيم الآن • ولنا حديث آخر بعد ذلك •

تردد ابراهيم قليلا • ثم خرج حزينا •

بكت عواطف فى صدر والدها :

— تعالى يا بنتى أحك لى ما حدث •

سارت معه حتى حجرة النوم • فوجيء محفوظ بأحمد ينام فوق سريره وهو ملفوف بالأربطة • والورم والكدمات واضحة فى وجهه •

— ماذا حدث ؟

— أعطاه الطبيب حقنة لينام •

* * *

نادى يوسف على عوض الذى يجلس على مقعده خارج
حجرتة بمستشفى السبع بنات :

— أمرك يا دكتور يوسف .

— اجلس يا عوض .

أحس عوض بالقلق . فهو لا يأمره بالجلوس أمامه الا عندما
يكون فى الأمر مشكلة .

— سأحصل على اجازة أسبوع من المستشفى .

— لماذا يا دكتور . ماذا حدث ؟

— لاشيء . أحس بتعب . وفى حاجة الى الراحة .

— والعيادة ؟

— اننى اتحدث معك الآن من أجل هذا . فحتى العيادة

سأغلقها خلال هذا الأسبوع .

— اننا لم نغلق العيادة من قبل سوى يومين او ثلاثة

على الأكثر .

صاح يوسف فى عصبية :

— ظروف يا عوض . ظروف .

— دكتور يوسف . أنت تعرف أنى أحب مصلحتك ، فاسمع

لى بأن اتجاوز حدودى معك وأحدثك بصراحة .

قلق يوسف وأحس بالخوف . فقد يكون عوض قد أحس

بالعلاقة بينه وبين ميلى المغنية . وأحس أنها تنقل أخبار البلد عن

طريق جلوسها بين المرضى فى العيادة والمستشفى . وأنها رسولة

فيكتور اليه .

— ليلى المغنبة .

صاح يوسف فى خوف شديد :

— مالها ؟

— هى السبب لاشك .

— ماذا تقصد ؟

— أقصد أن هناك مشروعا بينك وبينها وأخشى أن يصل

الأمر الى الزواج . فهى ليست مناسبة لك .

أحس بارتياح وضحك قائلا :

— لا تهتم بهذه الأشياء . فأنا أدرى الناس بليلى . وهذا

لن يحدث أبدا .

ووقف يوسف لينهى المقابلة :

— هل سأذهب الى العيادة فى غيابك ؟

صاح يوسف مسرعا :

— لا . وأريد مفاتيحها الآن .

— لماذا يا دكتور . فأنا

أحس عوض بالضيق فلم يكمل . الدكتور لا يأتمنه على

العيادة . فأخرج المفاتيح حزينا وأعطاهما له .

* * *

عاد الأسطى خلف الله الحلاق من مولد سيدي ابراهيم

الدسوقى . قضى هناك سبعة ايام كاملة . استأجر حجرة وحده .

عرض عليه حلاق ممن يطوفون الموالد مله . بأن يستركا في
استئجار حجرة . ويوفرا المصاريف . . . لكن خلف الله رفض .
فلقد اعتاد رغد العيش . والده الحاج مرزوق لم يكن يبخل عليه
وعلى اخوته . .

استأجر خلف الله عنة من الخوص لقضاء عمله . كانت
قريبة من المسجد . وخرج الى الناس ببذله السوداء الكاملة
والقميص الأبيض ذى الياقة العالية والبمباخ معلق في رقبتة .
والمقص بين أصابعه .

النف الراغبون في الحلاقة حوله . وامتلات بهم العشة . رجال
من البلدة وآخرون جاءوا يتبركون بالحلاقة بجانب سيدي
ابراهيم الدسوقي . وأمهات وأباء يمسون بأولادهم الصغار .
جاءوا لهم وفاء للندر الذى قطعوه على أنفسهم . بأن تكون أول
حلاقة لشعرهم في سيدي ابراهيم .

كان خلف الله ممبزا بقامته المديدة وبذله السوداء وأنافذه
الواضحة . الشكل عليه عمل . باقى الحلاقين يرتدون اية
ملابس : قفاطين وقمصان ، وجاكيت قديمة صفراء . وأشياء أخرى
غريبة وعجيبة .

يسأل خلف الله أهل الولد الذى يحلق شعر رأسه :

— طاهرتهم ؟

— ممكن تطاهره .

وانفق معهم على الحلاقة والطهارة معا . فليأت محمد سماحة
ويرى الزبائن وهم يتزاحمون ويتصايحون . يريدون أن يحلق
أولادهم قبل غيرهم . ليعرف سماحة أنه ليس وحده الذى يتكالب
الناس عليه .

عندما يفرغ خلف الله من العمل • ويضع جانبه على الفراش
الخسّن داخل حجرتة ، يحس بالتعب الشديد والآلام في ساقيه
من طول الوقفة • فيردد دون أن يحس « منك الله يا محمد
يا سماحة ، أخذت زبائن الدكان وتركتنى دون شىء » •

خلف الله عنده زوجة جميلة • وأولاد يلعبون في الشارع
مع باقى أطفال الحارة • ويريدون طعاما وكساء • لذلك يقفل
دكانه ويرحل من مولد لآخر • « ينصب » عدته ويعرف مهارته
ويصطاد زبائنه بقامته المديدة وبذلتة السوداء والبمباخ المعلق
في الرقبة •

عاد خلف الله محملا بالهدايا للزوجة وللأولاد • ايشارب
لزوجته وقلادة جميلة كانوا يبيعونها في المولد اشتراها لها واحس
أن رقبتها الطويلة الجميلة تستحقها • وحلوى من كل صنف ونوع
لها وللأولاد •

دخل خلف الله الشقة • المغلقة من كل جانب • زوجته
أمامه بقامتها الرشيقة • وجسدها المشقوق • ووجهها المسحوب
الرفيع • وشعرها الشديد السواد • الذى ينسدل على الظهر •
ولده على ساقه • والابنة على الساق الأخرى ، قبلهما • وهزهما
فرحا • لولا الشديد القوى ما برح حى بحرى • لولا أن محمد
سماحة أخذ الزبائن وتركه بلا زبائن • ما ترك زوجته هذه
الجميلة وأولاده •

أعطى الهدايا لها • وفض لفائف الحلوى •

— كلوا ، اشبعوا •

احس أن فى زوجته شيئا غريبا • كانت مرتبكة • وشاردة

ومتلعثمة • ماذا حدث لك يا امرأة • لقد كنت تتحدثين بألف لسان • فماذا جرى لك ؟ !

النافذة مغلقة كما هي • والشرفة مغلقة أيضا • والمرأة أقسمت على المصحف بانها لن تطل من نافذة أو شرفة ولن يراها صنف رجل كان • وهي تريد أن تعيش وتبقى مع أولادها الذين تحبهم •

خرج خلف الله الى شارع السيالة • سار فرحا • الرزق في سيدي ابراهيم كان وفيرا •

اقترب من قهوة عبد الزردوني ، الناس تتحدث همسا قبل أن يصل اليهم • وعندما يصل يتسمون ويتحدثون ويقسمون بانهم أحسوا بوحشة لفراقه ولغيبته عنهم • شيء غريب لم يعتده في حديثهم معه • تركهم وسار •

أصحاب المحلات - جيرانه - يتسمون له يتابعونه •

اقترب من أرض المدفن القديم القريب من دكانه • أكثر من أسبوع لم يفتحه • وقفت حافظة عندما رآته • ضحكت وصاحت :

- حمدا لله على السلامة يا ابن الحاج مرزوق •

- أهلا حافظة •

أخرج جنيها من سترته ومدّه لها :

- خذي يا حافظة •

لم تمد يدها ، تابعت وجهه وصاحت :

- زوجتك الجميلة كشفت وجهها لرجال الحي ، فتحت

الشبابيك والبلكونات • وسارت في الشارع سافرة •

صاح غاضبا :

— نكذبين يا حافظة .

ترك الجنيه . فوقع على الأرض وأسرع الى البيت . لقد فهم
خلف الله الآن سر نظرات الناس الغريبة عليه . وهمسانهم
لقد لطخت سمعته وأصابته بالعار .

دخل الشقة . كانت زوجته تغير ملابس ابنها . أغلق باب
الشقة خلفه وصاح :

— رآكى رجال بحرى ؟

— من أخبرك ؟

— سرت فى الشارع كاشفة عن وجهك ؟

— وما فى هذا يا خلف كل النساء تمشى هكذا .

— لا أريد أن يراك رجل غبرى .

لم يضربها . أسرع الى الشارع . وسار فى الطريق نفسه .
لم يغير عاداته حبا من حباه ، وابتسم لمن رآه . . . وتحدث معه وفتح
باب دكانه العتيق .

اعتاد بعض الزبائن الحلاقة عنده . ولم يستطيعوا تغييره .
جاءوا اليه . سألوا عنه فى غيابه . وانتظروا عودته حلق
خلف الله لهم . كان عاديا . حكى لهم ما لاقاه فى رحلته الى
دسوق .

أرسلت زوجته ابنها الكبير الى عمته . زوج الحاج محمد
سماحة . قال لها :

— تعال • أبى يريد أن يطلق أمى •

سياسة سماحة مع خلف الله — شقيق زوجته — هي
« الاختصار » • « أبعد ده عن ده ، يرتاح ده من ده » لذا هو
لا يتدخل بينه وبين أهل بيته • بل لا يتدخل بينه وبين أى انسان
آخر فى الحى • فهو يعرف أن خلف الله لا يحبه • وأن مشكلته
الأولى فى حياته هي « محمد سماحة » الذى تربى معه فى الدكان ،
فتفوق عليه وأخذ زبائن والده ورحل بهم وافتتح دكانه فى شارع
راس التين •

— يا حاج تكسب ثواب • الرجل سيخرب بيته بيديه •

— وافق سماحة أخيرا •

انتظر حتى عاد خلف الله من دكانه فى المساء • وذهب اليه مع
الحاج الدسوقي وعوض وبعض رجال الحى كانت الزوجة تغطي
وجهها بغطاء حتى لا يرى الرجال الأغراب وجهها ، فيكفيها
ما حدث من خلف الله •

خرج خلف الله اليهم بقفطانه ومسبحته • قال سماحة :

— تريد أن تطلق زوجتك وأم أولادك ؟

— هذا شأنى وحدى يا محمد يا سماحة •

صاح سماحة غاضبا :

— ليس من شأنك وحدك • فالطلاق ليس سهلا • كما

أن الأمر أولاد بينكما ليس لهم ذنب •

صاح الدسوقي :

— وحد الله يا أسطى خلف • وحد الله •

— لا اله الا الله • لكن الطلاق لا بد منه •

بكت المرأة • لم يروا وجهها ولا دموعها • سمعوا صوت
نحيبها • وبكى الأولاد جميعا •

قال عوض :

— من أجل الأولاد سامحها هذه المرة ولن تكررهما ثانية •

قال خلف الله :

— يا تتطلق يا تحلق •

قال سماحة غاضبا وقد فهم مقصده :

— لكن هذا ظلم يا خلف الله •

لم يلتفت اليه وأسرع اليها وهي قابضة في ركن الحجرة •
غطاؤها الذي يلفها من شعرها حتى قدميها يكشف عن مدى جمالها
ورشاقة جسدها • قال بلهجة أهل بحرى القدامى :

— تتطلجي والا تحلجي •

بكت • وعلا نحيبها ونحيب الأولاد • قال خلف الله في
عناد وتكبر :

— ليس هناك فصال • يا تتطلج يا تحلج •

قال الحاج الدسوقي :

— السلام عليكم • انا لا أشهد مجلسا فيه ظلم أبدا •

وخرج صوتها مخنوقا ضعيفا وهي تضم اولادها نحوها :

— احلق يا خلف الله •

خرج سماحة وباقي الرجال غاضبين ، لاعنين •

وأغلق هو الحجرة على الأولاد • وكشف عن رأسها • كانت
جالسة كما هي تبكى في صمت • قص الشعر بالمقص ثم بماكينه
الحلاق أزال الباقي •

عاد الصول عبد الله الى السيالة . عدة ايام لم يمر فيها
من امام قهوة عبده الزردوني - كالعادة - حيث يتجمع الصيادون .
فيما زحهم ويمازحونه . انتهت الحرب وانتصرت اسرائيل انتصارا
لم يخطر على بالهم كان عبد الله مهموما . يمسك حقيبة مليئة
بالملابس المتسخة . سيتركها في الحمام الى ان تأتي الغسالة
لتغسلها .

اقترب من القهوة - ليس لديه الرغبة في ان يرفع يده ويحيى
الناس .

الشمس مشرقة . رغم ذلك يحس أنها لا تضيء المكان كما
يجب . هناك سحابة قاتمة تخيم فوق الشوارع . سيكون
غريب . لا نسمة . لا هواء . ولا حركة . اندهش عبد الله .
فالناس باقون ، يعيشون ويتنفسون . رغم ان الشوارع بلا هواء .
كيف استطاعوا الخروج من قانون الطبيعة . ليعيشوا بلا هواء .
« ما اتعس موت الأشياء » .

وقّف عبده الزردونى - صاحب القهوة • صاح :

- اتفضل يا صول عبد الله •

وقف الجميع • انهم ينتظرونه منذ أيام • منذ أن تضاربت الأقوال ، وتاهت كل الحقائق • صحف مصر واذاعاتها تقول أشياء • واذاعات العالم المختلفة تقول أشياء أخرى • مغايرة ومختلفة ومتناقضة •

جاء ابراهيم فهميم الى القهوة بالأمس • واجتمع رواد القهوة حوله • فهو أكيد لديه حل لبعض الألغاز • فهو متعلم - مننسب لكلية التجارة وفي البكالوريوس هذا العام - وفوق هذا وذاك (وهذا هو الأهم) : أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي المساعد عن دائرة الجمرك ، وقريب - لاشك - من المسئولين الذين يعرفون كل شىء • سأله الصيادون • قال أشياء سخيفة ، ثقيلة ، مريرة قواتنا انسحبت الى الضفة الغربية لقناة السويس • معنى هذا أن اسرائيل احتلت سيناء كلها • قال أشياء كثيرة • كان يقولها شماتة • يعاتب عبد الناصر « مادمتم مش قد الناس دى ، بتقف قدامهم ليه » •

وقف عوض وأراد أن يضربه • والولد حسن قال له « انت تستحق الاعدام فى ميدان عام » • فغضب ابراهيم وترك المكان لاعنا مبابا • قال « اسرائيل سوف تسبى نساءكم • وتفعل كذا وكذا » • قال كلمات بذیئة لا يصح أن تقال • أراد الصيادون أن يفتكوا به • لكن عبده الزردونى منعهم • قال لهم :

د لسنا فى حالة تسمع لنا بالشجار •

ثم وضع يده على كنفه وسار به بعيدا • ثم دفعه فى عنف وغيظ قائلا :

ـ من الآن لا تريننا وجهك الكئيب ؛

الولد حسن منذ أن أخبر عن وجود الضفادع البشرية
الاسرائيلية في قلعة قايتباي وهو يحس أنه كبر وأصبح مهما
ومستؤلا . يتحدث في السياسة ، عن اليهود وفلسطين . ويقول
انه سيكون ضابطا ليحارب اسرائيل عندما يكبر .

الكل كان ينتظر الصول عبد الله . كل الوقت يتساءلون
« لم يأت للآن » ؟

فهو يعمل في سفينة حربية . ومشارك في الحرب ويعرف
نتائجها . كما أنه ليس مجرد صول عادى . فهو يقرأ الكتب
والجرائد والمجلات . وينشر قصائده فيها .

اقترب عبد الله رغما عنه منهم . لو كان يعلم بما سيحدث
لكان ذهب الى بيته من طريق آخر بعيدا عن القهوة .

ـ قل لنا يا عبد الله يا اخى . بل ريقنا الذى جف .

ـ كل خير يا اخوة كل خير .

ـ وما يقوله ابراهيم فهميم ؟

ـ ابراهيم فهميم مجرد مساعد معمل في شركة .

كان المدياع يذيع أغاني وطنية حزينة تحت المواطنين على
حب الوطن والتمسك به . بلدى أحبتك يا بلدى لمحمد فوزى .
أغنية جميلة لماذا لم يذيعوها بكثرة من قبل ؟ آكان لابد من
وجود هزيمة وأزمة لتذاع ؟

ودعاء الشرق والكرنك لمحمد عبد الوهاب . ورددت أم كلثوم
في أسى :

انا لو قدر الاله مماتى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

شد عبده الزردوني مقعدا • وأقسم ان يجلس عبد الله ليشرب
قهوته • وان امراته ستكون طالقة لو لم يطيع ويجلس • وأن هذه
القهوة على حسابه هو •

وجلس عبد الله مضطرا • الحدث جلل والخوض فيه يعذبه ،
يضنيه • وصياد يأتي من آخر القهوة ، كان يحمل كوب شايه
الذي يتصاعد البخار منه • قال :

— ما حكاية السفينة الأمريكية التي أغرقها اسرائيل •

— آه • ليبرتي •

يضيق عبد الله بذلك الصياد • والزردوني لا يعجبه الكلام
« مالنا ومال أمريكا واسرائيل » • صاح :

— خلونا في بلادنا •

— مازال الجيش موجودا يا معلم • وهذه معركة في حرب
مستمرة بيننا •

صاح آخر :

— ألم اقل لك يا معلم ان قواتنا ما زالت تحارب في سيناء •

أراد عبد الله أن يسأل هذا عن مصادره • وعن اخباره
الجديدة عليه والعجيبة • من اين استقاها ؟ وأكمل الرجل :

— كل اللواءات استجابت لنداء الانسحاب • الا اللواء
الشاذلي • لقد واصل تقدمه بجنوده وضباطه • وأسر لواء اسرائيلي
بأكمله وقيد أياديهم بالحديد والحبال •

قال عبد الله مضطرا :

— يا سلام ؟

— نعم • وسيعرضون الأسرى في محطة مصر يوم الجمعة القادم بعد صلاة الظهر •

قال عبد الله مندهشا :

— محطة مصر في الاسكندرية أم القاهرة ؟

— الاسكندرية يا حضرة الصول •

أراد عبد الله أن يسأل « ولماذا لا يعرضونهم في القاهرة فهي أولى » • العاصمة أحق بالعرض • لكنه صمت وظل يتابع الرجل الواصل من معلوماته • وقد أمسك كوب شايه الساخن ودخل القهوة • والناس ملتفون حوله • وهو مازال يحكى ويذكر تفاصيل التفاصيل •

وقال آخر ظل صامنا طوال الوقت رغم أنه يجلس قريبا جدا من عبد الله :

— يقولون ان موسى ديان سيضرب كل مدن مصر • فيما عدا الاسكندرية •

وصاح عبد الله :

— اسرائيل قالت هذا ؟

— نعم قالت • لان الاسكندرية غالية على ديان ويعزها دون مدن مصر كلها •

وصاح الزردوني مندهشا :

— ولماذا الاسكندرية بالذات ؟

— لأنه سكندري • ولد في حارة اليهود •

قال عبد الله :

— ديان سكندري ومن حارة اليهود أيضا ؟

— نعم • وأهله ما زالوا يعيشون فيها الآن • ويأتون الى
في حلقة السمك يشترون منى ويحدثوننى عنه دائما •

بكى عبد الله عندما علم بما حدث • وعندما تتبع الموقف في
الفرقاطة ~~هذه~~ وجد الحزن قد خيم على الجميع وكل فرد عبر عن
حزنه بطريقته • البعض أصيب بحالة هياج وصراخ • وافتحموا
كابينة الكومندان وطالبوه بالهجوم على ميناء حيفا وضربه بكل
ما لدينا من أسلحة • لو كانوا تفوقوا علينا في الطيران • فنحن
اقوى منهم في البحرية •

قال الكومندان :

— ليست لدى أوامر بالهجوم • كما ان الأمر ليس سهلا •
لابد من التنسيق مع الأسلحة الأخرى •

وأصيب البعض بحالات اسهال ومغص وصداع • وتغير
الوضع في اليوم التالي ، الكل كان يعمل بهمة ونشاط والعمل الذى
يحتاج لفرد واحد يجرى اليه عشرة يريدون انجازه عن طيب
خاطر •

كان الكومندان احسن المختار حزيننا لأنه لم يفرق الفواصة
التي هاجمتنا وارسلت اليها طوربيداتها • وردد في أسى ، لو لم
تتعنت تركيا • لكننا عدنا من الاتحاد السوفيتى بالصواريخ المضادة
للفواصات • وكنا أغرقناها بسهولة •

قال شاب كان يجلس خارج القهوة هو وبعض زملائه صغار السن مثله :

- ديان سيضرب كل الكبارى فى الاسكندرية فيما عدا الكوبرى ابو عين واحدة .

قال آخر :

- لماذا ؟

- لأنه أعور مثله .

قام عبد الله . الوضع زاد عن حده . وهو أراد أن يهرب من جو القتامة فى السفينة . أراد أن ينغمس فى أشياء تلهيه وتبعده عن الحقيقة المرة . أن يزور كازينو اليهودى . يشرب ويداعب النساء هناك . يشاهد ليلي وهى تغنى وتغمز له بعينها من بعيد . وفريدة وهى تتمايل بل وتكشف عن جسدها فى خلعة .

لكن صابرين سنغضب لو علمت . المفروض أن تقدر . الا تحس بما حدث للبلد ؟ ! هو فى أشد الحاجة الى غيبوبة تبعده عن القتامة التى تدمى قلبه وتعذبه .

مر امام دكان خلفه الله الحلاق . الرجل يقف خارج الدكان بقامته المديدة مرتديا بنطلون بدلتة والقميص المقلّم بخطوط زرقاء . والكرافطة معلقة فى الرقبة . جاكيت البدلة معلق فوق المشجب فى الداخل . عندما رأى عبد الله صاح :

- أهلا بك يا صول عبد الله . تعال .

اضطر أن يذهب ليصافحه :

- ايه أخبار الحرب ؟

— كل خير .

— حقيقة حكاية الصين الشعبية ؟

اقترب عبد الله ليعرف حكاية الصين الشعبية .

— ارسلت الصين الشعبية الفين طائرة صغيرة جدا . بداخل كل طائرة صيني صغير . هؤلاء سيهجمون على اسرائيل وسيغيرون الموقف لصالحنا .

قال عبد الله :

— من بلك باب السماء يا أسطى خلف الله . بعد اذنك لأنى متعب جدا .

سار . تابع حافظة التى تجلس خارج كوخها فى أرض المدفن القديم . عندما رآته ضحكت باستخفاف قالت كلمات كثيرة غير واضحة . وبصوت خافت . لم يتبين منها سوى كلمة الحرب .

باب الفيلا الخارجى مغلق . والحديقة مهمة . لم يهتم بها أحد فى غيابه . دخل باب الفيلا . سيرتاح ويتخلص من ملابسه المتسخة . ويستحم ويخرج الى كازينو اليهودى .

* * *

ما أن خرج عبد الله من الحمام الا وسمع صوت جرس الباب الخارجى :

— من الذى علم بعودتى ؟

ربما الفسالة جاءت من اجل الفسيل . ياه . لو كانت هى ستحل مشكلة . ملابسه المتسخة كثيرة جدا . أو ربما أحد

الصيادين أراد أن يتأكد من حقيقة الموقف في الحرب والسياسة
فجاء الى بيته ليسأله بعد أن علم بعودته من رواد قهوة الزردوني .

فتح الباب فرأى العجب . صابرين امامه بوجهها الرائق
الجميل . انها اول مرة تأتي الى هنا .

— اننى غير مصدق .

— سمعت احد الصيادين يخبر أبى بعودتك . فجئت لاطمئن
عليك .

سبحان الله ، لقد تغيرت صابرين كثيرا . تظهر الآن عن حبها
له بكل شجاعة ودون خوف من أحد .

— اننى سعيد لأنك شرفنى الفيلا . تفضلى .

وسارت هى وهو خلفها . ظلت تنظر الى الأسقف العالية
جدا . والجدران المطعمة بالتماثيل الجميلة الصغيرة .

— ها هى الفيلا التى ستكون عش حبنا الجميل .

لابد أن تسرع صابرين وتخبره بسبب حضورها حتى
لا يسيء بها الظنون . ويظنها جاءت من أجل قضاء وقت ممتع .
وانها مثلها مثل لبلى وفريدة اللتين تعملان لدى فيكتور
اليهودى .

— أخى أحمد لم يعد الى البيت منذ عدة أيام .

— كيف ؟

— الموضوع خطير . وسأحكى لك ما حدث .

حكى صابرين . منذ أن أبدى أحمد رأيه بصراحة في
الاجتماع .

— وما الذى يخيفك عليه ؟

— أخشى أن يكون قد قبض عليه لتجروءه على الجيش بهذه
الكيفية .

— لكن ما قاله أحمد . ثبت صدقه . وما توقعه حدث .

— الكل قال ان احمد لم يكن مجنوننا . وما قاه حدث .

— سأخرج للبحث عنه .



لم تقل صابرين لوالدها عن ذهابها الى فيلا عبد الله .
سمعت أحد الصيادين يحكى للحاج عن الحرب وما يقوله عبد الله
في قهوة الزردونى . كان الحاج الدسوقي مستلقيا فوق الفراش ،
الرجل ما عاد قادرا على السير . يذهب الى دورة المياه بصعوبة
وبمساعدة ابنته .

منذ ان ذهب أحمد مع عواطف — الاخصائية الاجتماعية —
قبل الحرب بيوم واحد وهو غائب . لم يعد الى البيت . الرجل
يخاف عليه . قد يكونوا تعقبوه بعد أن سمعوا اعتراضه في
الاجتماع . واخذوه من عواطف أو ربما أخذوها معه . ذلك هو
الاحتمال الأكبر . وان كانت هناك احتمالات أخرى . كأن يكون
قد ترك مصر كلها وعاد من حيث جاء . بعد ما لاقى من المجتمعين
في السراىق .

وجاءت اخبار الحرب العجيبة هذه لتزيد حالة الحاج
الدسوقي سوءا . هو الآن غير راغب فى الحياة . أصابته آلام
البطن . وعندما يدخل دورة المياه ينزف دما كأنه امرأة تحيض .

فكرت صابرين • لم تجد سوى عبد الله تلجأ اليه • هي
لم تجتز منطقة المدفن القديم ولا مرة واحدة • كانت تخشى
العفاريت • الآن — هي تجتازه وتسير فيه بسرعة • هل سبب
عدم خوفها تفكيرها في أخيها الغائب وأبيها المريض • أو لأنها
تريد مقابلة عبد الله • وأن تصل ما انقطع من علاقتهما معا •

أغلق عبد الله باب الفيلا وسار معها •

تابعت حافظة المشهد في دهشة • ما الذي جاء بابنة شيخ
الصيادين الى هذه الفيلا • هل أصبحت مثل النسوة اللاتي
يأتين اليه ؟ !

وعندما اجتاز عبد الله وصابرين المنطقة • قامت حافظة
مسرعة وامسكت بنصف قالب طوب ورمته ناحيتهما • لكن نصف
القالب لم يصيبهما • حافظة تعرف أنه لن يصيبهما ، وتعمدت أن
ترمي به بعد أن ابتعدا • لكن فعلت هذا لتعبر عن غضبها
مما يحدث •

كان عبد الله سعيدا • لأن صابرين جاءت اليه • هو لم
يلمسها • لا يدري — حتى — ان كان قد صافحها أم لا ، لكنه فرح
وسعد بها • الموقف صعب أخوها أحمد غائب ولا يعرفون مكانه •
والحرب جعلتنا نحس بمزاةة الهزيمة والانكسار • واسرائيل
لا تكف عن استفزازنا • « محاولة اذلالنا » •

كان ينوى ان يذهب الى نسوة كازينو اليهودي • لم يفكر
ان كان سيقدر على التعامل معهن في مثل هذه أم لا • يا للفضيحة •
أمن الممكن ان يرفع عن طرفه فاذا به عينا • وعاجزا عن التعامل
مع النساء • الحمد لله ان جاءت صابرين لكي تحمي من ذلك
الاحساس •

كان الحاج الدسوقي مازال في فراشه يئن من ألم مقعدته .
الرجل لا يذكر أنه قد أصيب بالبواسير من قبل . فلماذا هذا
النزيف الصعب . والحاج سماحة يجلس أمامه . كان يذيق بعض
الأعشاب في اناء المونيوم لكى يصنع منها دهانا ، يضعه فوق مكان
النزيف .

صافح عبد الله الرجال الموجودين . وقبل الحاج سماحة !
وانحنى ليقبل الحاج الدسوقي . قال الحاج :

— اخوك احمد اختفى يا عبد الله . ولا اعرف طريقه .

قال سماحة :

— يا دسوقي كن في نفسك الآن . والدكتور احمد أكيد
في امان .

— وجعى سببه غياب ابنى يا حاج . هذا هو الى .

قال عبد الله :

— لا تخف من شىء . سنجده الليلة باذن الله .

— كيف يا عبد الله يا بنى؟

— ساصل الى مكان الاخصائية الاجتماعية التى كانت معه .

— ربنا يوفقك يا بنى .

يعود عوض من مستشفى السبع بنات الى بيته في السيادة .
يدى باب الشقة الوحيدة في الدور الأرضي تفتح الباب امرأة شابة
بيضاء جميلة ، ترتدى الملابس السوداء . هي زوجة أخيه الذي
مات في نوة من النوات وترك لها الولد الوحيد حسن .

عوض يزور زوجة أخيه كل يوم . يسألها عما تريد . وإذا
ما وجد معه نقودا زائدة . أو أعطاه أحد في المستشفى أو الدكتور
يوسف شيئا . يمر عليها قبل أن يصعد الى شقته في الدور العلوى
ويعطيها منها .

زوجته تغار منها ، وتتهمه - عندما يفيض بها الغضب ، بأنه
يريد أن يتزوجها ، يضربها عوض ويسبها - أحيانا - يقول لها
أن حسن هذا أمانة في رقبته . فتزد زوجته في عناد رغم ضربه لها :

- واه أيضا أمانة في رقبتك .

وجود أرملة - مثل زوجة أخيه - جميلة وشابة . في بيت

ملء بالزوجات الاقل منها جمالا - يمثل مشكلة لا حل لها سوى
أن تذهب هذه الأرملة بعيدا أو تتزوج .

كل امرأة في البيت تخاف على زوجها من أن تأخذه هذه
الأرملة الصغيرة الحسناء .

من يسمع هذا يظن ان الأرملة تفعل شيئا للفت نظر الأزواج .
لا والله . المرأة حزينة على زوجها الذي مات في عز شبابه .
والحزن جعلها منكسرة وزاهدة حتى في أكلها وأنوثتها . وهي
بطبيعتها من النوع الذي لا يضع المساحيق على وجهه . ولا تبالغ
في زينتها ، جمالها يكفيها ويغنيها .

عوض لديه وقت فراغ هذه الأيام . فقدم ذهابه الى عيادة
الدكتور يوسف في شارع التتويج يجعله قلقا وعصبيا الوقت طويل
جدا . يدخلن سبائره في شراهة . يتذكر سبائره ليلي المستوردة .
السيجارة الواحدة بمقام خمسة من سبائره التي اعتادها . لقد
ذهبت ليلي . لن يراها طوال اجازة الدكتور ، وربما أكثر - فهي
لا تأتي الى العيادة كل يوم .

يقوم عوض بالبحث عن شيء يفعله . يطلب الشاكوش
والمسامير ويدق . يصلح الكرسي المخلع . والمائدة المكسورة
ساقها . ويضطر الى الذهاب لقهوة عبده الزردوني القريبة من
بيته . أيام عمله في العيادة كان يجلس في قهوة تحت العيادة
مباشرة . يطلب عوض شيشة وقهوة زيادة ويجلس في الخارج
يتابع المارة . يتسسم لمزاح الصيادين مع بعض . جاءه الولد
حسن هامسا :

- عمى . عمى . رأيت الدكتور يوسف خارجا من العيادة
منذ لحظات .

ت دكتور يوسف مسافر يا حسن • لقد خانتك عيناك
هذه المرة •

— اننى واثق مما أقوله يا عمى • رايته ورآنى جيدا • تردد
قليلا • كان يريد ان يقول لى شيئا • ثم غير رايه وواصل
مسيره •

أخذ عوض يسحب النفس من الشيشة وهو شارد •
الولد — أكيد — رأى انسانا آخر غير الدكتور يوسف •

امسك كوب القهوة وهو يحب شرب القهوة فى الكوب — ويفضـب
اذا ما جاءه بها الساقى فى فتجان •

من الممكن ان يكون حديث حسن صحيحا • فهو يعرف يوسف
منذ وقت طويل • ويستطيع ان يخرجـه من بين ألف • كما ان
تصرفات يوسف مع عوض (بشأن الاجازة) كان غريبا ، ويشير
الشبهة والارتياب •

رمى عوض مبسم الشيشة وقام :

— اين متذهب يا عمى ؟

— اجلس مكانك • صاعود بعد قليل •

يعرف عبد الله ابراهيم فهيم منذ ان كانا تلميذين فى مدرسة
الحجارى الابتدائية • ولم يكن يرتاح لآرائه التى أفسدتـها حالة
الفقر والفساد المسيطرة عليه •

وعندما علم أنه قريب لعواطف التى اختفت مع أحمد
الدسوقي • قال لصابرين :

— انه سيصل الى بيت عواطف من خلال ابراهيم فهم .
فهو يعرف بيته .

أصرت صابرين أن تذهب معه . وأراد العديد من الصيادين
الذهاب معه . لكن عبد الله أصر على الرفض الأمر ليس في حاجة
الى الكثرة .

لكن عندما أعلن الحاج سماحة عن رغبته في الذهاب معهما .
لم يستطع عبد الله أن يرفض أو يعترض .

سار الثلاثة في طريقهم الى بيت ابراهيم فهم . قال الحاج
سماحة :

— ألم يحن الوقت يا عبد الله لأن نحرر الولدين » بوللى
ولالى « من عبودية اليهودى فيكتور ؟

— انهما يعملان لديه بالأجرة يا حاج . وليسا عبيدين عنده .

— لا تنس انه يهودى . والولدان — للآن — لم يتم ختانهما
طبقا للشريعة الاسلامية .

— اتريد أن تفعل هذا معهما ، وهما في هذا السن ؟

— ذلك شرع الله .

احست صابرين بالضيق من حديث الحاج . فالأمر الأهم
الآن هو اخوها الغائب والذي لا يعرفون طريقه .

وقف الحاج بعيدا عن باب الشقة وصابرين معه . بينما
دق عبد الله جرس الباب وظل قريبا منه . فتحت أم ابراهيم
الباب . صاحت :

— من يريد الأستاذ ؟

لَمْ تَغْنَى اِبْرَاهِيمُ ابْنَهَا بِكَلِمَةِ « الْأُسْتَاذ » فَصَنَدَ اِنْ التَّحَقُّ
بِكَلِمَةِ التَّجَارَةِ . صَارَ اسْمُهُ عِنْدَهَا « الْأُسْتَاذ » . وَكُلُّ سَكَّانِ
الْعِمَارَةِ ، وَالَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهَا مِنَ الشَّارِعِ وَالْحَوَارَى الْمُجَاوِرَةِ -
يَنَادُونَهَا - « يَا الْأُسْتَاذ » سَخَرِيَّةٌ مِنْهَا .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

- قَوْلِي لَهُ عَبْدُ اللَّهِ .

وَصَعِدَ الْحَاجُّ مُحَمَّدٌ سَمَاحَةَ الدَّرَجَاتِ الثَّلَاثِ . فَرَأَاهُ ،
صَاحِبَتِ الْمَرَاةَ فِي دَهْشَةٍ :

- اَتَفْضِلُ يَا حَاجُّ . اَتَفْضِلُ :

الْحَاجُّ سَمَاحَةَ مَعْرُوفٍ فِي الْحَى . وَالْكُلُّ يَحْسَبُ لَهُ الْفِ
حِسَابٌ .

- يَا أُسْتَاذَ اِبْرَاهِيمَ . الْحَاجُّ سَمَاحَةَ يَرِيدُكَ .

كُلُّ يَوْمٍ تَزْدَادُ قِيَمَةَ ابْنَهَا . مِنْذَ أَيَّامِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الدَّكْتُورُ
يُوسُفُ دَاوُدَ . وَهِيَ هِيَ يَأْتِيهِ الْحَاجُّ سَمَاحَةَ حَتَّى بَيْتِهِ .

جَاءَ اِبْرَاهِيمُ يَجْرِي . عِنْدَمَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ صَنَافِحَهُ فِي كِبَرِيَاءٍ .
فَعَبِدَ اللَّهَ - وَغَمَّ أَسْرَتَهُ ذَاتَ الْأَصْلِ الْغَرِيقِ - لَمْ يَكْتَلِ تَعْلِيمَهُ
وَتَطَوُّعَ فِي الْأَسْطُولِ بِالثَّانَوِيَّةِ . لَكِنْ عِنْدَمَا رَأَى الْحَاجُّ سَمَاحَةَ
أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَضَمَّهُ لَصْبَدْرِهِ فِي حَرَكَةٍ تَمَثِيلِيَّةٍ . فَالْحَاجُّ يَسْتَطِيعُ
اِنْ يَنْفَعُهُ إِذَا مَا خَاضَ الْاِتِّخَاذَاتِ . فَهُوَ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى أَهْلِ الْحَى .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَدْ لَاحِظَ تَجَاهُلَ اِبْرَاهِيمَ لَهُ :

- الْأَمْرُ بِسَيْطٍ . نَرِيدُ مَعْرِفَةَ عُنْوَانِ عَوَاطِفِ مَحْفُوظِ
الْاِخْصَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ .

فهم ابراهيم ما يريدون :

— من أجل أحمد الدسوقي • اليس كذلك ؟

— نعم •

— أحمد مريض • وموجود في شقة خالي محفوظ — والد
عواطف •

صاحت صابرين قلقة وخائفة على أخيها :

— مريض • ماذا حدث له ؟ !

أراد ابراهيم أن يذهب معهم • حتى لكى يعيد العلاقة بينه
وبين ابنة خاله • فربما تغفو عنه وتعيد الماء الى مجاريها وتتزوج •
لكنه أحس بأن الأمر سيزداد صعوبة في وجود اقارب أحمد هذا •
فاكتفى بأن أعطاهم العنوان •



عندما وصل عوض الى العيادة وجدها مغلقة • تأكد له ما ظنه
في الولد حسن ابن أخيه • الولد رأى شبيها للدكتور يوسف
لا أكثر • لكن قبل أن ينزل درجة من درجات السلم أحس
بحركة داخل العيادة • فعاد مسرعا • القفل الكبير مازال على
الباب • فكيف دخل الذى يحدث الحركة فى الداخل • الأمر غريب
ومريب •

عاد عوض الى الباب ثانية • أصاخ السمع • فتأكد له وجود
أصوات احتكاك أحذية • وأصوات حديث غبر واضح • كاد عوض
يدق الباب بيديه ليسمع الكلام بصوت مرتفع • يسمع ردا منهم •
لكنه عاد فى آخر لحظة • فمادام القفل على الباب • فأكيد الأمر
فيه سر •

دُخل عوض القهوة أسفل العيادة • سأل القهوجى :

— الدكتور يوسف يأتى الى العيادة ؟

— لقد خرج من باب العمارة منذ ساعة تقريبا •

لم يبد عوض دهشته أمام القهوجى • تماسك وتظاهر انه يعرف كل شيء ، وسار •

الدكتور يخفى شيئا غير عادى داخل العيادة • قد تكون ليلي المغنية • لكنه لماذا يخفيها هكذا ؟ ليلي عالمة • وليس وراءها من يسأل عنها • ولو أراد الارتباط بها عاطفيا أو جسديا حتى • لن يسأل أحد • لا الأمر أكثر من هذا وأهم • ماذا ؟ ايكون يوسف على علاقة بامرأة من الحى ويخفيها داخل الشقة الآن ؟

عاد عوض ثانية الى شارع السيالة • وقهوة عبده الزردونى والولد حسن الذى ينتظره • قال حسن :

— ذهبت يا عمى الى العيادة لتتأكد ؟

الولد لم يتجاوز العاشرة • لكنه يتصرف كرجل • ويفهم الأشياء بسهولة وبسرعة •

— وجدت القفل على الباب •

كان أحمد قد استرد صحته • زالت الكدمات من فوق وجهه • ولم يعد يحس بالآلام فى جسده • قال الحاج سماحة :

— أنت مخطيء يا أحمد يابنى • من الممكن أن تطمئن والدك واختك بالتليفون •

— آسف يا عمى • حالتى لم تكن تسمح بعمل أى شيء •

قالت عواطف :

— غضب منى عندما اردت أن ازورهم فى البيت وأخبرهم
بذلك •

قال عبد الله :

— جئت لكى آخذك معى • ماذا ترى ؟

— بالطبع سأعود معكم • خاصة أن أبى مريض • ولم
يستطع أن يأتى معكم •

قال محفوظ :

— انت تذهب لتطمئن على والدك وسأذهب معك لكى أعود
بك ثانية • فلقد اعتدت على وجودك بالمنزل •

قال أحمد • ما زالت بعض الآثار واضحة فوق وجهه •
وساقه اليمنى لا تستطيع أن يتحمل عليها تماما ، هذا غير جرح
لم يلتئم فى رأسه • :

ذهب أحمد الى دورة المياه • قال محفوظ :

— دفع أحمد ثمن صراحته • واتضح ان كل ما قاله كان
صحيحا •

• تنهد عبد الله فى أمى • فسوف يخوضون فى الموضوع الذى
يوجعه •

عادوا بأحمد • كان يتحمل على عبد الله وهو نازل على
النسلم •

* * *

عندما خاض عبد الله أرض المدفن القديم ، واجتاز الحديقة العامة والمرحاض العمومي . رأى حافظة كاشفة عن نصفها الأسفل تقضى حاجتها في ركن من أركان أرض المدفن القديم . لعنها في سره ألف مرة وسار الى فيلته القريبة .

هناك ، وجد عوض في انتظاره . كان واقفا بجوار الباب الحديدى الكبير .

— انتظرك منذ ساعة ونصف تقريبا حتى فقدت الأمل في عودتك الليلة .

فتح عبد الله الباب . وسار في الحديقة الكبيرة :

— أهلا بك يا عوض .

عوض لم يأت الى هنا من قبل . كما ان حضوره في الليل وفي أرض المدفن القديم ، أمر له أهميته . يقف ساعة ونصف وسط الظلام في منطقة يحكون على أنها مليئة بالعفاريت . وكثيرون من أهل بحرى يخافون اجتيازها في عز النهار . قال عوض :

— الدكتور يوسف داود يخفى بنى آدمين داخل عيادته .

— ما معنى هذا ؟

— لا اعرف . ولهذا جئت اليك .

— الأمر ليس سهلا . ولا بد ان تدخل الفيلا معى . وتحك لى كل ما حدث لأفهم .

حكى عوض ما حدث بالتفصيل . قال عبد الله .

— واثق من ان داخل العيادة بنى آدمين . والباب مغلق عليهم بالقفل . ؟

— طبعاً .

— إذا . هيا نصل الى ضابط الكركون . ليتخذ اجراءاته .

— لكن يوسف له فضل على . هو الذى عيننى فى
المستشفى . وفى عيادته .

— هذه أمور مختلفة — هيا — لا تضيع الوقت .

* * *

قالت ام ابراهيم لابنها الأستاذ :

— لماذا لم تدعهم معهم لزيارة خطيبتك ؟

— لا أستطيع يا أمى . عواطف طردتنى .

— لا تهتم . فهى لن تجد أفضل منك . وستأتى اليك
وأكعة متذلة . تعتذر عما بدر منها .

— لقد وافقت على خطوبتها رغم أنها ليست جميلة **حتى لا**
بمال خالى الى غريب .

دق جرس الباب . أسرع المرأة اليه . رأت ما أدهشها :
دكتور يوسف بكامل هيئته على باب الشقة لا . الأمر زاد عن
حده . ابنها الأستاذ أصبح مهما للغاية . وأكد خلال سنوات
قليلة قد يكون محافظا أو وزيرا . . . ابنها كان عنده حق عندما
غضب من أخواته لأنهن وأولادهن ينادونه بابراهيم دون لقب
أستاذ .

دخل يوسف الشقة مبتسما . قال ابراهيم :

— ليست على قدر المقام .

— لا • انها شقة ظريفة •

أخس ابراهيم بالراحة لأن والده في وردية عمل • والا كان
أفسد كل شيء بشكله • وقفطانه القديم البالي •

— ممكن نجلس في مكان وحدنا ؟

— نعم • نعم • تعال •

أخذه الى حجرة صغيرة • وأغلق الباب خلفهما •

تفوح من الحجرة رائحة عطنة بسبب عدم التهوية • وليس
لها سوى كنية عربى قديمة • ودولاب خشبى غير مدهون به
ملابس ابراهيم •

— حجرتى •

— ظريفة •

— اطلب لك شايًا ؟

— لا • لا اريد ان أضبع وقتى • الموضوع أن عندى أربع
اسرائيليين اريد ان أهربهم من مصر •

أبة جراءة هذه • أيقول له هذا بالمفتشر وعلى بلاطة • وعلى
عينك يا ناجر :

— انت تمزح يا دكتور لاشك •

— أنا لا أمزح أبدا •

— غريب ان تحدثنى هكذا دون استعداد وتمهيد •

— بل مهدت معك • وتحدثت معك طويلا • وأعرفك جيدا •
وبحثت لم أجد أنسب منك لهذه المهمة •

- الا يمكن أن أبلغ عنك •
- لو كان التبليغ سيعطيك أكثر مما ساعطيه لك •
- كم ؟
- خمسة آلاف •
- ضحك ابراهيم طويلا • « خمسة آلاف جنيه مرة واحدة » •
- مبلغ قليل لا يستحق المقامرة •
- ستة •
- عشرة والا لن أفعل شيئا •
- انت تحب الفلوس كثيرا •
- كيف سأستطيع تهريبهم ؟
- الأمر بسيط للغاية ، ستركب السيارة معي • وسنأخذ
الضفادع الأربعة حتى السلوم على حدود ليبيا • سيكون هناك
مندوبون من قاعدة « هويلس » يتسلمونهم منا ، ونعود بالسيارة
ثانية •
- وما فائدتي • يمكنك فعل هذا وحدك •
- انت امين لجنة الاتحاد الاشتراكي • ومعك كارنيه يفتح
لك الأبواب المخلقة •
- أخرج يوسف الف جنيه من سترته :
- الف الآن • والباقي بعد العودة من السلوم •
- أريد ألفين الآن •
- ضحك يوسف وأخرج الألف الأخرى :
- ها هي الألف • سنخرج من الاسكندرية مساء الغد •

- ٢٣ -

كانت آمال تجرى الكشف على سيدة من « بحرى »
(تعرفها آمال وقد تحدثت معها مدة طويلة) وقتها سمعت دقات
خفيفة على الباب • ثم رأت يوسف يدخل مندفعاً • قامت السيدة
تلم ملابسها من شدة المفاجأة • أول مرة يدخل يوسف عليها
هكذا منذ أن عملت في مستشفى السبع بنات معه • قالت :

- انتظر حتى انتهى من الكشف •

سار منكسراً • لم يخرج من الحجرة • ظل واقفاً في طريقة
جانبية أمام الباب المغلق ، وآمال أنهت الكشف على المريضة
بسرعة • وغسلت يديها وهي تحدثه :

- مالك يا يوسف ؟

جاء اليها فرحاً :

- علمت بما حدث لصديقنا أحمد الدسوقي ؟

- لا •

— يقولون انه جن .

— اننى لا اصدق هذا . انت طبيب وتعرف مراحل تطور المرض . وتعرف أن الجنون لا يأتى فجأة ودون مقدمات وأسباب .

— هناك أسباب قوية يا دكتورة . ألم تسمعى عن هجوم الناس عليه يوم الاجتماع .

يومها * * *

كانت آمال/تقف فى الشرفة ووالدها فى الداخل مسترخيا . يتابع احد الأفلام القديمة . سمعت آمال الكلمات كلمة فاروق الفرماوى ثم ابراهيم فهميم . ووالد أحمد والحاج الدسوقي . كان الصوت واضحا وعاليا من خلال الميكرفون . فهو معلق فى شرفة قريبة من شرفته .

ناداها والدها وهو يضحك لنصرفات اسماعيل يس :

— تعالى يا آمال ستضحكين كثيرا .

— رأيت مرات عديدة .

اتاه صوت الفرماوى ومساعدته ابراهيم وسمعت الدسوقي يقول فرحا :

— الدكتور أحمد الدسوقي ابنى

اشرايت . أرادت أن تقفز من الشرفة . تطير الى الاجتماع القريب لتراه وهو يخطب . وأصاحت السمع لكلمته لكن صوته لم يأتها من بعيد . فقد كان يتكلم من غير ميكرفون .

ثم سمعت أصواتا متداخلة • وحركة غير عادية • لا يهمها
الا أن تطمئن على أحمد •

ثم سمعت صوت ابراهيم فهيم يصيح « أنه مجنون •
مجنون » •

أترأه يقصد أحمد • فهو الذى يخطب منذ لحظات • ثم
رأت الناس تجرى فى الشارع وصراخ فى الاجتماع وشجار • وتهديد
من خلال الميكرفون • وامرأة تجرى وتولول :

— انهم يضربون ابن شيخ الصيادين •

شيخ الصيادين يا آمال ليس عنده سواه • أسرع آمال
الى الداخل • ودخل والدها خلفها :

— الى أين يا بنتى ؟

— انهم يضربون أحمد الدسوقي •

— وماذا تقدرين أن تفعل ؟

أسرعت الى الشارع ووالدها حائر لا يدري ماذا يفعل •
اكتفى بأن تابعها من الشرفة •

كانت بملابس البيت تجرى • ووالدها يصيح من الشرفة :

— تعالى يا آمال • تعالى •

كثيرون يريدون الوصول الى جسد أحمد • ووالده يحميه
ويحاييلهم لأن يتركوه • وفتاة تراها آمال لأول مرة تضم أحمد
اليها • تلتصق به • حتى اذا ما أرادوا ضربه جاءت الضربة فوق
جسدها هي •

اقتربت آمال • صباحت بصوتها الضعيف :

— أحمد • أحمد •

ذاب صوتها وسط الجنوع • وجسدها النحيل القصير لم
يستطع الوصول اليه • الفتاة — التي تراها لأول مرة — كانت
أطول وأعرض منها • وكان أحمد يميل اليها • فتشملة هي بكل
ما تملك • وتبتعد به عن الحشد •

قالت آمال :

— لماذا فعلو بك هذا ؟

لم يسمعها • تسمرت آمال في مكانها • والفتاة — الأخرى —
تبتعد به • كانت تمسك معصمه وهي تجتاز به الشارع ، وهو
كطفل صغير •

ظلت آمال تراقبهما حتى دخلا الزقاق المؤدى الى البحر ••
دخلت آمال بيتها • رأت والدها يقف بملابس النوم •

— ماذا حدث يا آمال ؟

— لاشيء •

* * *

قالت آمال ليوسف ابن عمها :

— أراك فرحا لأنه جن •

جلس يوسف :

— لا طبعا • أنا لا أفرح لمصائب الآخرين •

ليلة الاجتماع الذي اقيم في بحرى لم تنم آمال • لم تبك •
شردت • أحمد لا يحبها • ولم يحس بها ابدا • كل تصرفاته • حتى
وقت ان كان طالبا في كلية الطب ، تؤكد هذا •

والفتاة التي رأتها معه • واضح انه يبادلها الحب • فقد ترك
نفسه لها من شدة ثقته بها •

استظل آمال هكذا • تحلم كالمراهقات برجل امامها
ولا تستطيع ان نبوح له بما تحلم • ثم يخطب ويتزوج وينجب •
وهي ما زالت تحبه •

تعرف آمال طيبة في المستشفى • كانت تحب شابا لم يرها
مرة واحدة • أحبته لمجرد أن رآته يأتي كل يوم في انتظار الترام
التي تمر من امام بيتها • كانت تتابعه من الشرفة وتنتظر مواعده •
وتحلم بيوم أن يجتمعا معا • ولم يأت هذا اليوم أبدا •

آمال • لابد أن تضعي حدا لهذه المهزلة • يوسف ابن عمك
يريدك ويتمنى رضاك • وهو أولى بك • وزواجك منه لن يسبب
أية مشكلة •

اقتربت آمال من والدها في الصباح • وضعت الافطار
بينهما • وقالت :

— انني موافقة على الزواج من يوسف ابن عمي •

— خيرا ما فعلت • يوسف سيفرح كثيرا •

* * *

قد تكون آمال ما زالت تحب أحمد الآن • لكنها لابد ان تحكم
عقلها وتختار يوسف • رغم هذا غضب منه عندما تحدث عن أحمد
بهذه الكيفية •

حتى لو جن أحمد حقا • مع ان آمال لا تصدق هذا
أبدا — ما كان يجب ان يفرح يوسف لذلك •

* * *

لم يصدق يوسف نفسه عندما أخبره عمه زكى بالخبر
السعيد .

— عمى . لم أتزوج ~~للآن~~ لأن آمال لم تكن موافقة . لكن
ما دامت وافقت . فلنسرع بالاجراءات .

— وأنا أيضا أريدك أن تسرع بالاجراءات .

— نريد أن نعوض ما فاتنا يا عمى . من باكر سنختار لوازم
الحفل . وعندما تنتهى حالة الحرب هذه . سنعلن خطوبتنا .
— على بركة الله .

ضابط كركون الأنفوشي — أصلا — ليس من بحرى . لكنه
أحب الحى وأهله . وصار كواحد منهم . بعد أن قضى شهورا قليلة
في الكركون طلب من رؤسائه أن يتركوا له حرية العمل . حتى وان
خالف القواعد واللوائح حتى يضمن سير العمل في الحى على أحسن
وجه . فهو لاء الناس لا تنفع معهم الشدة ، والاصرار على تنفيذ
القواعد كما انزلت . فأعطاه رؤسائه ما يريد .

إذا حدث خطأ من أحد الصيادين ، يرسل في طلب الحاج
الدسوقي ويحكى له ما حدث . فيقوم الحاج بمعاينة المخطيء
بغرامة مالية تذهب الى صندوق الصيادين . او طرده من عمله
إذا كان يعمل في مراكبه او أحد محلاته .

كان ضابط الكركون وسيما . حلو الحديث . حاضر النكتة .
فأحبه شباب الحى . كان يجالسهم ويسهر معهم لوقت متأخر من
الليل بعد أن يخلع بذلته الرسمية .

عندما دخل عبد الله قابله الضابط بترحاب . حكى له
عما حدث . قال الضابط لعوضي :

— المشكلة اننا نتلقى ههنا الأيام بلاغات كثيرة عن وجود
ضفادع بشرية اسرائيلية • ونذهب الى هناك • نجد الضفدع
البشرى مصرى وطنى حظه السيء جعله أصفر الشعر وذا عينين
زرقاوين أو خضراء •

قال عبد الله :

— انت تعلم ان يوسف هذا يهودى • والشكوك تحوم حوله •

— على أى حال أنا لا أستطيع أن أنغاضى عن موضوع
كهذا • فمن الممكن أن يكون الدكتور قد أجرى عملية جراحية
ممنوعة • ويخفى المريض بالداخل • وفى هذه الحالة يمكن أن تكسر
الشقة ونعاين • لكن الخوف أن يكون الموضوع له صلة بالأمن
العام • وفى هذه الحالة لابد من ابلاغ المباحث العسكرية •

صمت الثلاثة لحظات • ثم صاح الضابط :

— لن نخسر شيئا • سنبلغ المباحث العسكرية •

خرج يوسف من العيادة عند المغرب — تقريبا — كان قلقا •
نظر خلفه عدة مرات • سار بعيدا عن القهوة ثم انحرف فى أول
زقاق قابله • وخرج الضفادع البشرية الأربعة فى نفس الطريق •
كانوا يرتدون ملابس غير الدكرون التى جاءوا بها من اسرائيل •
لاشك أن هذه الملابس اشتراها لهم يوسف أو فيكتور • أو ربما
ليلى •• انحرفوا فى نفس الزقاق • كانت السيارة فى انتظارهم •
وابراهيم فنيهم يجلس فى الأمام • دخل يوسف مسرعا أمام مقود
السيارة • والأربعة فى الخلف • التصقوا فى بعض • وعلى أى حال
فقد كانوا نحافا فكفاهم المقعد الخلفى •

قال ابراهيم وهو ينظر خلفه :

— ازيكم يا خواتم ؟

ردوا عليه بكلمات لم يفهما ابراهيم • لكنه ضحك بصوت مرتفع • لم يكن خائفا ولا مرتابا فى أى شىء • كله ثقة بأنه سيقنع كل من سيقابله • خاصة ان معه كارنيه الاتحاد الاشتراكى •

قال يوسف :

— العملية مضمونة للغاية • فى السلم سىنتقابل مع المندوبين • وأعود أنا وانت وحدنا •

— لكننى أريد ان أقضى عدة أيام فى ليبيا • آه يا خواتم يوسف لو وجدت لى عقد عمل فى ليبيا •

ضحك يوسف • تحدث مع الأربعة الآخرين بالعبرية • ضحكوا معهم • وقالوا كلمات قصيرة لم يفهما ابراهيم خطر بباله انه من الممكن أن يكون يوسف يشتمه ويحكى عنه حكايات سخيفة • لكن ليس مهما • المهم ان يصل لما يريد •

قال ابراهيم :

— ليبيا هى الجنة يا خواتم يوسف • ألم تسمع عن الصعيد الذى مات • وسألوه فى الآخرة : عايز تروح الجنة ؟ قال : لا عايز اروح ليبيا •

ضحك يوسف وضحك الأربعة دون ان يفهموا ما يقال • قال يوسف :

— اطمئن • سأجد لك عقدا •

ضحك ابراهيم وقال :

— لا • لن أترك ليبيا • هذه فرصتي • لماذا لا تحدث
الخواجهات أصحابك الذين يعملون في قاعدة هويلس الأمريكية •
لأعمل معهم في القاعدة •

— سأحاول يا ابراهيم • اطمئن •

— سأخذ النمانية آلاف الباقية فور استلام العهدة •

— سيحدث • سيحدث •

امام نمتال سعد زغلول من ناحية البحر ، توقفت السيارة •
فقد أغلق شرطي المرور السكة في طريقهم • فجأة ، بعد أن أحس
يوسف ان الطريق سهل وممهّد •

كانت هناك سيارة ملاكي تقف بجانب سيارتهم • وسيارة
أخرى تقف في المدخل • آنية من شارع صفية زغلول ، هبط منها
شاب يرتدي بذلة سوداء • ونبعه عدد لا يقل عن ستة ، اجسامهم
طويلة وعريضة • ومن السيارة المجاورة لهم • نزل العديد •
أحاطوا بهم ظهر عبد الله وعوض •

لكن يوسف ابراهيم بكوعه :

— حدثهم انت • حدثهم •

لقد أعطاه ألفين • وسيعطيه ثمانية غيرهم من أجل لحظات
مثل هذه • فلبعمل • قال ابراهيم بكبرياء مصطنع :

— انا ابراهيم فهم أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي المساعد
عن دائرة الجمرك •

وأخرج الكازنيه من جيب قميصه • وقدمه للضابط ذي
البذلة السوداء •

أمسك الضابط الكارنية • وقال :

— آسفين يا سعادة البك • من فضلك اخرج • سنسألك
كام سؤال •

خرج ابراهيم مبتسما • لم يكن قد فهم ان كل شيء وضع •
الذى أدرك هذا جيدا هو يوسف • فلم يستطع الوقوف شدوه
من داخل السيارة بالقوة • أخذوا يوسف وابراهيم في السيارة
المجاورة • الضفادع الأربعة أخذوهم في السيارة الثانية من ناحية
شارع صفة زغلول •

* * *

خرج الحاج محمد سماحة من بيته • ومعه أولاده جميعا •
والكثير من أهل الشارع الذى يسكنه ••

عندما وصل الى كازينو كازابلانكا كان العديد من أهالى
الحى يحيطون به • هناك وجد سماحة الحاج الدسوقي يقف أمام
الباب الكبير • واحمد الدسوقي — ابنه — بجانبه • وعوض
وعبد الله معهما •

المخبرون أحاطوا بالمكان • وجنود من الجيش يقفون • وحافطة
ترمى الكازينو بالطوب • كسرت الزجاج • وهى تصيح :

— فيكتور اليهودى سرق أولادى •

خرج فيكتور يحمله رجلان عملاقان • كانا يرفعاه لأعلى •
وساقاه المعوجتان تزحفاه على الأرض • وبوللى ولالى يضحكان
ويشيران الى فيكتور •

وخرجت ليلى • دفعت يد الضابط الذى يمسكها فى
عجرفة • سارت والايشارب الحريرى معقود فى رقبتها •

قال سماحة :

— سأخذ الولدين عندي يا حاج دسوقى •

* * *

فى الصباح جاءت عواطف الى بيت الحاج الدسوقى • ظنت
أنها ستجد أحمد دازال نائما • وستوقظه وقد ينام فى الخروج
معه • لكنها فوجئت به يفتح لها الباب وهو بكامل ملابسه •

— معقولة •

— انتظرك من نصف ساعة تقريبا •

— وأوراقك •

قدم الأوراق اليها :

— كل الأوراق جاهزة •

خرجوا معا • ذهبوا الى ادارة الجامعة فى الشاطبى • لتقديم
أوراقه مدرسا فى كلية الطب •

بعد ستة شهور • وبالتحديد فى الثامن من ديسمبر أعلنت
اسرائيل عن غرق غواصتها التمساح فى البحر المتوسط • ايفان
قائدها لم يستطع الوصول بها سليمة الى ميناء حيفا •

وتمت ترقية الكومندان : حسن المختار الى رتبة عميد •
وأشرف بنفسه بعد ذلك على تسليح الفرقاة مصر بالصواريخ
المضادة للغواصات •

رقم الايداع ١٩٩٨/٥١٩٤

الترقيم الدولى 5 — 5651 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الفلاف للفنان: محمد الطلا



مطابع الهيئة العامة

٣٢٥ قرشاً